دار م. النحاس

HARLEQUIN

قلوب عبير

www.elromancia.com

مرمورية

خيوط المصير

سارا وود

خيوط المصير

سارا وود

«لقد اخطأت في وضع ثقتك بي... والآن انت تحت سيطرتي اكثر مما كنت قبلاً.» لقد ظهر دون انذار، من روعة جمال ضوء القمر الغامض في ليلة هنغارية، وكانت سوزان منجذبة، بهذا الرجل الغريب. ولكن لازلو هوزار كان في ذهنه هدف آخر غير الغزل العقيم. لقد كان هدفه هو الانتقام، واستعمال سوزان مخلباً لثاره المحموم. وفجأة، تجد سوزان نفسها سجينة الابتزاز والكراهية. وهو تراث اسرتها القاسي من ماضيها الاسود.

فهل بامكانها ان تقطع الخيوط التي تربط مصيرها بمصير لازلو؟

000531

أجاب لازلو بلطف: «ليس هناك أي منطق يواجه الكره المتبادل.»

وكانت سوزان تعلم أنه يحاول أن يغويها لسبب خفي، وخفضت ناظريها وهي تقول: «إنني... إنني لا أطلب شيئاً.»

فرد عليها متكاسلا: «ولكنك كذلك لسوء الحظ.»

فقالت: «إبق بعيداً! فنحن على طرفي نقيض. فأنت تبتزني لتنال ما تريد. ولا بد أن احتقاري لك هو واضح.»

فقال ساخراً: «أحقاً؟»

سارا وود

الطفولة في بورتسموث تعني، بالنسبة إلى «سارا وود»، ركبتين قذرتين وجدائل متطايرة في الهواء، وسعادة لا تضاهى. وقد جعلها الفقر تتحول من طابعة على الآلة الكاتبة ومؤجرة غرف على شاطىء البحر، إلى معلمة، إلى أن منحتها الكاتبة، أخيراً، الحرية التي يسعى إليها دمها الغجري.

سعيدة في زواجها، ولديها ولدان وسيمان ريتشارد، وهو متزوج، هادىء، وجدير بالثقة، ويعمل سائق شاحنة. وسيمون وهو صائغ فضة متنقل، وباني سقوف ولحام اوكسجين. وتعيش سارا في كورنيش في المنطقة الريفية. وأوقاتها تتناوب بين حياة الكاتبة المتألقة، وحبها المحموم للعمل في الحديقة والذي يسمح لها بالرجوع إلى قذارة الركبتين والخلو من المسؤولية، مرة أخرى.

khouloub Abir

خيوط المصير

سارا وود

دار
مؤسسة النحاس
للطبع و النشر و التوزيع
بيروت - لبنان

www.elromancia.com

الفصل الأول

هتفت سوزان: «انظري ذلك الرجل هناك!»

فسألتها ماريان متذمرة: «أي رجل؟ وأين؟»

فأجابت سوزان: «ها قد ذهب مرة أخرى. لقد كان يتبعني كيفما اتجهت انه يحدّق بي وكأنه... وكأنني أتخذ أنفاً أرجوانياً كرجال السيرك.»

وأخذت الشقيقتان تضحكان. وقالت ماريان هازلة: «ربما جذبه مظهرك هذه الليلة يا سوزان. ماذا حدث؟»

وألقت سوزان على شقيقتها نظرة ازدراء، ولكن شعورها كان مختلفاً فقد شعرت بنفسها جميلة على غير العادة، ذلك أن شقيقتيها رائعتي الجمال، هما اللتان كانتا دوماً تفوزان بنصيب الأسد من اهتمام الجنس الآخر.

ولكن هذه الليلة كانت مختلفة بالنسبة إلى الطريقة التي اجتذبت بها اهتمام الرجال. وأدركت ان هذا يعود جزئياً إلى الرجل نفسه. فقد أثارت في نفسها عيناه السوداوان اللامعتان بنظراتهما الهادئة مشاعر عنيفة لم تألفها من قبل.

ولكنها ما لبثت أن نظرت إلى الأمر من ناحية منطقية، فقالت: «أظن ان الأمر لا يعدو تأثير الاضطراب من جهة، يا ماريان، ومن جهة أخرى الشعور بأن أختي وأخي يتزوجان الآن في نفس الوقت، كما انك أنت ستتزوجين قريباً، كل هذا كفيل بأن يجعل أي شخص يشعر بالدوار... على كل حال، حاولي أن تعرفي من هو هذا الرجل فيما لو رأيته...»

فأجابت ماريان: «يا للبلاهة... ثمة مئات من الرجال في هذا الحشد. صفيه لي.»

فاحمرّ وجه سوزان وأجابت متكلفة عدم الاهتمام: «إنني فقط رأيت رأسه فوق الجموع...»

«إنه، إذن طويل القامة. هل يكسو رأسه شعر ما؟»

فتجاهلت هذه، سخرية أختها وأجابت قائلة: «إن شعره كثيف أسود ناعم جداً. وله ملامح هنغارية بادية القوة، قد لوّحت الشمس بشرته بشكل رائع... إن عينيه، في الحقيقة هما أبرز ما فيه.»

فقالت أختها: «عليّ إذن أن أبحث عن رجل له عينان!»

فأجابت سوزان بهدوء: «عندما ترين عينيه تلك، تدركين ما أعني، إنهما... إنك تعرفين مبلغ اتزاني، ومع هذا فقد شعرت بمبلغ سيطرتهما وغموضهما. إنهما حالمتان، ولكنني، أحياناً، أشعر بأنهما تخترقان مني الأعماق...»

فربتت ماريان على يدها وهي تقول: «كم من الأعين يملك ذلك المسكين؟» وتنهدت وهي ترمق أختها بعينيها المغوليتين اللتين تشابهان عيني أختها، لتستطرد قائلة: «اشربي ليتر من القهوة ثم استلقي بينما تلفين حول رأسك منشفة مبللة يا سوزان، فأنت مصابة بتشوش بالغ في ذهنك. يجب أن أخبر تانيا... إنني لم أرك خارجة عن طورك بهذا الشكل قبل الآن.»

فضحكت سوزان وهي تحتج قائلة: «هذا سيحدث لك أنت أيضاً إذا حاول شخص غريب أن يتسلّل إلى عقلك ليعبث به. أظنه لا بد أن يكون إما منوّماً مغناطيسياً يمارس عمله على من هو غير واعٍ لذلك، وإما قصير النظر لدرجة بالغة. وهو في الحالتين... خطر.»

فارتسمت على شفتي ماريان ابتسامة عريضة وهي تقول: «هذا هو النوع الذي يعجبني. اذهبي وابحثي عنه وامضي معه وقتاً ممتعاً.»

وعلى الفور، أخذت سوزان تجيل بنظرها، خلسة، في أنحاء قاعة الرقص تفتش عن هذا الغريب المراوغ، مصممة على العثور عليه ومن ثم ترضي فضولها، وعندما خاب أملها إذ لم يقع نظرها عليه في أي مكان، قررت، شاعرة بالقلق، انه من الأفضل أن تنسى ذلك الرجل، وتبدأ بالتفكير في الاجتماع الهام الذي عليها أن تحضره في اليوم التالي.

وهكذا، تركت حفلة الزفاف لتتمشى ببطء نحو الحديقة المغمورة بضوء القمر، وشعرت بالنسائم تتلاعب بشعرها الطويل فرفعت يدها تضغط عليه وتعيد تنظيمه بحركة آليّة.

وكانت تتألق أمامها البحيرة الكبيرة الممتدة نحو غابات أشجار الزان. وعندما اقتربت منها، إذا بها تشهق وهي ترى أمامها شبح رجل يقف أمام المياه المتألقة في ضوء القمر.

وتعالت دقات قلبها، إنه الرجل الذي كانتا تتحدثان عنه. لقد أمكنها تمييز ذلك الرأس القويّ المسيطر حتى من الخلف، فقد حفر في ذاكرتها بأحرف لا تمحى. وساورها الانفعال رغم ما في ذلك من سخافة وبعد عن المنطق.

وشعرت بدافع يدفعها إلى عدم الظهور أمامه، فتوارت بسرعة خلف فروع متدلية لشجرة ورد كانت أزهارها البالغة الرقة تتمايل مع النسيم، فأغرقتها بشذاها العبق بينما رفعت وجهها الجميل لترى ما الذي كان ذلك الرجل يقوم به.

لا شيء كما يبدو، ولكن كان في ملامح وجهه الجانبية

حزن وغضب... أو، ربما يأس وقنوط كان يبدو في تكرار تقبّض يديه وانبساطهما وكأنه يريد أن يضرب شخصاً ما، أن يرفسه بعنف أعمى... عنف من النوع العميق المؤذي.

ودون وعي منه، توتر جسمه وكأنه كان يستمع إلى حركة الحيوانات تحت الأشجار، أو حفيف أوراق شجر الزان، أو الطيور الليلية... وشعرت بقلبها يثب وهي تسمع تغريد العندليب، والذي ذكرها على الفور بأمسيات الصيف الطويلة الرائعة في منزلها الذي تعشقه في موطنها ديفون.

وسألها فجأة، وهو يستدير إليها: «لماذا تختبئين مني؟ إنها ليست طبيعتك المستقيمة المباشرة. أليس كذلك؟»

وأطلقت سوزان شهقة مختنقة إزاء سؤاله الرقيق. ذلك ان خطواتها لم تكن لتحدث صوتاً على العشب المنسّق ومع ذلك، استدار بخفة على عقبيه لينظر إليها بين فروع شجرة الورد التي كانت تخفيها عن الأعين.

وعاد يقول ساخراً: «هل أنت خائفة مني؟»

فأجابت: «كلا بالطبع.» ولكنها كانت خائفة فعلاً. وخرجت من مخبئها بخجل شاعرة بالحماقة كذلك وهي تتابع: «لم أشأ أن أزعجك فقد بدوت وكأنك تعالج مشكلة وبحاجة إلى الانفراد بنفسك.»

فقال ببطء وقد تلاشى التوتر من جسمه: «لقد كنت أفكر... كذلك كنت أنتظر ظهورك.»

وأطلقت ضحكة اخترقت سكون الليل، ثم قالت بابتسامة عريضة: «ما أشدّ مهارتك. إنني لم ألتق قط من قبل بقارىء أفكار.» وعندما رأت عبوسه أضافت تقول: «لا أرى أيّ سبب آخر يجعلك تعرف مسبقاً بقدومي إلى هنا.»

ولم يحاول أن يخفي اهتمامه بها، وشملها بنظرات اعجاب شعرت معها بوهن في جسمها فهو ليس بالرجل الذي يشتبك معه الشخص، ثم يخرج سليماً... وقطبت حاجبيها، متراجعة عن تصوراتها. وكان هو يتابع شيئاً سبق وقاله: «... وهكذا، لم أكن بحاجة إلى كرة بلورية تريني انك ستتبعينني. فقد أوحيت إليك بما يكفي لكي أجعلك تفتشين عني خارج القاعة.»

وفتحت سوزان فمها دهشة وقالت: «الحقيقة هي أنه لم يكن لديّ فكرة عن وجودك هنا. لقد خرجت أتمشى إذ لديّ الكثير مما يشغل ذهني...»

فقاطعها بلهجة غامضة وقد ارتسمت على ملامحه ابتسامة عريضة: «أعلم ذلك. والآن...» وأضاف بغرور يثير الغيظ: «أنت تريدينني أن أفكر في ذلك أنا أيضاً.»

حسناً، لا بد لهذا الرجل من صدمة عنيفة تخرجه عن غروره هذا. وقالت ببرود: «ولماذا، أفعل أنا هذا؟»

فأجاب هازلاً: «لأنك لم تستطيعي منع نفسك عن ذلك.»

فقالت بجفاء وهي ترى وقاحته هذه: «إنني سأحاول ذلك... نعم سأحاول.»

عند ذلك أخذ بالتقدم نحوها برشاقة طبيعية. وكان يتحرك بحرية شأن شخص لم يتعود على جدران أربعة تحدّ من انطلاقه. والذي لا يعترف بحدود في عالمه، شأن شخص ذي شعور رائع بالحرية يجعله ينغمس فيها دون خجل كأي مهر طليق. وقال بلطف: «لا تكلفي نفسك عناء المحاولة. فأنت ستضيعين وقتك، فليس بامكانك أن تمنعيني من أن أجعل من نفسي النقطة المركزية في حياتك. الرجل الذي هو

أول ما تفكرين فيه عندما تستيقظين في الصباح، والرجل الذي تحلمين به في الليل.»

وجعلها هذا الادعاء غير العادي تضحك. كان هذا في منتهى السخافة وقالت باشمئزاز: «إنني متأكدة من أن هذا هو موضوعك المفضل للحديث. ولكنني أقترح عليك أن تجرّب حظك في مكان آخر. فليس عندي وقت للرجال الذين يعتقد الواحد منهم أنه أدونيس هذا العصر.»

فقال: «بل ستجدين الوقت لذلك.»

وشعرت بأوراق زهرة بين أصابعها. وتصاعد إلى خياشيمها الشذا العبق، لتكتشف انها قد سحقت هذا البرعم دون وعي منها. وأطلق الغريب ضحكة خافتة، وكأنما وجد في غياب ذهنها ما يشجعه، فقطبت جبينها، وقالت وهي تحاول أن تتمالك نفسها من الارتجاف الذي اعترى جسدها: «لا تحبس أنفاسك.»

ودون أي اهتمام بالعرف الاجتماعي، وقف شبه ملاصق لها وقد سقط ضوء القمر الفضيّ على ملامحه الارستقراطية. وتسارعت أنفاس سوزان وهي تشعر بالخوف منه.

وأخيراً، وجدت نفسها توجه إليه ذلك السؤال الذي حام حول شفتيها طويلاً: «ولكن... من تكون أنت؟»

فتمتم قائلاً بصوت رقيق جذاب: «لازلو.» وتناول يدها يرفعها بيده وهو يحني رأسه ويرمقها بنظرة من تحت حاجبيه الأسودين وقد لمعت عيناه بسخرية وهو يقول: «إذا شئت فأنا هو الجواب لكل تمنياتك.»

وجذبت يدها من يده باضطراب. فهي لا تريد غزله هذا

الذي يرسل في نفسها الضيق، وقالت وهي ترفع كتفها بعدم اكتراث: «إن تمنياتي هي السلام على الأرض، ومدير بنك أصلع.»

فضحك مستمتعاً ثم أرخى عينيه. كانت ملامحه سلافية أصيلة وكذلك حاجباه الأسودان المستقيمان، وشعرت هي بنفسها تهتز لسبب لم تدركه.

وفجأة شعرت بوهن في ساقيها. ومدّت يدها الرقيقة الناعمة تستند إلى جدار منخفض خلفها. ورأى هو هذا فبدا عليه السرور بينما أطلقت هي ضحكة صغيرة وهي تقول معتذرة: «نعم. أظنك كذلك.»

حاولت أن تبتر هذا الحديث وتهرب... كلا بل تمشي ببساطة! تعود إلى قاعة الرقص، كانت الألحان الحالمة العذبة تتهادى من تلك القاعة حيث شقيقتاها لا بد ترقصان. تانيا مع عريسها، وماريان مع خطيبها، وقد حان الوقت لتلتحق بهما قبل أن تؤثر هذه الليلة الشاعرية هنا على عقلها.

وقالت: «إنه رقص متتابع، وساقاي تهتزان من الاجهاد.» وانبأتها ملامحه بأنه لم يصدق هذا. وأضافت: «وأنا بحاجة إلى فترة هادئة أستعيد بها قواي، ولهذا إذا لم يكن لديك مانع، ربما يمكنك أن تعود إلى القاعة لترقص على تلك الأنغام الغجرية مع من تقدّر حقاً الرجال ذوي الشخصيات القوية المسيطرة مثلك.»

فأجاب بسخرية لاذعة: «إنها ليست موسيقى غجرية، ألا ترين أنها تفتقر إلى المشاعر البدائية؟ إنها هنغارية يشترك معها ضجيج السائحين.»

www.elromancia.com

وما دام غير مستعد لأن يتزحزح، ابتدأت هي تمشي على ضفة البحيرة... وقالت بضيق محاولة أن تخترق هذا الصمت المتوتر بأي شكل: «ظننت ان الموسيقيين جميعاً من الغجر لأنهم يرتدون ملابس غجرية.»

فأجاب: «وها أنت ذي ترتدين ثياباً كأية فتاة بريئة. ولكن أية أسرار تختفي تحت هذا الثوب الإيطالي الطراز؟ وأية خطة جهنمية أحلم بها بينما أسير بجانبك مستمتعاً بجمال غير عادي؟ وأية أكاذيب نحن الاثنين على استعداد للإدلاء بها لكي نجنّب أنفسنا الأذى أو نظهر تصورنا للكيفية التي ننظر فيها إلى العالم.»

لم يكن ما يدور بينهما حديثاً عادياً. لقد بدا لها وكأنه ينذرها، تقريباً بنواياه، فخافت من التورط معه وقررت الأفضل هو أن تتجاهل ملاحظاته غير العادية تلك.

وقالت بصوت أجش: «إن الموسيقى تبدو لي حقيقية.» وأجفلت إزاء ابتسامته الساخرة التي ارتسمت على شفتيه بمكر، وكأنه يلومها على هذا الجبن. ليقول بعد ذلك برقة: «إن موسيقى الغجر الحقيقية لا يسمعها الغرباء أبداً، هذا إلى انها لا بد ان تكون في الهواء الطلق لكي تكون ممتلئة حياة. فالجدران تخنق صداها.»

وأخذت سوزان تفكر في هذا بهدوء وهما يسيران بصمت فوق العشب يتهاديان في الحديقة الخفيفة الإضاءة.

وقالت ببطء: «نعم، إنها بين الجدران، تبدو وكأنها أوبريت نمساوية. أما هنا فهي...» وترددت وقد فقدت شجاعتها إزاء همهمة الاستحسان التي صدرت عنه.

وقال يستحثها بلهجة أثارت ارتباكها: «نعم؟»

فأنهت حديثها قائلة بلهجة ملتوية: «إن المسألة هي امتزاجها بالهواء.»

قال بصوت أجش: «لو كان ثمة فرصة لتسللت هذه الموسيقى إلى أعماقنا وجعلتنا عاجزين إزاء دعوتها لما يكمن فينا جميعاً من طيش وبدائية.»

وحدثت نفسها أنه يشعر هو أيضاً بذلك، ولم تكن تريده أن يفقد السيطرة على مشاعره. ورفعت كتفها مظهرة عدم الاكتراث وهي تقول متظاهرة بالمزاح: «أظنها لا بد ان تذهب إلى مكان ما.» ولكنها شعرت بالاضطراب لأن امتزاج الموسيقى بمشاعر لازلو كان يؤثر عليها هي نفسها في هذه الحديقة فيصل إلى مشاعر تفضل هي أن تبقى خامدة.

لقد مرّ النهار بأكمله كأسطورة خرافية، فالكل مشغول بحفلة زفاف شقيقتها وأخيها جون، النزهة الرائعة في أملاك القصر. المأدبة الرائعة المتألقة، ثم بعد ذلك قاعة الرقص. فلا عجب إذن أن تترنح قدماها فوق الأرض! كلا، لا يمكن هذا! فهي المفروض فيها أنها العاقلة والواقعية الوحيدة في الأسرة! وقد حان الوقت لتستقر على أرض ثابتة مرة أخرى.

إنه مخرج الجبناء.

وقالت باقتضاب وهي تقف في الطريق مظهرة الضيق: «أرجو أن تذهب، فأنا أحب الانفراد بنفسي.»

فتمتم يستفزها: «أتواجهين التحدّي ولا تقبلينه؟»

فزمّت شفتيها وقالت بصلابة لم تشعر بها تقريباً: «انك لست متحدياً. اسمع، إذا كنت مصمماً على أن تمنعني من الانفراد بنفسي، فإنني أنبهك إلى حقيقة، بصفة قرابتي من

صاحب هذه الأملاك، فإنني أحق منك بهذه البقعة من الأرض.» ولوحت بيدها على نحو مبهم نحو بساتين البرتقال حيث البراعم يعبق شذاها.

وأجاب ببطء وقد تحجّرت ملامحه: «لو كنت مكانك لما عوّلت على هذا.»

وأمعنت فيه النظر بعينيها العسليتين الكبيرتين وهي تقول معنّفة: «لقد تزوجت شقيقتي من الكونت اسطفان هوزار اليوم. وهذه هي ممتلكاته وأخي هو مدير فندق قصر هوزار...»

فقال: «إنني مقتنع بكون علاقتك متينة بهذه الأرض.» وأدهشها أن ترى فمه يتوتر وقد غشت عينيه مسحة ألم، وهو يتابع قائلاً: «ومن الطبيعي أن تتصوري أن حقي في الوجود هنا هو أقل من حقك.»

قال هذا وكأنه ليس حقيقياً، وهو مستحيل طبعاً. وتساءلت عما تراه يحاول أن يقول فإن ثمة شذوذاً في سلوكه، وكأن تحت مظهره الدمث ذاك استياء من اسطفان لامتلاكه القصر. ولم تعرف ما الذي أوحى إليها بهذا الشعور، ولكن ربما هو ذلك الازدراء البادي في التواء شفتيه عندما ذكرت اسم اسطفان، وذكر حقها في الوجود هنا، والنظرة المتملكة التي تبدو في عينيه كلما نظر إلى الأراضي هذه.

وارتجفت وهي ترى عينيه مصوبتين نحوها، باردتين، قاسيتين، فتمالكت نفسها بسرعة وهي تقول متهكمة: «حسناً، لا أعتقد انك سبق واشتريت هذه الأراضي من صهري يوم عرسه.»

فأجاب وقد استحالت رقة صوته إلى خشونة: «لو كنت

اشتريت، لكان هو الآن وشقيقتك دون بيت، وكذلك والدته الكونتيسة التعسة.»

وفكرت فجأة في أنه يكرههم جميعاً. وشحب وجهها لهذا ولكن لماذا؟ وسألته بحذر: «وما الذي تعرفه عنهم؟»

فقاطعها متجاهلاً أسئلتها وهو ينظر إليها عابساً: «هل تنوين الإقامة هنا؟ لتكوّنوا أسرة كبيرة سعيدة؟»

فأجابت باقتضاب: «كلا.»

كانت الحاجة إلى معرفة المزيد عن هذا الرجل، وتهذيبها الأصيل يدفعانها إلى أن تضيف قائلة: «ان هنغاريا بالغة الجمال، وشعبها رائع. وقد استمتعت بوجودي هنا إلى حد بالغ. ولكنني أعشق منزلي في ديفون إلى حدّ لا يمكنني تركه بصورة دائمة.» وشردت نظراتها حالمة وقد تلاشى القلق من ملامحها، لتنقلها إلى هناك حيث التلال الخضراء والغابات القديمة ومنازل قريتها وايدكومب الحجرية التي يرفرف فوقها الهدوء والسلام. كلا. إنها لن تقبل الاستقرار في أي مكان آخر أبداً... أبداً.

قال وهو ينظر إليها بعينين حادتين: «ثم ان لغتك الهنغارية جيدة إلى درجة غير عادية كما ان لكنتك غير سيئة، هي أيضاً.»

فقالت شاعرة بالسرور لهذا المديح: «شكراً.» وابتدأت تدور حوله راجعة ليلحق هو بها على الفور مقترباً منها. بينما استطردت تقول: «لقد قمت بدورة تعلمت فيها هذه اللغة. إنني احتاجها في عملي الجديد. وقد تعلمت أيضاً اللغة الروسية في المدرسة وهذا سيساعدني كذلك... هذا إلى واقع أن أمي كانت هنغارية.»

ولم تبد عليه الدهشة، مما خيّب أملها نوعاً ما. فقد كانت مزهوة بالسرعة التي تمكنت بها من تعلم هذه اللغة المعروفة بصعوبتها...

وقال بهدوء: «ربما جذورك هي أقوى من نشأتك. ذلك ان دمًنا له خاصية قوية لا يمكن أن يغفلها المرء.»

فنظرت إليه سوزان وقد أدهشتها تلك الرجفة العاطفية في صوته ولكنه تابع يقول قبل أن تستطيع التعليق على كلامه: «وها أنت تتدربين على اللغة بالتحدث مع الضيوف الهنغاريين أثناء هذا العرس المزدوج. وهكذا تغمر السعادة هذه الأسرة.» ونطق بجملته الأخيرة بلهجة مطاطة جعلت جسدها يتصلب. فقد ظهر في لهجته وكأنه يتمنى لهم الشقاء...

ارتجفت وهي تقول: «لقد تعبنا جميعاً للوصول إلى ما نحن فيه. فليس هناك تقدم دون جهد.»

فأجاب بجفاء: «هذا صحيح، فقد بذلت أنا جهداً كبيراً حتى تمكنت من التطفل على حفلة العرس هذه.»

فتوقفت عن السير وقد استبدّت بها الحيرة وهي تسأله: «هل أنت متطفل؟» إنه لا يبدو بهذه الصفة. فهو في الواقع يبدو بمظهر وأناقة يحسده عليهما معظم الرجال. وهذا يجعله من غير المعقول أن يخط إلى درك متطفلي الحفلات، وفاجأها خاطر مؤلم. ربما كان عدواً غير مدعو جاء ليتسبب في إحداث مشكلة.

وسألته بحدة: «لماذا جئت إلى حفلة العرس؟»

فأجاب وقد ضاقت عيناه: «آه، إنه الطعام والمرح ومقابلة الناس.» ولمعت عيناه اللتان كانتا تراقبان ملامحها وكل حركة تقوم بها بكل دقة، بينما كان يتابع

قائلاً: «ثم انه كان يهمني أن أرى هذه الأملاك وصاحبها.»

وتصاعدت خفقات قلبها. لقد تضمنت لهجته هذه التي تنضح مرارة، معاني جمّة، وسألته بصوت خشن وقد اتسعت عيناها قلقاً: «هل جئت لإحداث المشاكل؟»

فأجاب بصوت فاتر خالٍ من التعبير: «لقد سبق وعشت هنا.»

وشهقت وهي تسأله: «في القصر؟»

فأجاب باختصار: «لقد ولدت هنا.»

فقالت: «ولدت هنا؟ هذا غريب. لا عجب إذن أن تشعر بالرغبة في التطفل والقيام برحلة الذكريات العاطفية هذه.» وتجاهلت الالتواء الساخر في شفته التي تعني أنه لا يعرف معنى الذكريات العاطفية. وأخذت تفكر بسرعة. ما دامت الكونتيسة قد أقامت في القصر طيلة حياتها... وليس لها أقارب أحياء، فلا يمكن أن يكون هذا ابن أخ أو ابن أخت. وعادت تسأله: «هل كانت أمك ضيفة هنا عندما كانت حاملاً بك أو ما أشبه؟»

لقد كانت تعلم أن هنغاريا لا بد أنها كانت تحت حكم روسيا في الوقت الذي ولد هو فيه. ولا بد ان أمه كانت صديقة للكونتيسة أو لزوج الكونتيسة البغيض، دون اهتمام منها بوضع حاجز بينها وبينه... ووقفت، ثم رفعت نظرها إليه، تبحث في ملامحه عن جواب هذه المسألة الغامضة، فهي لا يمكن أن تشعر بالراحة قبل أن تعرف هذا الجواب.

ولمعت عيناه السوداوان وهو يجيب: «لقد كان أبي يعيش في القصر. وقد خرجت أنا حين كنت ما أزال طفلاً رضيعاً.» ولامست يده رأسها، فجفلت وتراجعت إلى

www.elromancia.com

الخلف، بينما تابع هو قائلاً: «إن ضوء القمر يجعل شعرك يبدو كالحرير الأسود الخالص.» وكان بحديثه هذا، يحوّل مجرى الحديث من الواقع إلى الغزل.

وسألته بجمود: «أحقاً؟ لقد علمت انك لا بد أن تكون قصير النظر، ذلك أن لون شعري في ضوء النهار هو كستنائي.»

أجاب بلطف: «إنني لست قصير النظر. فان كل ما يتعلق بصحتي هو سليم مئة بالمئة، أما قوتي فهي ستة سلندر...» وازدردت سوزان ريقها بعد ان أدركت ما يعنيه بذلك. وارتسمت على وجهه ابتسامة عريضة لردة الفعل التي ظهرت عليها، وهو يتابع قائلاً: «إن ما أريد قوله هو أن شعرك هو أجمل شعر رأيته في حياتي. كما ان ملامحك في غاية الشفافية وكذلك عيناك...»

فقاطعته وقد ثار ثائرها لهذا النفاق الذي يغلف كلماته: «عيناي تخجل منهما النجوم. كفى غزلاً.»

والتقت عيناها بعينيه، لحظة قرأت فيهما الحقيقة. فهذا لم يكن غزلاً عارضاً وانما هو فعلاً يراها جذابة.

ورفعت رأسها إليه فتماوج شعرها الكثيف حول كتفيها وهي تقول: «فلنكفّ عن ذلك، فقد شطّ بك الكلام.»

فأجاب بلهجة واثقة: «إن تقدمنا سيكون أبعد من ذلك... ثم ان عليّ أن أعترف بأنني شعرت بالراحة عندما رأيتك تفسرين اهتمامي بك بمثل هذه الرقة. فقد وفّرت عليّ عشرين دقيقة على الأقل من الحديث والاقناع.»

قالت غاضبة: «يا لك من متغطرس...» ولم تستطع مقاومة نظراته. ومضت لحظة قبل أن تستطيع تمالك نفسها. إلى ماذا تراه يهدف؟ وقالت بحدة: «ليس ثمة ما يحتاج إلى

كثير من التفسير. فإن إشاراتك كانت من القوة بحيث يدهشني أن لم تلتقطها محطات الإذاعة. إنني أعلم ان ثمة تقليداً يجعل في الأعراس وصيفات للعروس مهمتهن منح من يشاء من المدعوين الاهتمام الزائد في العرس. ولكن هذا لا ينطبق عليّ أنا. فإذا كنت تسعى إلى التسلية في هذا المساء، فعليك أن تتسلى بأشعة ضوء القمر.»

فقال بلطف متجاهلاً تعنيفها هذا: «لا أظن ذلك. فأنت واعية تماماً لما بيننا.»

فردت بحدة قائلة: «نعم، إن ما بيننا مسافة قصيرة وأنا أنوي أن أجعلها نصف ميل.»

فقال آمراً وعيناه في عينيها: «بل ابقي مكانك، ودعيني أشرح لك الخطط التي وضعتها لأجلك.»

فتمتمت قائلة: «اشرح ذلك للسمك في البحيرة. فإن الامساك بواحدة منها أسهل من ذلك.»

وابتعدت عنه بازدراء ولكن الضيق تملكها وهي تشعر أن عليها أن تقطع المسافة التي تقيّدها إلى هذا المكان. وأخذت توسع خطاها، عابسة الوجه.

كان يضحك وهو يناديها قائلاً: «إننا سنجتمع مرة أخرى، يا سوزان يمكنك أن تثقي بهذا.»

كانت توسع الخطى، غاضبة في الباحة الخضراء. وكانت تعلم أنه يراقبها. وتجمد ظهرها وكتفاها تحت وطأة نظراته، وأحست لدى ضحكته تلك، بنذير خطر ما. وتعثرت خطواتها فصرت بأسنانها وهي تتابع طريقها مسرعة إلى أن تقطعت أنفاسها وأوشكت على الاغماء وقد غمرها العرق في تلك الليلة الدافئة.

الفصل الثاني

وعاد إلى سوزان تفكيرها المنطقي وهي تصل إلى الشرفة الأمامية المضاءة للمنزل، فوقفت لحظة تلتقط فيها أنفاسها وتتمالك نفسها. أية معتوهة كانت، وأية بطلة ضعيفة منهارة، اذ تحاول التصدي لغريب مثل هذا، تحيط به هالة تنذر بالخطر. لم يسبق لرجل قط، من قبل، ان جعلها تنسى هدفها في الحياة، مقنعاً إياها بالتفكير في الحب والعواطف التي سبق وتعمدت اغفالها. وهذا العمل الذي قام به لازلو قد اثار انزعاجها البالغ، فقد جرح الكرامة التي كانت تشعر بها اذ تكرس جهودها لهدف واحد هو طموحها.

لقد كانت منحت نفسها ثماني سنوات يمكنها، في نهايتها، ان تدير عملاً خاصاً بها بنجاح، بالطبع، وبعد ذلك يمكنها ان تفكر جدياً برفيق العمر. فهي، قبل ذلك، لن تكون قد حققت املها كما أن عقلها لن يكون بالنضج الكافي الذي تتمكن معه من اختيار الرجل المناسب.

كما انها لا تعرف الكثير عنهم، وكانت في حداثتها تحت هيمنة شقيقتها وصديقتها ماريان والتي كانت مثلها الأعلى، واجمل النساء اللاتي عرفتهن. أما اختها الكبرى تانيا، فقد كانت تمثل لها الأم، مع أن غرامها باسطفان قد أحالها إلى عروس تشع اشراقاً وجمالاً، وارتسمت على شفتي سوزان بسمة محبة.

ان تانيا تستحق كل سعادة في العالم بعد حياتها الحافلة بالمشاكل.

أما بالنسبة اليها فهي تعتبر الرجال جميعاً مخيبين للآمال. وكان الفتيان في المدرسة يثيرون حنقها بالحديث الدائم عن كرة القدم، ومزاحهم الدائم. حتى الرجال في مدرسة الفنون كانت تراهم غير ناضجين بالنسبة اليها كما شعروا هم بالضجر من نظرتها الجادة إلى الحياة، وهاجسها الأعمى المستحوذ عليها وهو ان تشق طريقها في الحياة بنفسها، لا تريد ان يعيقها اقرباؤها.

وعلى الرغم من أجراس الزواج التي ابتدأت تقرع في الأسرة، فقد اقسمت هي على ألاّ تدع شيئاً يحولها عن أول حب تملكها منذ ان تعلمت مسك الابرة، الا وهو الخياطة وتصميم الأزياء.

ربما كان ذلك راجعاً إلى أنها الصغرى بين اخوتها، ولكنها كانت متلهفة إلى عمل خاص بها، وإلى استقلالها الشخصي، وهي ستحقق كل هذا بطريقتها الخاصة.

ومر من امامها شخص، وكان صامتاً، انه لازلو، وطرفت عيناه ناحيتها لحظة، ساورها بعدها شعور ساخر.

وتمتم: «أتأخذين قسطاً من الراحة تلمين بها اشتات نفسك؟»

قالت بجمود: «سوف اقيدك بالحبال اذا لم تتركني وحدي.»

وتأوهت وهي تصر على اسنانها، وكبحت في نفسها الرغبة في ان تلحق به لتسأله عن السبب في اقلاقه لها بهذا الشكل، وما هي علاقته باسطفان، وما هو غرضه منها.

ما أغرب ادعاءه ذاك بأنه عاش في القصر، ومن المؤكد انه لم يكن طفلاً لخادمة خاصة، وهو بهذا الزهو

والاستبداد. عليها ان تسأل عنه اسطفان نفسه، هذا ان امكنها الاقتراب منه. واستقرت عيناها على صهرها بمودة ظاهرة وهو محاط بالمهنئين.

وأمسكت اختها تانيا بذراعها وهي تقول بلهفة: «سوزان، لقد كنت ابحث عنك في كل مكان. ان ليندي الصغيرة اسقطت ثمار الفريز على ثوبها فماذا عليها أن تفعل؟»

فأجابت شاردة الذهن: «فلتأكلها.»

وتناهى إلى سمعها صوت لازلو الغامض يقول: «اسألا الكونتيسة عن منظف شعبي بالاعشاب.»

وقالت تانيا وهي تميل، ضاحكة، نحو الرجل: «شكراً.» كان على مسافة عدة انشات فقط من كتف سوزان، بينما كانت تانيا تتابع قائلة: «ان شقيقتي هي اوعى انسان وادعى إلى الثقة في العالم. ونحن دوماً نلجأ إليها لايجاد حل لأية مشكلة عملية.»

فتمتم لازلو: «يبدو ان هذا صحيح.»

وأشاحت سوزان بوجهها بعيداً عنه وهي تمتم قائلة: «انني افكر بشيء يفيد بعض الناس.»

ورمقت لازلو بنظرة ذات معنى ثم هربت عابسة الوجه، مخترقة جموع الراقصين لتخرج إلى قاعة اكثر هدوءاً حيث استندت إلى مرآة في جدار، شاعرة بالارتياح ثم تنهدت، وهي تتنفس بعمق.

«هل تشعرين بأنك محصورة؟»

وشعرت بخفقات قلبها ترتفع لسماعها ذلك الصوت الرقيق، والضحكة الساخرة. لقد اصبح كابوساً فعلاً. ترى

هذا الرجل لن يتركها وحدها أبداً؟ وسرى الصقيع في جسدها وهي تدير اليه رأسها بكبرياء، ولكن وجهها كان يتوهج ارتباكاً، بينما يداها مبللتان بالعرق. وتجهم وجهها امتعاضاً وهي تنظر إلى الرجل الذي كان بقرب صورة فارس بالحجم الطبيعي، والذي لاحظت، وهي تقطب جبينها، انه يشبه لازلو إلى درجة غريبة.

وقالت ببرود: «ماذا عن القيد؟»

فقال وهو يتناول من اناء قربه، قطعة حلوى اخذ يمضغها وهو يقول متأملاً: «انك تتجنبينني.»

فأجابت تقلد شيئاً سبق وقاله لها: «انني اشعر بالارتياح لتفسيرك عدم اهتمامي بهذه الدقة.»

فقال: «انك تؤجلين مالا مناص منه، لا بد انك ادركت انني ارغب جداً في التحدث اليك وان لدي، على الأغلب، سبباً قوياً لهذا.»

سألته بجفاء: «وما هو هذا السبب؟»

فابتسم بفتور وهو يبتلع الحلوى، ثم قال: «ان عندي اسباباً عدة. ألقي نظرة على نفسك.» فانطلق نظرها الى المرايا الكبيرة في القاعة... كلا... هذه ليست هي... لا يمكن ذلك. كانت تبدو غير جميلة ولا تلفت النظر، لقد شغلها، استغراقها في اظهار جمال الأخريات عن الاهتمام بمظهرها هي.

وسألها: «ماذا ترين؟»

فردت بحدة: «امرأة تثير الملل.» ورغم ردها هذا، فقد بقيت تنظر الى صورتها في المرآة. لقد بدا شعرها الطويل الكستنائي غير منتظم حول وجهها ذي البشرة العاجية. بينما منحت الأضواء المسترسلة من الثريا فوق رأسها ومن

www.elromancia.com

الشموع الطبيعية حولها، منحت شعرها البسيط لمعاناً وتألقاً يبعثان على الخيلاء.

فعاد يقول وهو يضحك بهدوء: «ألقي، مرة أخرى، نظرة موضوعية.» ورمقته بنظرة جانبية، ليلقي عليها نظرة طويلة بطيئة زادت من سرعة خفقان قلبها. وتابع قائلاً برصانة: «لا تنظري إليّ، بل إلى نفسك.»

واحمر وجهها وهي تنظر امامها، غير قادرة على تجنب انعكاس صورتها في المرآة. ومالت برأسها إلى جانب، كانت تبدو اكثر نحولاً مما تذكر. ولكن ذلك بسبب اندفاعها، في الأيام الأخيرة، هنا وهناك بسبب استقالتها من فحص حساباتها لتوسيع اعمالها. وهكذا، كما رأت الآن، قد برزت عظام وجنتيها فبدتا كوجنتي عارضة ازياء.

وقالت: «لقد نظرت، ولم يتغير شيء في موقفي نحوك، وما تريده لا يهمني ابداً. اذهب ولاحق امرأة اخرى.» وعندما رأته لا يتزحزح من مكانه عادت تقول بيأس: «ان الرجال ليسوا جزءاً من تصوراتي لحياتي. وانت مزعج وغير مثير للاهتمام.» وكانت تكذب في هذا.

«لقد سبق وقلت لك انني الجواب لكل تمنياتك. ويمكنني ان اكون ذا فائدة كبرى لك. هل يفزعك اهتمامي بك؟»

فقالت بلهجة لاذعة: «لا تمدح نفسك. ان عالمي مؤلف من النماذج الورقية والمقص وكذلك من الخيوط ومخازن البضائع والأقمشة الجميلة. فأنا لا استطيع ان احشر رجلاً بين كل هذا. اسأل عن هذا كل من حولك هناك ممن يعرفني. فان عندي هدفاً في الحياة اذا كان علي ان احققه، فلن يبقى عندي وقت لأي شخص.»

«أي شخص؟ لقد كان تفكيري يتجه إلى غير ذلك.»

«لا اوافقك على هذا. لا بد انك تعلم، طبعاً، انه، لدى ادنى اشارة إلى علاقة بيننا، فان اصدقاءك سيتهمونك بخطف الأطفال.»

ولكن لم تبدر منه حتى اشارة امتعاض او ردة فعل لهذه الاهانة، بل اجاب بصوت منخفض اجش: «وكذلك سيقول اصدقاؤك، كما اتوقع، وعلاقتنا ستصبح صعبة. ولكن، اية اهمية لهذا بالنسبة للفوائد العديدة؟»

وشعرت سوزان بقشعريرة خوف تسري في جسدها. لشد ما هو متأكد مما يقول، يبدو انه قد ثبت في ذهنه تماماً انه ستحدث بينهما علاقة سيتعرضان، من جرائها، إلى لوم معارفهما، وقطبت جبينها وهي تهم بالذهاب، فتمتم قائلاً: «اذهبي، اذا شئت، ولكن ارجعي. وأنا سأكون هنا. تكلمي وسأجيبك، استمعي فتسمعينني اتنفس. فكري فأقسم انا أنني في افكارك.»

وكان هذا صحيحاً، وذهلت وهي ترى نفسها تهتز، وتشبثت بمنضدة قامت بجانبها، ووجهت اهتمامها إلى برودة الرخام الذي يغطيها، وذلك لكي تصرف ذهنها عنه.

وقالت ببرود: «يا للسخافة، ان الأوهام تستبد بك. اذا انت سببت لي أيّ ازعاج... فأنا سأجد من يستجيب لندائي...»

فأجاب دون أن يبدو عليه أي انزعاج: «لا يمكن لك ان تسمحي بالقائي خارجاً، اذ ستكون هنالك فضيحة كبرى ولن تصفحي لنفسك هذا ابداً، بعد ذلك.»

فقالت بانفعال وقد جفت شفتاها: «فضيحة؟ ولماذا؟»

فأجاب: «لأنني من الأقارب.»

وفتحت فاها بذهول... هل نطق حقاً بما سمعت؟ وكررت قوله بغباء دون ان تفهم تماماً ما يعني: «من الأقارب؟ من أقاربي؟»

ورفع عينيه، بكبرياء، شاعراً باهتمامها، الى لوحة الفارس على الجدار، وهو يقول: «من اقاربك بالزواج. ذلك انني امت الى الكونت اسطفان بصلة القرابة.» وسمعت رنة الفولاذ في صوته، ورأت بريق الكراهية في عينيه، فشعرت بالخوف، اذن، فلم تكن ملاحقته لها من قبيل الصدفة. لا بد انه كان يريد، عن طريقها، التوصل إلى إيذاء صهرها الكونت انها متأكدة من ذلك الآن.

وقالت متهكمة، على الأقل لوضعها القوي: «هذا مستحيل، انني اعرف قصته كما يعرفها كل انسان. فان اسطفان هو الولد الوحيد للكونتيسة. اما بقية اسرتها، بما فيهم زوجها الروسي، فهم أموات جميعاً.»

«انك لا تعرفين شيئاً وكذلك اسطفان، اما الكونتيسة فهي، على كل حال مسألة أخرى.» وبدا عليه ذلك التوتر العنيف مرة اخرى، واحست هي بألمه ذاك فعلمت ان ثمة شيئاً اعمق من الكراهية جعلته يدعي القرابة إلى عائلة هوزار.

وقالت ببرود: «هذا هراء، ان هذا ادعاء منك. فليست هناك أية قرابة، وإلاّ لدعتك الكونتيسة إلى حفلة الزفاف هذه! ومن الواضح انهم يكرهون وجودك...»

فقاطعها ساخراً: «نعم، كما يكرهون وجود جثة حول وليمة العرس. ذلك ان معرفة الكونتيسة بوجودي سيدمرها. وهذا هو السبب في اننا، انا وأنت، سنتوصل إلى بعض التدابير.»

فقالت مستنكرة: «لن نقوم بذلك ابداً.»

«اننا، اولاً، سنعقد صفقة. فأنا قد لا أقرر ان اعلن عن حضوري لبقية الأسرة، اذا انت وعدتني بأن تستمعي إلى أمر مهم أعرضه عليك...»

فشهقت وهي تقاطعه قائلة: «هذا خارج عن الموضوع. انني لا اهتم بأي امر يعرضه علي متطفل في يوم عرس أختي. وأظنه من الأفضل لك ان تخرج قبل ان اجعلهم يلقون بك خارجاً. انه ليس لك الحق في...»

فقال مصراً بهدوء: «بل لي الحق.»

فتنفست سوزان بغضب وهي تجيب: «هذا هراء وسنرى أي حق تملكه. انني ذاهبة للبحث عن اسطفان واخبره عن وجودك واجعله يلقي بك خارجاً. وأنا سأتفرج على كل هذا، مسرورة، واهنئه على عمله.»

هز كتفيه دون اكتراث، قائلاً بصوت منخفض: «كما تشائين. اخبريه بذلك فتدمرين سعادة شقيقتك.»

وبينما وقفت هي مذهولة، اتجه هو إلى باب المكتبة حيث دخل معيداً اغلاقه خلفه، وكأن له كل الحق في الذهاب الى اي مكان يريد.

وشعرت سوزان بجسدها ينتابه الوهن، سعادة تانيا؟ ما الذي يعنيه بهذا؟ وكيف...؟ وتنفست بعمق بعد ان كانت حبست انفاسها ازاء تهديده الوحشي. ولثقته الكاملة بنفسه وتصرفاته التي تدل على أنه يدرك كل شيء، وهذا ما جعلها تصدق، غريزياً كل كلمة قالها.

وركضت، إلى المكتبة، لتدفع الباب. كان جالساً في مقعد اسطفان المفضل، وفي يده احدى الكتب المجلدة، وقد مد

ساقيه الطويلتين بكل رحة، مبتسماً لها لحظة دخولها وكأنها خادمة استدعاها.

وسألته بحدة: «وكيف اهدئ سعادة تانيا؟ انك تكذب، فاذا كنت ذا قربى كما تدعي، لكانوا استقبلوك باذرع مفتوحة.»

فرد عليها بخشونة: «هيا، تابعي كلامك، وفكري في السبب الذي ربما يجعلهم يستقبلونني بالكراهية والخوف.»

فقالت بحدة: «ربما لأنك رجل كريه جداً.»

فقال بلطف: «يا لك من مشاغبة مثيرة للاستفزاز، ومتهورة جداً بكلام كهذا تريدين اغضابي به. من يدري ما باستطاعتي ان افعله تجاه حياتك وحياة شقيقتك؟»

ومشت نحوه ببطء، وهي تجاهد في استعادة صفاء ذهنها. ووقفت فجأة، وهي تزدرد ريقها، قائلة بعد ان نجحت، نوعاً ما، في تهدئة نفسها: «انك تلوح بالتهديد. وهذا يعني انك تعلم شيئاً عن اسطفان او الكونتيسة. شيء هو سر كريه من الماضي.»

فأجاب ببطء: «نعم.»

وأصابها الذعر بالغثيان، فأخذت تحدّق في يديها المرتجفتين. كان ما تسمعه من الفظاعة بحيث لا يحتمل التفكير فيه.

ورفعت نظرها اليه وهي تهتف ظافرة: «انني اعلم الآن، انك تدعي ان اسطفان هو دجال ومنافق.»

فانفجر ضاحكاً مما جعل الارتباك يغمرها. ثم قال وهو مازال يضحك: «انه ابن الكونتيسة. لقد اثبت فحص الدم هذا، والا لما وافقت السلطة على اعادة بيع الأملاك اليه. عدا عن ان المرأة التي لا يمكنها تمييز ابنها، هي امرأة مسكينة.»

وشعرت، لسماعها هذا، بارتياح لا يوصف، انه لن يدعي اذن، ان اسطفان هو رجل مخادع، وبهذا ليس ثمة خوف من ان يتحطم عالم الكونتيسة، لقد تزوج اسطفان وتانيا اخيراً وصار بامكانهما ان ينسيا آلام الماضي حيث كانت فرقتهما ظروف قاسية. لقد تكبدا الكثير من المعاناة، ولكنها، هي، كانت واثقة من ان حبهما سيصمد الآن أمام أيّ شيء.

وببرصانة، رفعت وجهها تحدق اليه بعينيها الكستنائيتين، لتقول ببرود: «ان أفراد اسرتي متعاطفون جداً، ويسند الواحد منهما الآخر حتى النهاية. والكونتيسة قد اصبحت الآن عضواً في اسرتنا وكذلك اسطفان. وأنا أعرفهما إلى حد يجعلني متأكدة من انه لا يمكن لأي منهما أن يقوم بعمل شائن. وأنا أحترمهما جداً وأكن لهما كل الاحترام. فاذا كان قد سبق وعاملك احدهما معاملة سيئة او اذا حدث خطأ ما، او اية شكوى منك تجاههما، فأنا متأكدة من انهما سيقومان باصلاح الأمر.»

فقال متكاسلاً وهو يغلق الكتاب بشكل نهائي: «هل يمكنك ان تراهني بحياتك الحلوة، بأنهما سيفعلان ذلك؟»

ولكن تغيراً ما لبث ان ظهر في ملامحه، فقد توترت عضلات وجهه واحمرت عيناه غضباً. ونظرت الى فمه المتصلب ثم غاص قلبها بين ضلوعها.

وسألته بخشونة: «ما الذي ترجو ان تنال منهما؟ اتريد مالاً؟ عملاً؟»

فرفع حاجبيه نفياً وهو يجيب: «ها قد استجبت اذن؟ صرت مستعدة للاستماع وللحديث؟»

وقبل ان تتمكن من الجواب، دار مقبض الباب، وقبل ان

تصل اليه لتفتحه، اذا بأختها ماريان تدخل وخطيبها فيكادو في اثرها.

وتنهدت ماريان وهي تقول: «ما أجمل هذا، أن تحاول الواحدة منا ان تجد مكاناً تنفرد فيه مع خطيبها، فتكتشف ان اختها الطفلة قد سبقتها اليه.» ومنحت اختها التي اجفلت لرؤيتها، ابتسامة عطف وهي تتابع قائلة: «انك لن تجدي عيني ذلك السيد هنا يا سوزان! فهو من الغموض والضجر والشعور بالنعاس بحيث لن يفكر في قراءة الكتب.»

وأطبقت سوزان فمها الذي كانت قد فتحته ذهولاً لمرآها، ثم ادارت رأسها نحو لازلو لتجده قد اختفى، وهتفت: «لقد كان هنا، كان هنا يا ماريان، وهو قد...»

فقاطعتها اختها: «قد اختفى من الوجود. هل أنت بخير يا حبيبتي؟» وركزت انظارها عليها وهي تندفع نحوها لتضع كفها على جبينها تجسه وهي تتابع قائلة: «ان جبينك شديد الحرارة...»

فقالت سوزان تتصنع المزاح: «انني اهذي... في اي عمر يكون الانسان عندما يبدأ بالخرف؟»

فقال فيكادو وعلى وجهه ابتسامة عريضة: «فوق الواحدة والعشرين، لماذا لا تذهبين للتفرج على الراقصين وتبقين بصحبة ليندي؟ ان ثوبها «الفولكولور» سيعجبك وقد يوحي اليك ببعض الأفكار.»

فأجابت بابتسامة ذات معنى: «وذلك لكي تبقى مع ماريان لكي... تتحدثا.» وسمعت من خلفها صوت نافذة تقفل بخفة، فوقف شعر رأسها هلعاً. كان لازلو يزحف في انحاء الغرفة كاللص في الليل. وخرجت من الغرفة وهي تظهر المرح قدر

امكانها وملوحة باصابعها تودع الخطيبين خلفها.

ووقفت هي بانفعال، وذراعها في ذراع ابيها وليندي ابنة فيكادو ومضوا يتفرجون على الرقص الشعبي بالملابس الفولكولورية، محاولة ان تحتفظ ببسمة استمتاع على وجهها. ان لازلو من الممكن ان يبرز في اية لحظة الآن، ليعلن شيئاً رهيباً. وسواء كان ذلك صحيحاً ام زائفاً، فان اباها ليس في حالة من الصحة والقوة بحيث يحتمل المأساة التي يهدد لازلو بالكشف عنها.

وعلى غير عادتها، لم يكن اهتمامها المهني كثيراً بتلك الملابس الشعبية التي ترتديها الراقصات. تلك الملابس المخرّمة وثنيات الأكمام العريضة، والصدرات المنشاة ذات الأشرطة. وكانت التنانير المختلفة الألوان تتماوج حولهن، والجاكتتات القصيرة تتثنى هنا وهناك اثناء رقصة الزفاف، بينما كانت هي تفكر في لازلو قلقة لادعائه بامكانه تقويض سعادة تانيا. هذا العمل الكفيل بأن يكون له عليهم جميعاً بالغ التأثير.

وألقت بنظرها إلى حيث كانت شقيقتها الغالية تقف قريباً منها تحيطها ذراع عريسها اسطفان، وعصر الألم قلبها لمرأى امارات الحب بينهما.

لقد كانت تشعر في اعماقها ان تهديد لازلو لم يكن شيئاً خيالياً. فهو ليس بالفتى الحدث الذي يسعى وراء مكسب ما... او يقوم بلعبة حمقاء. فملاحظاته الساخرة تخفي الكثير من الغضب والاستياء. ولكن اكثر ما يخشى منه هو ذلك الشعور بالظلم الذي قد يدفع بغضبه إلى حد مريع.

وتملكها القلق وهي تفكر بكل تلك المتاعب القادمة. لماذا

أتى اليها؟ لماذا لم يذهب إلى اسطفان رأساً؟ وفكرت، متهمكة، في انه ربما كان خائفاً من الكونت ذي النفوذ، فرأى فيها، هي الأخت الصغرى، المرأة السهلة القياد.

أما الآن، فهي ستؤجل اخبار اسطفان بكل هذا. وذلك تحسباً لما قد يحدث. ولكن كان على وشك ان يقول شيئاً عندما ظهرت ماريان ولم يشأ هو، لأمرما، ان يظهر نفسه. واحتفظت بذلك في نفسها، فقد يكون هذا افضل.

وقال لها ابوها: «انني متعب قليلاً، يا عزيزتي.»

فأجابت برقة شاعرة بالذنب كونها لم تفكر في راحة ابيها: «احقاً يا أبي؟ سأصعد معك إلى غرفتك. انه موعد نومك انت ايضاً يا ليندي.» وارتسمت على فمها ابتسامة دافئة، فركضت الصغيرة امامهما مسرورة.

وقال ابوها مفكراً وهما في طريقهما نحو السلالم: «لو كانت امك موجودة لأعجبها عملك هذا.»

فاحتضنته بشدة وهي تهمس: «يا أبي العزيز، لقد احببتها انت ايضاً.»

فأجاب: «فلتمنحك الأيام من يحبك كما احببتها.»

وفاضت مشاعرها وهي ترافقه نحو غرفته، فترى شؤونه وما يحتاجه، ثم تبقى معه فترة. وفكرت، بارتياح، ان اي شيء قد يحدث الآن، فان اباها، على الأقل، لن يكون موجوداً.

وساورها الانزعاج وهي ترى نفسها تنظر حولها خلسة، وهي تجتاز الممر. كما لو كانت تخاف من ظهور لازلو، وسمعت صوت ماريان يقول: «هل انت احسن حالاً يا سوزان؟»

فأجابت كاذبة ببشاشة: «آه، أحسن كثيراً.»

فقالت ماريان: «ان فيكادو يقرأ قصة لليندي.» وكانت تحمل على ذراعها ثوب الصغيرة الملوث بثمر الفريز. وهبطتا معاً السلم بينما كانت سوزان لا تكاد تنتبه الى ثرثرة اختها عن ابنة فيكادو. فقد كان ثمة ما يثير قلقها اكثر من هذا. وعند ذلك، قرصت ماريان ذراعها بخفة وهي تسر اليها بقولها: «لا تنظري الآن، ولكنني متأكدة من انني رأيت ذلك الرجل المحير، المعجب بك، ونظراته مصوبة إليك.»

وتصلبت سوزان وعيناها تلتقيان بعينين ماكرتين في الطريق الى القاعة. ها هو لازلو يعود... وحسبما يبدو عليه، فقد كان الثأر يطل من نظراته.

وأجابت قائلة: «لا تكوني سخيفة، فهو ينظر اليك انت كما يفعل الرجال دوماً.»

فضحكت ماريان وهي تجيب: «ليس عندما يكون فيكادو موجوداً، يا سوزان، انه كما قلت واكثر، وهو، كذلك، يكاد يلتهمك بانظاره.»

وتنهدت هل يبدو ذلك واضحاً الى هذا الحد؟ وأخذ صدرها يعلو ويهبط بسرعة وهي تقول: «انك تبالغين كالعادة.»

وعادت ماريان تقول: «انك مهتمة به، كما ارى، فحذار يا عزيزتي، فهو يبدو ماكراً تماماً... كما انه ليس من النوع الذي يهتم بالزواج.»

وضحكت سوزان لقول ماريان ذاك، ثم قالت: «أنا لا اتصيد زوجاً. خصوصاً من ذلك النوع. ان عندنا الآن ما يكفي من الزواج والخطبة...» وابتسمت للكونتيسة، التي اقبلت نحوهما لتأخذ الثوب الملوث، وقالت لها: «لا تدعي

ماريان تشتغل خاطبة.» وكانت تحاول ان تجعل من ذلك مزحة وهي تتابع قائلة: «فأنا اريد ان اكون خالة وعمة عشرات المرات، قبل أن أفكر بتكوين علاقة لنفسي.»

ورفعت ماريان عينيها وهي تقول: «دعيني من ذكر الأطفال الآن. ولا تنسي انني لم اتزوج بعد، أريد أن أعمل واستمتع بحياتي فترة، قبل ذلك.» ونطقت بكلماتها الأخيرة وهي تندفع نحو قاعة الرقص.

وتنهدت الكونتيسة وهي تقول: «ما أجمل الأطفال، سواء كانوا ذكوراً ام اناثاً، فهذا لا يهم.» وأمسكت بذراع سوزان، وهي تسر اليها قائلة: «انني اتطلع بشوق الى اطفال اسطفان انك تعرفين هذا. انهم جميعاً، سيكونون من اسرة هوزار فتعود هذه الأسرة الحاكمة من جديد، كل...» وتهدج صوتها، ثم تابعت تقول: «كل حفيد مباشر، ذكراً كان ام انثى، هو ضمان لحفظ اسم العائلة. انه تقليد متبع لكي لا نندثر ابداً.»

وأومأت سوزان برأسها وهي تقول: «يمكنني ان ادرك اهمية حفظ سلالة عائلة مثل هذه.»

فقالت الكونتيسة وهي ترتجف: «وهذا هو السبب في زواجي من شخص اكرهه. ولكنني اتمنى ان يكون قد استقر في روستوف، بلده التي اقبل منها.»

فقالت سوزان برقة: «لا تهتمي بهذا، فكل ذلك قد انتهى الآن. فكري في احفادك الذين سرعان ما سترينهم يتراكضون حولك.» وشعرت بالسعادة وهي ترى السرور يعود الى وجه الكونتيسة الرائع الجمال. وتابعت تقول: «فقد مر وقت طويل على ولادة ابنك هنا.»

وساد الشحوب وجه الكونتيسة وشفتيها، وهي تقول متلعثمة: «إب... ابني؟ لم يحدث ان ولد اطفال هنا! مطلقاً!» واستحال صوتها إلى صراخ هستيري.

كان واضحاً ان المرأة كانت تجاهد للسيطرة على نفسها، وحدقت سوزان فيها مذهولة وهي تقول بتردد: «ولكن اسطفان...»

فأجابت باضطراب: «لقد ولد في مكان آخر. فهو طفل غير شرعي. كان علي ان اخفي حملي وولادتي له والا لقتل، ولصادر الروسيون املاك الأسرة. وفي الوقت الذي عاد فيه زوجي من رومانيا حيث كانت هناك فتنة، كان اسطفان قد هرب بعيداً الى ما وراء الحدود بواسطة والدتك ليستقر سالماً في انكلترا.»

فقالت سوزان بهدوء: «لا بد ان هذا الأمر كان مؤلماً لك، اعني ان ترغمي على الزواج من رجل من الأعداء الذين احتلوا بلادك.»

فأجابت الكونتيسة بصوت خشن: «كان ذلك واجبي، ان الارث هو، قبل كل شيء آخر، اوصال هنغاريا نفسها تنتقل من جيل الى آخر. هل تفهمين هذا؟»

فأجابت بصوت اجش: «نعم، افهم هذا.» وأخذت تتذكر كيف قتل والد اسطفان وهو يعبر الحدود مع اسطفان، ولفت ذراعها حول الكونتيسة بعطف وهي تتابع قائلة: «اظنك في منتهى الشجاعة.»

قالت ذلك برقة وقد قررت عدم ملاحقة مسألة ولادة لازلو.

لم تكن تريد أن تؤذي مشاعر هذه المرأة التي تألمت كثيراً... خصوصاً في هذا اليوم السعيد. او... الذي كان

سعيداً قبل ان يريها وجهه. ودون وعي منها، أخذت تبحث في انحاء الغرفة، ولكنه كان قد اختفى مرة أخرى.

وسألتها الكونتيسة بصوت اجش: «ماذا... ما الذي جعلك تظنين ان ابني ولد هنا؟ ما الذي يقوله الناس؟»

فأجابت: «انه رجل...»

فقاطعتها هاتفة: «أي رجل؟»

«آه، لقد ادركت الآن، فقد اخطأت في التعبير. لقد فهمت الأمر خطأ، لقد خذلتني لغتي الهنغارية مرة اخرى. لا عجب ان نظر الي وكأنني اهذي، آسفة ان اوقعتك في مثل هذا التشويش.»

وشعرت بيد تلقي على ذراعها، وادركت من تسارع خفقات قلبها من يكون. وادارت رأسها ببطء لترى عيني لازلو، اللتين لا يسبر غورهما، تحدقان فيها.

وقال بهدوء وقد توتر وجهه وكأنه يحاول السيطرة على اعصابه، قال: «مرحبا يا سوزان. هل لك ان تقدميني الى الكونتيسة؟»

فترددت، وبدا على الكونتيسة الانتظار وكأن ليس لديها فكرة عمن يكون. وضغطت اصابعه الطويلة القوية على ذراعها بشدة جعلتها تجفل، ولكنها رفضت ان تظهر مبلغ ايلامه لها، واختارت الادعاء بأنه مجرد ضيف. وعندما رمقته بعينها اللوزيتين ادركت ان ليس لديه اية فكرة عن ايلامه لها على الاطلاق... فقد كان كل كيانه مركزاً على تلك المرأة البيضاء الشعر الواقفة امامه.

وقالت وهي تلهث: «الكونتيسة آنا، وهذا لازلو...»

وقال برصانة، مقبلاً اليد الممدودة التي أمسكها بيده

وهو يحدق في اعماق عيني الكونتيسة، وكأنه يبحث عن شيء: «انني من اصدقاء سوزان.»

فقالت الكونتيسة بأدب: «ما ألطف هذا.»

قال بهدوء: «انك اسرتني بلطفك يا كونتيسة.» ومضت فترة صمت محرجة. وبدا على لازلو انه يحاول السيطرة على مشاعره او، كما فكرت سوزان، ربما كان يقلب الأمر في ذهنه عما اذا كان من المناسب ان يفشي سره، وتوسلت اليه بعينين رقيقتين. فابتسم ساخراً وهو يقول بشكل عفوي: «لقد رأيتكما، أنتما الاثنتين، تتفحصان صور افراد الأسرة، هل هذه هي اختام اسرة هوزار؟»

التفتت بشيء من الحيرة، لتنظر الى وجوه اولئك الأجداد التي تنطق بالكبرياء والذي كان يمسك كل واحد منهم بذلك الختم الرمزي.

وتنهدت الكونتيسة وهي تقول: «آه، نعم، انها من القرون الوسطى، اعني كانت ولم تعد موجودة الآن، لقد اخذها زوجي عندما...» وازدردت ريقها وهي تبلل شفتيها الجافتين وقد بانت مرارة الكره في ملامحها. وبدا على ملامح سوزان العطف عليها. وتابعت الكونتيسة قائلة: «لقد اخذها الى روسيا. انه كان يعرف قيمتها عندي، ولكنني لم ارها بعد ذلك قط.»

وكان لازلو يتنفس بصعوبة، وقال بلطف بصوت عميق ينضح بالمشاعر: «انني اعرف قصتك، يا كونتيسة، ولكنني اعرف ايضاً ان زوجك الروسي هو ميت الآن، وان مرحلة جديدة من حياتك على وشك البداية.»

وبدت لهجته غاية في الرقة والاحساس. ولكن سوزان

امكنها ان تشعر بتوتر في جسده احاله الى مثل الصخر.

والتقت عيناها بعينيه، وأدركت، من التعبير الذي بدا فيهما، جهاده ازاء تضارب افكاره. وعندما فتح فاه ليتحدث، سارعت هي تقول: «دعنا نرقص.» لقد كانت مستميتة في أن توقف لازلو عن تعذيب الكونتيسة بأكاذيبه... او ربما وهذا هو الأسوأ، بحقائقه.

تمتم ساخراً: «لقد انقذتها الفتاة الجميلة.»

وتذكرت الكونتيسة الثوب الملوث الذي تحمله بيدها، فاتجهت نحو غرفة مدبرة المنزل، استدارت سوزان عدة مرات تراقب الكونتيسة التي تعثرت في طريقها اكثر من مرة وهي تتمسك بأعمدة القاعة تستند اليها وكأنها لا تستطيع السيطرة على ساقيها المرتجفتين.

واشتدت قبضته على ذراعها لتدرك هي، من ذلك، انه كان يغلي بالغضب المكبوت.

لقد كان لازلو يشكل تهديداً، دون ادنى شك، لكن، هل عليها ان تنذر احداً؟ أم ان ذلك سيدمر الفرصة الملائمة، وبالتالي مستقبل اختها تانيا، كما قال؟

وتنفست بعمق، وهي تقرر ان ليس سوى طريقة واحدة لمعالجة هذا الأمر، وهي ان تواجهه، ثم تسأله.

الفصل الثالث

وشعرت سوزان بالتمزق، فقد كانت بحاجة إلى الحديث مع لازلو، ولكنها تخاف من البقاء معه وحدها. لقد كان مجرد التفكير في هذا يرسل قشعريره في جسدها.

قال لها بصوت أجش: «تعالي.»

ووقف بعيداً عنها مسافة متر أو نحو ذلك، وقد مد يديه نحوها. وهوى شيء ما في داخلها فأصابها الدوار للتفكير في ما ينتظرها. وقالت: «إن طلبي الرقص معك لم يكن سوى عذر.»

فتمتم قائلاً: «أعلم ذلك. ولكن عليك أن تحققي هذا الأمر قبل أن نخرج من هنا، ثم نبسط شؤوننا لنتحدث عنها.»

فقالت بصوت أجش: «لا أريد أن...»

فأجاب: «ولكنك ستفعلين، وأنا أصر على ذلك.»

وخفضت ناظريها وقد تشوش ذهنها، وكما لو كانت تنكر، بعناد، اهتمامها به.

كان بإمكانها أن تنتزع نفسها بعنف، وتبتعد عنه لو لم تشعر بما يشبه الدوار وقد تعلقت عيناها بعينيه المغناطيسيتين مما جعلها لا تستطيع سوى أن تجاريه في كل حركة من حركاته ممتثلة طائعة.

وفجأة، شعرت بصفق أبواب خلفها وبالهواء البارد يلفح جلدها الحار. ففتحت عينيها مذعورة لتكتشف، ذاهلة،

بأنهما قد أصبحا في شرفة الباب الأمامي، والهواء يعبق بشذا الأزهار.

ولكنه لم يتركها. وتأرجحت هي لحظة صامتة ساهمة، وقد انتابها شعور بعدم الارتياح.

نظرت في عينيه اللتين سمرتاها في مكانها وكأنهما قد شدتاها إليه بالسلاسل. وقال بصوت أجش: «إنك امرأة مدهشة جداً. فأنت فوق ما تصورت.»

فأجابت بلهجة متمردة ساخرة: «تذكر عندما نلت من غرورك، مرة، وأفسدت عليك لذة المفاجأة السخيفة تلك؟»

فضحك بهدوء، ثم تركها على نحو مفاجيء هابطاً السلم نحو الطريق. وأدركت أن عليها الآن أن تواجهه خارج المنزل هذه المرة.

وناداها معنفاً بقوله: «هيا تقدمي يا سوازان. إنك تعلمين أن علينا القيام بذلك.»

فوجمت. وكان هو مستنداً إلى شجرة كستناء عتيقة، بينما النور المنبعث من الشارع العريض المشجر، يعكس الضوء على وجهه. وتمالكت أعصابها، ثم هبطت درجات السلم، لتتوقف على بعد خطوات منه. وكانت أذيال ثوبها الهفهاف يحركها نسيم الصيف الدافيء، وغمرتها الأحاسيس إزاء نظراته، ورائحة الحشائش وقد جزت حديثاً.

واستدار سائراً بصمت نحو البحيرة. وتبعته هي حيث لم يكن امامها خيار آخر، وقد صممت على أن تحل هذه المشكلة بشكل أو بآخر.

وقال بهدوء: «لقد تأخرت في الوصول.»

وشعرت بدمها يغلي في عروقها وهي ترد عليه قائلة: «إنني لست دمية تسير على الساعة...»

فقال: «ولكنك كنت تعيشين بهذا الشكل، كما فهمت.»

فأجابت: «اسمع، إنني لست لعبة بين يديك، ولا أريدك أن تسيطر عليّ.»

فتمتم باسماً إزاء تمردها هذا: «عليك أن تعتادي على ذلك، فثمة الكثير أمامنا.»

قالت تأمره باقتضاب: «تكلم. لقد كنت تشير دائماً إلى أن هناك ما تعرضه، فدعنا نسمع.»

«كنت آمل أن اسمع خططك أولاً.»

ورمقته بدهشة، ثم قالت بصوت متشنج: «يبدو أنك تراجعت. إنني أعد للعشرة، فإذا لم تقدم إليّ أيضاحاً عن تصرفاتك الغريبة هذه، فإنني سأعود من حيث أتيت.»

فتمتم قائلاً: «لا تثيري اعصابك، وفكي يديك، وتنفسي وإلا أصبح لونك أزرق.» وضحك عندما أطاعته، ولكنها عادت فغضبت مرة أخرى عندما قال: «أظنك تسعين إلى علاقات عمل هنا.»

واتسعت عيناها وهي تنظر إليه، ثم سألته بهلع: «كيف علمت بهذا؟ ومن هو الذي كان يتحدث عني؟»

فأجاب: «إن لدي علاقات عمل مع أصحاب شركات للنسيج كنت أنت قد راسلتهم في هنغاريا.»

وغاص قلبها بين ضلوعها وهي تتمتم: «آه...» لم يكن هذا ما كانت تريد سماعه، إذ بإمكانه أن يعسّر الأمور أمامها ساعة يشاء. وتمتمت: «تابع كلامك.»

قال لها: «إن بإمكاني أن اساعدك، وهذا ما كنت أعنيه

عندما قلت لك إنني المنقذ.» وابتسم بتكاسل وهو يتابع: «إنني منقذ مالي، يقرض المال لمن يحتاجه.»

سألته بغضب راجية ألاّ تكون كل القضية عبارة عن اقراض مال: «ولماذا تريد أن تساعدني؟»

فأجاب: «اعجاباً بالطموح وتقوية له.»

فنظرت إليه بازدراء وهي تقول: «يجب عليك، إذن، أن تعجب باسطفان.»

وضحك، وحول الجاذبية غير العادية في وجهه، وعينيه الصافيتين المسيطرتين اللتين أخذتا تحدقان فيها، حول، كل ذلك، انتصارها إلى قلق. وقال: «إنني أعترف بإمكانياته. ولكنني، في هذه اللحظة، مهتم بك أنت.»

وتنفست بعمق وهي تقول ببرود: «هل لأنك تريد أن تجعل الشابات شاكرات لك؟ وهل تريد أن تستعبد بعض الفقيرات اللاتي تساعدهن؟»

فأجابت بجفاء: «لن أرد على ذلك، ودعينا نستقر على بعض النقاط إنك تريدين أن تؤسسي عملاً من قريتك هو ارسال البضائع بواسطة البريد، ربما لإقامة عمل مطلوب كثيراً هناك، لكي تحققي أحلامك، وربما...» وضاقت عيناه وهو يتابع: «ربما لكي تثبتي لأسرتك أنك لم تعودي طفلة.»

وجفلت لسماعها هذا. ذلك أنه لم يكن ثمة من يعلم بهذا الأمر. فكيف تمكن من ذلك؟ وسألته بامتعاض: «ما الذي جعل هذه الفكرة تطرأ على ذهنك؟»

فأجاب: «هذا واضح. فأنت أصغر أفراد أسرتك... وقد علمت كل هذا من أخيك الذي سبق وتحدثت إليه. وهكذا جمعت اثنين واثنين معاً. ارأيت؟ إنني أدرس الطبيعة

البشرية.» وقطبت جبينها وهي تراه يعالج ربطة عنقه لينتهي بأن حلها نهائياً، ثم وضعها في جيبه.

وسألها: «ماذا فهمت من هذا؟»

وازدردت ريقها وهي تقول: «معناه أن قياس ياقة قميصك صغيرة.»

واضطربت وهي تراه يضحك بهدوء وهو يقول معنفاً برقة: «إن عليك أن تكوني اكثر مهارة مما أنت عليه إذا شئت أن تكوني ربة أعمال. عليك أن تتعلمي قوة الملاحظة، والتأمل، والتفهم. كان عليّ أن اخبرك بأنني لا أطيق القيود، ولا التحكم، ولا العادات المتعارف عليها. تذكري هذا. ولا تدهشي إذا أنت رأيتني أخرج على بعضها. هل صنعت هذا الثوب بنفسك؟»

وأجابته قائلة بهدوء: «نعم. وكذلك ثوب العروس وأثواب وصيفاتها.»

وابتدأ ذهنها يعمل. إنه على صلة برؤساء مصانع النسيج. فإذا كانت ذكية، فعليها أن تترك فيه انطباعاً بأنها على دراية بالتجارة لتحصل على بعض الفوائد بسرعة.

ولكنها ستكون مجنونة إذا هي تورطت معه، وقطبت حاجبيها وهي تحاول أن تفهم تحركاته. ولكنها لم تجد أية علاقة بين هذه الحقائق وبين الكونتيسة.

وتنهدت شاعرة بالهزيمة، وهي ترفع نظرها إليه لتجده يتأمل ثوبها بإعجاب واضح. وكان نظره مركزاً على تفاصيل الخياطة.

واخيراً قال: «لا عيب فيه.» ولم تستطع أن تدرك من النظر إلى عينيه المتحفظتين، ما إذا كان يعني الثوب أم يعنيها

هي. وتابع يقول: «إنني سأساهم بنقودي لإنجاحك.»

فأجابت ببرود: «وكذلك سأفعل أنا لوكنت أملك نقوداً. ولكنني لا أنوي أن أصنع الثياب بنفسي. فأنا أضع التصميم فقط، ثم أضع القياس للعمال.»

فقال: «بالضبط، وليمكنك أن تقومي بذلك، عليك أن تكوني ذات مستوى عالٍ أنت نفسك، يجب أن تكوني على معرفة بالتصميم والتفصيل وتنتبهي إلى دقائق المهنة. لكي تتعاملي مع الزبائن على مثل هذا المستوى. ولكي تنجحي تماماً، عليك أن تناضلي ضد المنافسين لك. ويبدو واضحاً أنك تجهدين نفسك.»

فسألته: «وكيف؟»

فأجاب بهدوء: «ما قد أنجزته حتى الآن. فقد درست اللغة الهنغارية، وخططت لمستقبلك، وعملت وقتاً كاملاً أثناء إنهاء خياطة ثياب هذا العرس، لا بد ان ثوب العروس قد استغرق من وقتك ساعات طويلة لإنهاء شغل الخرز ذاك الذي يزينه، هذا على سبيل المثال... ثم إن ثوب الرقص الذي ترتدينه الليلة، لا شك قد أمضيت ساعات طويلة في صنعه، ونجحت تماماً بذلك.»

وردت عليه بحدة: «لقد أفسدت، بكلامك هذا، كل شيء، كنت أظن أن لديك شيئاً مهماً تتحدث عنه.»

قال بهدوء: «إن عندي ما أقوله وهو أكثر أهمية مما تظنين بكثير، وهو ما أغامر في سبيله بالغالي والنفيس. لقد كنت مغامراً على الدوام، ولكن ليس كهذه المرة. والمغامرات لكي تكون ناجحة، بحاجة إلى انسجام وضبط للمشاعر، ودراسة جيدة، وحقائق ثابتة، ومقدار كبير من

الحدس. وأولئك الذين يحيلونها إلى فن رفيع، مثلي أنا، هم على اطلاع، أكثر من غيرهم، على نواحي الضعف البشري التي تجلب الفشل، وهذا ما جعلني أعلم أن باستطاعتي ان أوحي إليك في أول مرة تقابلت فيها نظراتنا بأن تخرجي خلفي للبحث عني، وهو الذي يجعلني الآن مطمئناً إلى أنك ستوافقينني على مطلبي.»

فسألته بلهجة عدم تصديق: «آه... أحقاً؟»

«نعم. إنك لا تحبين الفوضى ولا الشغب ولا الغموض. يشهد بذلك التحليل الجاد المفصل في رسائلك إلى أرباب معمل النسيج مما يظهر بجلاء أنك امرأة قديرة منظمة، تكره التشويش وتريد أن يكون كل ما تخيطه حسناً مكتملاً.»

فنظرت إليه بطرف عينيها وهي تسأله ببرود: «هل بإمكاننا أن نتابع الخياطة، إذن؟»

فالتمعت عيناه وهو يقول: «ولكن ثمة ما هو أهم في ذهني. إذ حيث أنني مموّل مغامر، فإنني أقوم بمغامرات في السوق المالية، وعندما تمتنع البنوك ورؤوس المال المغامرة عن دعم أي متقدم بمشروع طالباً تمويله، عند ذلك أتقدم أنا لذلك. إنني أفوق أي شخص آخر في تقييم وضع ما، وذلك باستخدام مزيج من المعرفة والبحث والحدس، هذا بالإضافة إلى أنه لا مكتب لدي، ولا زملاء. فأنا حر في القيام بما أشاء، وهذا يجعلني أهتم بك.»

كان هذا هو مشروعه: مجرد شؤون عملية! وشعرت بالضيق، تقريباً، وهي تعلم أن اهتمامه إنما كان موجهاً إلى أسباب تجارية اكثر منه إلى جمالها الذي يدير الرؤوس ومرت على شفتيها ابتسامة أسف. من أين جاءها كل ذلك

الغرور؟ ورمقته بنظرة ذكية وهي تقول: «وأنت، طبعاً، تظن أنني موضوع مغامرة جيدة و...»

فقاطعها قائلاً: «إنني لا اعتبرك مغامرة على الاطلاق. فإن باستطاعتك أن تحصلي على أي مبلغ تريدين لكي تبدئي به العمل. ذلك أن لديك الآن صهراً غنياً. وشقيقتك ماريان ستتزوج قريباً من فيكادو غابور الذي هو أحد أغنى رجال أوروبا وأي منهما بإمكانه أن يمولك.»

فقاطعته بخشونة قائلة: «ربما بإمكانهما ذلك. ولكنني لا أنوي طلب المساعدة منهما.» وتنحنحت متضايقة وهي تتابع قائلة: «إنني لا أريد أن يظن أي شخص بأنني استغل اموال الأسرة في تعبيد طريقي في الحياة.»

قال وقد بدا في لهجته الرضى: «هذا حسن. ولماذا؟»

فقطبت جبينها. وأجابت قائلة: «وماذا سأحققه من وراء ذلك؟ إن البقية من أسرتي لم ينالوا أي عون من أحد. فقد تمكنت تانيا من أن تؤسس عملاً لنفسها. وماريان إرتقت إلى منصب مديرة تحرير بمقدرتها الخاصة... حتى من قبل أن تلتقي فيكادو.»

فتمتم قائلاً: «إنك لست في أسفل السلم تماماً.»

فأجابت دون تواضع زائف: «كلا، فقد قمت بعمل جيد فعلاً، وبما انك سبق واطلعت على تفاصيل وضعي الخاص، فلا شك أنك تعلم أنني عضو مرموق في دائرة الملابس الفولكلورية في شركة اوبرا غليندييورن. ولكن كما ترى، مهما كان مقدار الأهمية لهذا، فإن اقتباس تصاميم رائعة من مجموعة من الأزياء، ولو كانت غير محدودة، ليس كما لو وضعت الثقة التامة في الشخص وأطلقت يده تماماً لتحرير طاقاته

المبدعة، ان معك حق في ما سبق وقلته.» وتألقت عيناها بعنف وهي تتابع قولها: «إن عندي كل الطموح لإدارة شركتي الخاصة... وبالتالي لا يعود لقبي هو (طفلة) الأسرة.»

فقال برصانة: «إنني لا أرى أية طفلة، وأنا أدرك تماماً ما الذي تتحدثين عنه. ذلك أن كون الشخص هو أصغر أفراد أسرة كبيرة، هو مما يبعث على الإعاقة والإحباط. إن الولد الأصغر محكوم عليه بأن يكون الأخير في كل شيء.»

وهتفت: «هذا صحيح. لقد أصبت كبد الحقيقة.» ها هوذا على الأقل، شخص متفهم تماماً، ولو أنها تفضل لو كان هذا الشخص أي انسان آخر غير لازلو العالم بكل الأمور. وسألته ببطء: «أظنك أنت أيضاً، الولد الأصغر في أسرة واسعة.»

فأجاب وهو يبتسم لما بدا على ملامحها من ارتباك: «كلا. ولكن اسمعي، تقبلي فقط، فكرة تعاطفي مع أهدافك، وأنني أعلم أنك تريدين النجاح بجهودك الخاصة. هل لديك من يسندك؟»

فهزت رأسها بأسف ثم قالت: «كلا. فما زال وضعي مبكراً بالنسبة للبنوك الانكليزية لكي يغامروا بتمويلي. عليّ أن احصل على بعض الوعود من شركات النسيج اولاً.»

فقال بلطف: «لقد تحقق لك ذلك الآن. فأنا سأساعدك في تحقيق طموحك هذا.»

وكانت غير متوقعة لهذا العرض. ولكنها مازالت خائفة. فهزت رأسها متمنعة. من السهل عليها أن توافق على ذلك شاكرة، ثم تنتظر أن يوافيها بالمال.

وقالت بحزم: «كلا، شكراً. إنني أفضل أن ابحث عن ذلك

في مكان آخر. وإذا كنت تظن، كما سبق وقلت، أنني لا أعتبر مغامرة مطلقاً، فهكذا سيعتبرني الآخرون، في النهاية.»

فقال: «إذن فمن الأفضل أن أخبرك أنك لن تصلي إلى أي مكان في هنغاريا من دوني.»

فرفعت رأسها بعنف وسألته بذعر: «هل هذا تهديد.»

فأجاب وقد بدت في عينيه نظرة عنف وعداء: «بل هو تعهد مني لك.»

فصرخت وقد احمر وجهها غضباً: «إنك وغد.»

فأجاب وهو يتقدم نحوها ببطء: «كلا. إنني لست كذلك مطلقاً، بعكس صهرك اسطفان.»

فقدحت عيناها شرراً. وقالت ثائرة: «ابتعد عني أو اصرخ.»

وابتسم بهدوء وقال: «عند ذلك، سيحضر اسطفان راكضاً، وكذلك تانيا، وربما الكونتيسة آنا هوزار. ثم أخبرهم أنا عن شخصيتي ومن ثم تتحطم حياتهم، لا يمكنك ان تتسببي بذلك لهم.»

رمقته من تحت أهدابها بهلع وقالت لاهثة: «من أنت؟ وكيف ستتحطم حياتهم؟»

اجابها قائلاً وفي عينيه سرور حاقد: «ان اسمي العائلي من ناحية والدتي هو (هوزار).»

وعادت تلهث قائلة: «هو... زار!» ونظرت إليه دون أن تفقه شيئاً، ثم أخذت تحاول، مستميتة، تخليص نفسها، ورفعت يديها بشكل هستيري. وتملكها الذعر وهي تراه قد رأى تصميمها ذاك في عينيها، فأمسك بمعصميها بشدة، لتبدأ معه صراعاً غير متكافىء. وقالت وهي تكاد تنشج

باكية: «دعني أذهب. كيف تجرؤ على معاملتي بهذا الشكل؟»

فأجاب بنعومة تثير الحنق: «هذا لأنه من الواضح أن لي تأثيراً قوياً عليك، جسدياً وعقلياً، ويمكنك أن تقومي، تقريباً، بكل شيء أطلبه منك. والآن، عندي فكرة.»

قالت بعصبية: «انك لن تفعل... ليس بإمكانك ذلك. إن ادعاءك هو هراء في هراء! إن كل من بقي من الأسرة هما الكونتيسة واسطفان. وهذا هو السبب في كونه غالياً عليها كثيراً.»

فقاطعها ببطء: «ان السبب في كونه غالياً عليها هو أنه ابن صديقها. ومنذ ولادته لم تره إلا منذ سنوات قليلة.» وبان الألم على ملامحه وهو يتابع مستطرداً: «ففي كل مرة تنظر فيها إلى وجهه، تتذكر الرجل الذي أحبته عندما كانت في الثلاثين من عمرها. لقد أحبت بكل طاقة امرأة أمضت نصف حياتها دون أن تعرف معنى الحب الحقيقي. فلا عجب إذا كان هذا النغل الصغير غالياً عليها.»

واتسعت عيناها لدى لمسها هذه الكراهية في لهجته. كان واضحاً تماماً أنه لم يكن يكذب ولا يمزح ولا يبالغ في الادعاء... لقد كان يكره الكونتيسة واسطفان بكل ذرة من كيانه. وهذا يعني... وشعرت بالذعر. إن عليها، إذا شاءت أن تساعد تانيا، أن تحتفظ بهدوئها وسيطرتها على أعصابها وقالت له بصوت أبح: «ان هذا طبيعي حسب قولك. فقد كان زواج الكونتيسة، والذي دام سنوات، غير سعيد.»

فأجاب: «بالضبط. لقد كانت (متزوجة).»

قالت بهدوء محاولة أن تدافع عن الكونتيسة الغائبة:

«إنني أعلم، وأنا أوافق على أن ذلك خطأ. ولكن ماذا بإمكانك أن تفعل إذا أخرج حب مدمر عن رشدك...؟»

فقاطعها مزمجراً: «كونك متزوجة، يعني عدم تجاوبك إن الزواج هو للأبد. وعليك أن تتحلي بالشجاعة وقوة الإرادة التي تجعلك تبتعدين عن كل إغواء.»

فقالت تجادله: «إن الأمر ليس سهلاً كما تقول.» ولكنها وجدت نفسها تدافع عن شيء لا تعتقد بصحته هي شخصياً. ولكنها لم تشأ أن تكون بجانب لازلو وعقيدته العنيفة غير العادية في الإخلاص، فعادت تقول: «في حالة الكونتيسة هذه، فقد كرهت زوجها واحتقرته لأنه كان روسياً...»

فعاد يزمجر وصوته يهتز من الغضب: «لقد تزوجته وكان هذا قرارها، هي التي خرجت متعمدة وعن سابق علم واصرار لكي تقابله وتفوز به. وإذا أنت قمت بخيار عن وعي وتصميم، فعليك أن تدفعي ثمن ذلك الخيار. لقد اختارت أن تستغل نيكولاي رومانوف للفوائد التي يمكن لعضو في الدائرة السياسية أن يوفرها لها...»

فقالت: «ولكنه كان قد تقدم بطلب امتلاك منزلها وأراضيها مهدداً بتحطيم كل شيء تحبه.»

فأجاب: «كان ذلك أثناء الحرب.»

فقالت بانفعال: «بل الغزو. ولم يكن أمام الكونتيسة خيار آخر. هل كان عليها أن ترى خراب الأمكنة ودمار البيوت؟ وأن يصبح الفلاحون الذين خدموا أسرتها مئات السنين، لاجئين وربما اسوأ؟ لقد كان عشرات من الناس يعتمدون عليها. كان في إمكانها إنقاذ القرية كلها... كان

ذلك طريق الحياة، ولو أنها فضلت مشاعرها الخاصة على كل هذا، لكانت أقل من امرأة...»

عند ذلك، جمد في مكانه، ولم يكن سوى صوت تنفسهما، وعاد القناع الذي كان قد سبق وانزلق عن وجهه، يكسو ملامحه بجموده.

قال لها مفكراً: «إنك رائعة الجمال هكذا.»

وأمكنها، بشكل ما، أن تسيطر على انفعالاتها فلا تضربه. وصرخت به: «هذا غير صحيح. لا تغير الموضوع. ما الذي يدور في ذهنك.» وبدا عليها غضب عنيد وهي تتابع قائلة: «وما هي بالضبط العلاقة التي تدعيها مع اسطفان؟»

تنفس بعمق وهو يقول ببطء وصوته يفيض بالمشاعر: «انك أول شخص يسمع هذا. وأرجو أن تعي هذا الشرف.» وابتسم ساخراً، ولكن المرارة كانت تطل من عينيه. وانكمشت مكانها في انتظار العاصفة، وتابع يقول: «إنني أخ غير شقيق لاسطفان. وابن نيكولاي رومانوف والكونتيسة. والوريث الشرعي لأملاك هوزار وثروته بأجمعها.»

قالت وهي ترتجف: «لا يمكن أن تكون أنت... إنها... إنها... ليس لديها ولد آخر...»

فقال بخشونة: «من قال ذلك؟»

فأجابت وهي ترفع خصلات شعرها عن وجهها بضيق: «هي التي قالت هذا.» وغاص قلبها بين ضلوعها وهي تراه يجفل قليلاً لدى سماعه كلامها. وتابعت تقول متحدية: «لقد قالت الكونتيسة أنه لم يلد طفل في هذا البيت.»

وتوتر فمه المعبر، وتمتم يقول: «إنها ستنكر ذلك طبعاً، فقد حاولت أن تنبذني من حياتها منذ ولادتي، ولكن اسطفان

هو النغل، بينما أنا الشرعي. كذلك أنا، كما لا بد لاحظت، أكبر منه بعشر سنوات بالضبط.»

فقالت بعناد: «لا يمكن أن تكون من آل هوزار.»

فقال ببطء: «ولكنني كذلك رغم أنني أتمنى لو لم اكن. إنه ارث يا ليتني لم أرثه. إنني معروف في العالم كله باسم لازلو لازار، وفي مدينتي في روسيا معروف باسم روما نوف. وهنا أنا من آل هوزار سواء شئت ذلك أم أبيت. والسلطة هنا، لي يا سوزان. انك واقفة على أرضي. وكنت ترقصين في قصري وتنامين في سرير هو ملكي. وفي الواقع، باستطاعتي أن أطردكم جميعاً هكذا مرة واحدة في خلال ساعات، لتعديكم على أملاكي بهذا الشكل.»

فشهقت وهي تقول: «آه، لا يمكنك أن تفعل ذلك.» وتملكها الرعب وهي تتصور كيف ستتحطم سعادة أختها ثانيا، كما تصورت الألم المبرح في وجه اسطفان زوجها...

وقال: «إذا أردت برهاناً غير قابل للجدل، يمكنك إلقاء نظرة على وثيقة ميلادي مادمت تستطيعين قراءة اللغة الروسية، فقد احضرتها معي خصوصاً لأجلك لعلمي بانك ستكونين هنا.»

ودار رأسها وهي تفكر في أنه كان خطط لكل هذا. لقد سبق ودرس بعناية كل شيء قاله وقام به، وذلك قبل أن يضع قدمه على أرض اسطفان أو، أرض لازلو وهمست: «أين هي الوثيقة؟ أريد أن أراها.»

ونظر إليها بسخرية من عينيه القاسيتين وهو يخرج من جيب صدرته محفظة صغيرة فتحها ثم أخرج منها الوثيقة ليناولها اياه. ونظرت هي إليها عدة مرات قبل أن تقول وهي ترتجف: «إنها زائفة.»

فأجاب بهدوء وثقة: «يمكننا التثبت منها، إذا أنت شئت، وطبعاً، يمكنك تمييز أختام الأسرة هذه.» وأصابها الذعر وهي تراها في يده نسخاً طبق الأصل من تلك الموجودة على لوحات آل هوزار وقالت تتهمه، وهي تتنكر كيف أنه لا بد كان يبتسم بينه وبين نفسه أثناء الحديث عنها، عالماً أنها في جيبه طوال الوقت، قالت وعيناها تلمعان بالغضب: «إنها تخص...»

فقاطعها باختصار: «تخصني أنا. لقد وضعها أبي في حوزتي عند عودتنا إلى روستوف. وهي ملكي على كل حال، أليس كذلك؟»

واشتد شحوب سوزان بعدما لم يبق لديها شك في ذلك. فهو يعرف الكثير. وتذكرت حديثها مع الكونتيسة، وذكر روستوف، وذعر المرأة، دون سبب، حين ذكرت لها عما كانت سمعته عن ولادة طفل في هذا القصر.

وهمست بضعف: «ولماذا أخذك والدك بعيداً، لو كنت أنت الوارث؟»

وبان العداء في عينيه وهو يجيب: «للحفاظ عليّ. وذلك بعد أن أقسمت الكونتيسة ألاّ يرث الأرض روسي.» وابتدأ صوته بالارتعاش وهو يتابع قائلاً: «يا لها من أم قذرة.»

فصرخت به سوزان: «كلا. إن الأبناء لا يمكن أن يكرهوا أمهاتهم.» وارتفعت يدها إلى فمها وكانت أصابعها ترتجف. أي شعور كان قد تملكه وهو يحيّي أمه كأي شخص غريب؟ وهمست بذعر، وهي تفكر في ما حدث: «ليس ثمة أم تكره ولدها.»

فتمتم مجيباً: «ولكنها هي كذلك... لقد كنت من الأعداء.»

«كلا. لقد كنت طفلاً. طفلها هي.»

وتوتر فم لازلو الجميل مكشراً وهو يزمجر قائلاً: «طفلاً عاجزاً وبريئاً ولكنه نصف روسي، لقد كنت، في نظرها، أمثل الأعداء. إنك لا تعرفين كيف كانت المشاعر نحو هذه الأشياء في ذلك الحين. فقد كانت الكراهية تعم البلاد. وولدت أنا بعد الانتفاضة الهنغارية بوقت قصير، وما تلا ذلك في اختراق الدبابات الروسية لحدود البلاد لتزرع الخوف في كل مكان، فتصبح لذلك، هنغاريا موطن عدم الاستقرار وقد اختفى الرجال دون عودة، فمن يهتم، في ذلك الحين لطفل روسي؟»

فقالت سوزان بلهجة باكية: «كلا، يا لازلو... إن الكونتيسة ليست من هذا النوع. انها تعشق الأطفال.»

فأجاب بخشونة: «إنما ليس بالنسبة إليّ أنا الذي سلبت منها ما كانت تتمناه، وهو وارث هنغاري نقي العنصر. لقد أخبرني أبي أنها كانت تتوقع انتهاء الحرب بعد سنوات قلائل مما سيسمح لها، في النهاية، من أن تتزوج رجلاً تختاره حسب ذوقها. ولكن الرعب تملكها وهي ترى نفسها قد أصبحت حاملاً، وزاد رعبها وهي ترى هنغاريا مازالت تحت النير الروسي. وأدرك أبي نوع شعورها ذاك. ولما كان دائم الغياب، ولم تكن الكونتيسة لتؤتمن عليّ...»

وصرخت سوزان تقاطعه بانفعال شديد: «ولكنها كانت أمك. فهي كانت ستحميك بغريزة الأم.»

فقاطعها بحدة: «لقد كانت تكرهني كانني عدوها ولو كانت وجدت نصف فرصة، لقتلتني.»

فردت عليه بتعاسة وعناد: «لا أصدق هذا.» وأمسكت

نفسها عن الاعتراف الهائل بأن ما يقوله قد يكون صحيحاً. لقد كان يسمم تفكيرها. ذلك أن الكونتيسة كانت امرأة عاطفية ولا بد أنها كانت ستحب طفلها مهما كان أبوه. ورفعت يدها تضغط جبينها بقلق. وصدر عنها أنين عميق. لن يكون ثمة بهجة في الأسرة عندما يواجههم لازلو بالحقيقة. لقد اختار أسعد يوم... ورفعت رأسها بحدة وهي تقول: «لماذا جئت إلى هنا الآن؟»

فأجاب: «بسبب التضييق على الحريات في العالم السوفياتي. وكذلك عدم مبالاتي بالحضور قبل الآن، إذ لم أجد أهمية لبعض النفايات الهنغارية مثل كتل من الأحجار وقرية أهلها قد يسرهم أن يخنقوني في فراشي.»

فابتدأت تقول: «إن أمك...»

فقاطعها متجهم الوجه: «لقد تعلمت أن أكره واحتقر كل من هو هنغاري. خاصة هي...»

فتأوهت سوزان بأسى وهي تقول: «يا لها من قسوة.»

«الحياة قاسية، خصوصاً عندما يموت أبي في خدمة بلاده ليذهب، بذهابه، كل ما لنا من نفوذ، كالتصاريح بالسفر، وعلاوات المعيشة الأضافية، وما أشبه.»

وقطبت سوزان حاجبيها شاعرة بالعطف. لقد بدا لها أن من الفظاعة أن يربى على كراهية أمه. وتأملته خلسة. كان العذاب يرهق وجهه إذ كان مسوقاً، طيلة حياته، برغبته في الانتقام، ليجد أسرتها في طريقه.

www.elromancia.com

الفصل الرابع

انها وحدها هي سوزان، تستطيع تحويله عن ذلك. وكان العبء ثقيلاً. لقد كان عليها بأي شكل اقناع لازلو أن التوفيق بينهم جميعاً هو شيء يستحق التفكير والاعتبار. وان مكاسبه ستكون أكثر إذا هو أبدى نحو أمه الحب وارتبط بالأسرة. ولكن... وقطبت جبينها إن هذا يعني استيلاءه على الأملاك لتخرج من بين يدي اسطفان. وكان قلبها يتمنى أن تعيش أختها وصهرها في هذا المكان ويربوا أولادهم. فهذا الغريب لا مكان له هنا. لا مكان إطلاقاً.

وتعارض قلبها مع عقلها برهة. وحاولت باستماتة أن تعيد التوفيق بينهما، ولكن كل ما أمكنها القيام به الآن هو أن تجعله يتكلم. فهي ما زالت غير متأكدة مما يجول في ذهنه، إنها بحاجة إلى أن تتأكد من هدفه قبل أن تبدأ العمل.

وسألته برقة: «متى توفي والدك؟ وهل تركك وحدك؟»

فأجاب: «كلا، كان جداي ما يزالان على قيد الحياة.» وأدار وجهه نحو طائر يزعق، وقد بدا في عينيه اللامعتين فراغ هائل، فقد كان ألمه عميقاً. تابع بلطف: «لقد كرهت، في سنوات المراهقة النظام السوفياتي، فهربت إلى أميركا ولم آت إلى هنا لأنني لم أشأ ذلك. لقد كنت مشغولاً ببناء مستقبلي. كنت أريد أن أثبت لنفسي أنني ذو قيمة وشأن.»

وعضت شفتها. كان ذلك نتيجة شعوره بنبذ أمه له. وبدا

لها هذا محزناً. وسألته: «أيمكنني أن أرى الأختام؟»

فأجابها بلهجة مقتضبة: «إنها حقيقية، انظري إلى النسر ذي الرأسين وإلى الزهور وحزمة سنابل القمح.»

وقالت ببطء: «انها تنتمي إلى هذا المكان.»

فأجاب ببرود: «مثلي أنا.»

فقالت بجد وقد بان القلق على وجهها: «ولكنك لست كذلك. فقد صنعت حياتك في مكان آخر... ونجحت في ذلك كما يبدو من مظهرك وملابسك...»

فأجاب: «مهما كانت درجة نجاحي فهذا لا يعني لي شيئاً إذا كان قسم من حياتي قد أزيل ومحى. ربما كان عليك أن تسألي الكونتيسة عن الطفل الذي ولد في القصر منذ سبع وثلاثين سنة...»

فصرخت سوزان: «ربما لن يتحمّل قلبها الصدمة.»

فأجاب بحقد: «معك حق. فقد كانوا أخبروها بأنني توفيت. لقد أراد أبي حمايتي من أمي التي كان بامكانها الوصول إليّ بصفتها زوجته.»

وبان العنف في صوته وهو يتابع قوله: «لقد كرهت رؤيتي منذ ولادتي، وكانت في غاية السرور لمنح اللقب لابنها الحبيب اسطفان. ولكن هناك البعض في القرية لا بد ان يتذكروا وجود طفل في القصر كان يصرخ ليل نهار لأنه لم يكن مسموحاً لأحد بأن يحمله أو يحبه.»

قالت بصوت ضعيف: «لم تكد أختي ترى السعادة، حتى لاح التهديد بتحطيمها.»

فأجاب: «ربما، إن هذا يتوقف عليك. ومن السخرية ان من يمسك بمستقبل الأسرة بيده، هي أنت أصغر أفراد

عائلتك.» وهمس في أذنها بلهجة بالغة الرقة: «باستطاعتك، إذا شئت أن تمنعي هذا النبأ من أن يصبح معلومات مشاعة.»

نظرت في عينيه بحدة وهي تشهق قائلة: «ماذا؟»

فأجاب: «أن تكوني متعاونة معي.»

فصرخت برعب: «كلا.»

وقال ساخراً: «هذا واضح. ولكن في مثل هذه الأماكن المحصورة لا يمكنني تقديم برهان على ذلك. ويجب أن أعترف بأن هذا يجعل ما أفكر في القيام به أكثر يسراً. وأكثر متعة.»

قالت بعنف: «انك... انك تتصرف كالحيوان. لقد ورثت قسوتك عن أبيك وجنوده الغزاة.»

فرد عليها قائلاً: «يا لك من قذرة.»

فجمدت مكانها وقد شعرت بأنها وقعت في فخ نظراته الظافرة عديمة الشفقة.

وتمكنت أخيراً من التملّص منه، ثم الهرب. لقد هربت من أحاسيسها المذهلة... من الحقيقة...

وتأوهت: «آه... لا!» فقد تعثرت خطواتها بعد أن أمسك بذيل ثوبها لتسمع صوت تمزق الحرير الرقيق مما أرغمها على الوقوف.

وأدارها لازلو نحوه عابساً وهو يقول: «لا تتحركي، فأنا لم أفرغ منك بعد.» وجعلتها الثورة العمياء تصرخ بوحشية: «لا يمكنك معاملتي بهذه الوحشية.»

فأجاب وقد التهبت عيناه: «انك تظهرين شجاعة تدعو إلى الاعجاب بالنسبة إلى امرأة تواجه الاعتداء. وعلى الأخص لسانها السليط. وثمة رغبة تراودني في معاقبتك...»

فردت عليه بحدة: «وذلك باذلالي؟ دعني أذهب.»

فتمتم: «لم يحن ذلك بعد. وأنصحك بألاّ تحاولي أن تختبري طباعي، فليس ثمة ما يمنعني من أن أستعمل كل وسيلة أستطيعها في سبيل تحقيق ما أريد. وأنا أريد منك ألاّ تتحدثي مرة أخرى بسوء عن أبي... أبداً أبداً. وإلا فإني أقسم أن أرديك أرضاً وأجعلك تعرفين ما هو معنى الاذلال بالنسبة إلى امرأة مثلك وتذكري انني لا أريد أن يلطخ ذكراه أي كان... أي كان! هل تسمعين؟»

وأغمضت عينيها برعب بالغ. لم يكن هناك شك في أنه ابن نيكولاي لقد أطلقت إهانتها العنان لدفاعه هذا.

وقالت وقد اغبرّ وجهها: «إنني آسفة وأنا خجلة من نفسي لإهانتي والدك، فهذا ليس من شيمي. ولكنني كنت...»

قاطعها قائلاً: «هل كنت خائفة؟»

فقالت بشدة: «كنت غاضبة. لقد أصبحنا متعادلين الآن، فأنا كنت غير مهذبة، وأنت قد انتقمت. ولن يتكرر ذلك مرة أخرى فعندنا أشياء علينا أن نناقشها، أهم من هذا بكثير.» واهتز صوتها لبشاعة الوضع.

فقال بلطف: «أتعنين موضوع ميراثي.»

فأجابت: «نعم.» ورفعت إليه عينيها الكبيرتين تنظران في عينيه بضراعة ثم استطردت قائلة: «أحب أن أطلب منك معروفاً.»

فأجاب: «أعلم ذلك.»

فابتلعت غيظها فقد كان لازلو يعلّمها أن تفكر بكلماتها قبل أن تنطق بها، وتابعت تقول: «إنني أعلم انك تريدني أن أتعاون معك. وقد أوضحت لك بجلاء أنني لا أريد ذلك.

ولكنني أريد أن أسألك...» ونظرت إليه بعينين مبللتين بالدمع وهي تفكر في ما قد يجره على أختها تانيا من شقاء، وما لبثت ان انفجرت باكية وهي تقول: «أرجوك، إذا كان عندك ذرة من الشفقة، فامنح تانيا واسطفان هذا اليوم فقط... هذا اليوم السعيد لكي يتذكراه على الدوام.»

فأجابها ساخراً: «إنني رجل أعمال وليس عندي مكان للشفقة.» وبدت السخرية على ملامحه لدى الآهة التي انفرجت عنها شفتاها، وهو يتابع: «ومع هذا، فأنا مستعد لعقد صفقة.» كان واضحاً أنه يلاعبها كسمكة في الماء.

أجابت بصوت أجش: «إنني أفضل أن أعقد صفقة مع شقي خائن.»

فأجاب ببطء متهكماً: «أظنك ستجدينني، هامشياً أقل سوءاً من الشقي. فأنا على الأقل أمنحك الاختيار.»

فقالت بخشونة: «إنني أرفض القيام بأية تدابير معك.»

فسألها بلهجة ساخرة: «ألا تحبين أن تتعاوني معي؟»

قالت بانفعال: «إنك عاطل من كل خلق تماماً، فإذا كنت تريدني أن أكون تحت أمرك وذلك لكي تؤجل طرد تانيا من القصر عدة أيام...»

فقاطعها متمتماً: «وهل توافقين على هذا؟»

فشعرت بالغثيان وفكرت في أختها... سامحيني يا تانيا. كانت واثقة من أن أختها لا بد ستتفهم وتعذرها. وأجابته بصوت خشن: «كلا.»

«فهمت، علينا إذن أن نصل إلى تسوية بين احتياجاتي واحتياجاتك بشكل ما. دعيني أخبرك ما الذي أريده حقاً. أو على الأقل القسم الأول...»

فأجابت: «كلها، أخبرني عنها كلها.»

فقال ببطء: «إن الصبر هو شيء علمتني إياه الأيام. ولن يضرك بشيء إذا أنت تعلمته كذلك. ترين يا سوزان انني أضع على المائدة بعض أوراقي فقط، في أي وقت كان أما البقية فأضمها إلى صدري لا أعرضها. فاقبلي بذلك الآن. وفي المقابل سأقبل بالتخلي عن الأملاك، وعن اللقب، وكذلك سأقوم بتمويلك.»

وشهقت قائلة: «ماذا تقول؟ لماذا؟»

فأجاب: «لأنه لا بد أن يكون لك مصلحة في الأمر، وإلا فانك لن تتعاوني معي. أليس كذلك؟ إنني سأمهد لك الطريق بالنسبة إلى اتصالاتك مع شركات النسيج. إنني على استعداد لأن أكون معك في كل خطوة في طريقك.»

رفعت سوزان يدها تمسح جبينها ثم حدقت فيه بارتباك وهي تطلق ضحكة جافة قصيرة تدل على عدم التصديق قائلة: «ولكن، هذا جنون انك بهذا تصنع معي معروفاً.»

فقال بجفاء: «إن هذا يرضينا نحن الاثنين، إذن أليس كذلك؟ وأنت طبعاً تتساءلين عن السبب الذي يدعوني لهذا العمل، وما هي مصلحتي في ذلك. وهذا أمر بسيط. إنني أريدك أن تكوني شوكة في خاصرة اسطفان وفيكادو.» وابتسم بحرارة وهو يستطرد: «وبالتالي تغيظين الكونتيسة.»

وسألته بحدة: «ولأي سبب؟»

فأجاب باختصار: «ذلك أننا منذ سنوات، نتنافس في ميدان العمل، فثمة معاملة عليّ أن أقوم بها.»

فقالت تسأله: «معاملة؟» وأخذت تحدّق فيه، لا بد ان الأمر

هو من الأهمية بمكان لكي يجعله يتخلى عن إرثه في سبيله. ولكن شيئاً من الحذر في أعماقها أرسل في نفسها الخوف.

وقال: «إنه أمر غاية في الأهمية بالنسبة إلي، ويستحق كل تضحية.»

وفكرت سوزان بأن عليها أن تحمل لازلو على كشف سره، وقالت بارتياب: «إذا كنت من المنافسين في الأعمال، لماذا لم يعرفك أحد؟»

فأجاب دون تردد: «إنني لا أظهر نفسي كثيراً في المجتمعات. فقد أكون معروفاً جيداً في عالم الأعمال، إنما بالإسم فقط إذ لا يعرفني شخصياً سوى قليل من الناس. فأنا أتجنب الدعاية وفي المجتمعات أنيب عني أكبر المديرين عندي. وعدا عن أنهم يرحبون ببقائي مجهولاً، فإنه يمكنني أن أجول بحرية في الأسواق المالية وكذلك في شركات المنافسين لمراقبة عملياتهم.» ولمعت العينان السوداوان لتفيضا مرة أخرى بالغضب البركاني وهو يتابع: «إن فيكادو خاصة سيتملكه الرعب عندما يعلم اننا أنا وأنت، كنا شركاء. فهذا سيساعدني في اكتشاف خطته لاخضاعي. مما سيسرني حقاً.»

وقالت: «إنني لا أحب فيك هذه الروح الفكاهية، وإنني أرى أن ذلك يضرّ باسطفان و...»

فقاطعها لازلو ساخراً: «الأفضل لصهرك أن يشعر بأنك خنته من أن يخسر أملاكه ولقبه. فكري يا سوزان بالتعاسة التي ستشعر بها الكونتيسة إذا هي اكتشفت أن أول ولد لها لم يمت كما سبق وظنت ولكنه حيّ يرزق وقد عاد بالثأر في قلبه والمستندات الثبوتية في يده للمطالبة بأملاك هوزار.»

وفكرت في أن هذا سيحطم الكونتيسة وهي ترى أملاكها تذهب إلى ابن ذلك الرجل الذي كرهته واحتقرته، بينما ولدها الحبيب اسطفان الذي كان بعيداً عنها طيلة حياته ولم يعد إلا منذ عهد قريب، لن يرث شيئاً، كان الأمر كله مفزعاً.

وقالت له ببرود: «يا لك من متوحش.»

فقال بلهجة معنفة: «لا بد ان شخصاً ما تسبب في هذا.» وتنهدت بيأس، وهي تسأله: «متى كانت آخر مرة رأتك فيها الكونتيسة قبل اليوم؟»

فأجاب: «كنت لا أكاد أبلغ العام من عمري عندما تركت هذا المكان ولكنني فهمت أنها لم تنظر إليّ ولا حملتني بين ذراعيها، ولم تسأل عن صحتي وذلك منذ ولادتي إلى أن تركت القصر.»

وشعرت باليأس يغمر قلبها، وكذلك بالعطف عليه، وتساءلت بأسى عما يعني ألاّ يرى انسان أمه أبداً، ثم يعلم في نفس الوقت بكراهيتها وازدرائها لأبيه.

وقالت وقد بان الحزن على ملامحها: «إنها لم تتعرف عليك قط.»

فقال بجمود: «ولم أر منها أي عطف. لقد نبذتني، وعليّ أن أعتاد على ذلك...»

فقالت: «ولكنك لم تفعل ذلك.»

وبان الأسى على وجهه وهو يقول: «لا أريد شفقتك هذه.»

وقالت بصوت حزين: «لا بد أن طفولتك كانت قاسية!»

فأجاب بحدة: «على العكس، فقد نلت قدراً كبيراً من الحنان والعناية من جدي.»

وجازفت بالقول: «ولكن... لا بد ان دخولك هذا المنزل مؤلم لك.»

فأجاب: «هذا مضحك.»

وارتجفت برغمها وهي تتأمل وجهه الخالي من التعبير. لم يكن الذنب ذنبه بأي شكل فهو له الحق الشرعي بالأملاك. وقد جعلها هذا الشعور في وضع بالغ الصعوبة.

وقالت بألم: «إن هذا القصر وهذه الأراضي، كلها لك، إن علينا أن نجد طريقة نخبر بها الكونتيسة. يجب أن يكون هذا ملكك.»

وارتفعت عينا لازلو بدهشة وهو يقول: «أتراك رفضت ما عرضته عليك؟»

فقالت بتعاسة: «إنني أحاول أن أفعل ما أظنه صواباً. محاولة أن أنظر إلى الأمر من الناحية المنطقية والقانونية، يجب أن تكون أنت الكونت. فمن أين لي أنا أو لأي أحد آخر الحق في أن يقف في طريقك؟»

فقال متعجباً: «ها هي امرأة ذات مبادىء، ليس هذا ما كنت أنتظر.» وانتابته الحيرة والارتباك لحظة وكأنها قلبت خطته رأساً على عقب، ثم ما لبث فمه أن التوى بجفاء، ثم قال: «ربما من الأفضل أن أخبرك ما الذي سأفعله إذا استلمت الأملاك فقد يجعلك هذا تغيرين من مبادئك النبيلة. أولاً سأطرد الكونتيسة بعد أن أطرد أختك وزوجها. ثم أطرد كل انسان بما فيهم أخاك جون وعروسه... ثم أوظف عندي روسيين لخدمتي وسأرفض أن أسمح لأي من الفلاحين بالعمل في الأرض، وهكذا تبور أراضي القرية و...»

شهقت وهي تقول: «ولكن هذا فظيع. ما الذي يجعلك تهدم كل ما تحصل عليه؟»

فأجاب بهدوء: «لأنني لا أريده. إنني لست بحاجة إلى أيّ منه وسيسرني أن أعلم أنه تهدّم. إنني سأجعل المنزل يتداعى والحديقة تخرب أيضاً إنه انتقام تام. ستندثر أسرة هوزار النبيلة وكأنها لم تكن. نعم... هذا ما أريد.»

فقالت: «أيها المتوحش الأثيم.»

فقال موافقاً على كلامها: «وعديم الشفقة. ولكنني أريدك أن تعلمي أن ما أساوم عليه هو أكثر الأمور خطورة في حياتي، فإذا أنا لم أقم بذلك، وإذا لم تتفقي أنت معي على هذه الخطة فسأتدحرج أنا إذن إلى الحضيض جاراً معي كل أعدائي. والآن، المعذرة لأنني سأذهب تواً إلى اسطفان لأكشف له عن شخصيتي.» وتحرك عابساً باتجاه القصر المتلألىء الأنوار.

وصرخت وهي تترنح من الصدمة: «كلا، انتظر.» فوقف ولكنه لم يرجع. وحدقت لحظة ثم تنهدت بخضوع وتقدمت إليه، كانت تشعر بأنه يمكر بها، وأزعجها أن تفلت من بين يديها السيطرة على حياتها الخاصة.

كان له الحق الشرعي في الأملاك، وعليها أن تتقبل الأمر. ولكن هذا كان يتضمن حقاً أخلاقياً كذلك، هو سعادة أسرتها. أيّ من هذين له حق الأسبقية؟

وابتدأت تقول: «لا تتحدث إليه الآن، فهذا سيحدث له صدمة كما تعلم. أعطني فرصة يومين للتفكير...»

فنظر في ساعته مقطب الحاجبين وهو يقول: «كلا، أريد قرارك الآن. ذلك أن اسطفان سيقوم برحلة شهر العسل حالاً،

وقبل ذلك أريد أن أقدم إليه هدية زفاف لن ينساها أبداً. فإما أن نواجهه بخبر اتفاقك مع الرجل الذي يظن أنه محتال وكذاب والذي هو أنا، وإما أن أخبره أنه ليس الوارث لهذه الأملاك، إن الوقت يمر بسرعة يا سوزان، وعليك أن تقرري.»

فشحب وجهها وهي تقول: «في أي من الحالين، فإنك ستفسد يوم عرسه...»

فأمسك بذراعها بخشونة قائلاً بازدراء: «طبعاً أيتها الحمقاء. أتظنين أنني أنوي التزام الصمت بالنسبة إلى تعاوننا؟» وابتسم ساخراً وهو يستطرد قائلاً: «كلمة التعاون هذه هي جيدة. إذ أن من عادة هذه الأسرة التعاون مع العدو عندما تصادفها مشكلة، أليس كذلك؟»

فرفعت رأسها بسرعة وهي تقول: «يا لك من سادي أثيم، لا يمكنني القيام بهذا!» وتملكها الانفعال فقد كان هذا كابوساً حقاً، فهو لا يمكن أن يكون حقيقة واقعة. كانت تريد أن تفكر في مخرج لها من هذا كله، أن تستيقظ لتجد أنها تحلم أثناء نومها على كرسي في قاعة الرقص. وتابعت تقول مداهنة وهي ترسم على فمها ابتسامة: «أعطني وقتاً للتفكير فأنا لم أقرر قط شيئاً بسهولة. فأنا دوماً أقلب الأفكار في عقلي بعناية كبيرة، فأزن كل العروض والاتفاقات.»

فقال ببطء: «هذا ما أعرفه، فأنت من النوع الحذر جداً وهذا ما يمنعني من أن أمنحك وقتاً للتفكير على الاطلاق. قرري الآن وإلا تصرفت أنا كما أشاء.»

فقالت وصوتها يرتجف تأثراً: «إنني أحب أسرتي. فإذا

كنت أنت قد جربت الحب مرة في حياتك، فستدرك ما سيفعل هذا بي وبهم. فكر بما كنت تشعر به نحو أبيك...» وشهقت عندما هزها بعنف قائلاً: «لا تحاولي أن تثيري عواطفي بالكلام عن محبة الأسر. قولي الآن نعم أو لا؟»

وأغمضت عينيها مرة أخرى كي لا ترى وجهه الحاقد، محاولة ألاّ تفكر في خيانتها التي لا مناص منها للناس الذين تحبهم، وذلك بربط نفسها بأعمال منافس اسطفان. ولكن في أعماقها كانت تعلم أن هذا أهون الشرين. لقد كان ثمناً صغيراً نسبياً عليها أن تدفعه في سبيل حماية مستقبل اسطفان وثانيا، وأيضاً لتجنيب الكونتيسة آلاماً نفسية مستديمة حتى لأجل القصر نفسه والفلاحين والأملاك كلها.

وهمست وقد تصلب جسدها وعيناها في عينيه: «نعم، سأقوم بذلك، ولكن دون إرادة مني. وأنا أريد أن يكون واضحاً تماماً أنني أشعر نحوك ببالغ الاحتقار لجعلي شريكة لك في انتقامك الدنيء هذا.»

وتنفس بهدوء وقد انفرجت أساريره وكأنه لا يهتم برأيها في سلوكه كلياً. وفكرت بتعاسة في أنه مستمتع بهذا بعد أن نال كل ما يشاء من الشماتة باسطفان. إنه لرجل حقير. إلا إذا... وتذكرت أن هذا هو الجزء الأول من انتقامه. فما زال أمامه أوراق ليلعبها... وتملكها الخوف مما عساها ستكون.

وأصابها التفكير في ما عسى أن يحدث، بالدوار وكيف سيتلقى كل واحد خبر انضمامها إلى أحد أعداء اسطفان.

لقد تلهفت إلى أن تعرف السبب في نبذه حياة النفوذ والرفاهية ولكنها لم تجرؤ على سؤاله. فقد يعيد التفكير

فيغير رأيه ويطرد الكونتيسة واسطفان وتانيا، وجون وليزا، يطردهم جميعاً خارج الأملاك وذلك بإبرازه وثيقة مولده وأختام الأسرة.

قال آمراً دون أن يتأثر بتعاستها: «تعالي، إننا سنعلن اتفاقنا.»

فانكمشت متراجعة وقد اتسعت عيناها ذعراً في وجهها الشاحب، وهي تقول متلعثمة: «أنا... أنا...» وبدا الازدراء في عينيه مما جعل رأسها يرتفع في كبرياء وهي تقول بعنف: «لا بأس، هيا دعنا نذهب وننتهي من هذه المسألة.»

فتمتم قائلاً: «أراك شجاعة، كذلك.»

ولم يكن هذا يستحق أي تعليق منها، هذا إلى أن الغصة كانت تخنقها كما أن الدموع كانت تتجمع في عينيها. وشعرت وهي تسير بحركة آلية بجانب لازلو الكريه هذا، بالرجفة تشمل جسدها وهما يقتربان من القصر.

وتباطأت خطواتها وازداد ترنحها. فأمسك لازلو بيدها يستعجلها. وكان بامكانها أن تدفعه عنها، ولكنها كانت بحاجة إلى سنده هذا لها، الذي كان يمنعها من الانهيار.

لم يحدث قط في حياتها أن تصرفت بمثل هذا الرياء والكذب المقصود. وملأها الشعور بالخزي رغم المنطق الذي كان يقنعها بأنها تقوم بذلك لأجل مصلحة الجميع. وكان من السخرية أنها عاشت حياتها يحدوها المنطق والتحسّب لكل شيء واتباع كل ما تراه مناسباً.

ولكن الأمر، هذه المرة كان مختلفاً بالنسبة إلى اتباعها الحرص والتبصر بالعواقب. لقد تدخلت الآن عوامل أخرى... حبها لأسرتها واحترامها لنفسها وكراهيتها

العنيفة لهذا الرجل الذي كان سيساعدها مالياً. لقد كانت المرة الأولى التي تقرر فيها شيئاً لا ترضى عنه شعورياً. وكلما فكرت في الدقائق القليلة المقبلة، ازدادت حيرتها في الكيفية التي عليها أن تتصرف فيها.

وعندما وصلا إلى الباب الأمامي، هتفت به: «قف لحظة... لا تستعجلني... إنني بحاجة إلى بعض الوقت...»

فتمتم قائلاً: «إنني أنا الذي سأتكلم، وليس عليك أن تنطقي بكلمة.»

وملأتها الدهشة وهو يمسكها فجأة، بعنف دون شفقة... واشتعلت فيها نار... الغضب؟ آه...

وما لبثت أن أرغمت نفسها على العودة إلى الواقع، شاعرة بالشقاء والذل... هذا الواقع القاسي الذي كان يدفعها إليه، فرفعت يدها لتهوي على وجهه بصفعة قاسية في الوقت الذي تملصت فيه من بين ذراعيه قبل أن يتمالك نفسه للمفاجأة.

وقالت بغضب: «قد يكون لك بعض التأثير العقلي والعاطفي عليّ ولكن ذلك لا يعطيك الحق في أن تفعل بي ذلك كلما خطر هذا ببالك. فإنك لا بد تكبرني بضعفين تقريباً. وإذا كان يهمني الرجال، في هذه الفترة من حياتي فإنني لن أختارك أنت.»

ولمعت عينا لازلو وتمتم بشبه اعتذار: «لا تنسي أنني ولدت في خضم المشاعر، بدم ملتهب هو مزيج من الروسي والهنغاري. فمن العسير عليّ مقاومة رغبتي إزاء امرأة جميلة تتوسل إليّ أن أفعل ذلك.»

فصرخت به ثائرة: «كلا، لم أفعل. وأظن أن عليك الآن أن تحاول مقاومة رغباتك.»

فقال: «ربما عليك أن تبقي بعيدة عني.»

فأجابت بجمود: «أتمنى لو كان بيننا قناة المانش. والآن، عليك بمقاومة مشاعرك.» وتجاوزته داخلة إلى القصر ولازلو في أثرها.

وهتف بها مسروراً: «ذلك هو اسطفان. هيا ناديه.»

ولم يكن أمامها خيار آخر. وهمست: «آه.» ثم نادته بمرح بينما كان يتوارى في مكتبه: «اسطفان.» فعاد يطل برأسه من الباب، ثم رفع حاجبيه متسائلاً وهو يراها قريبة من لازلو إلى هذا الحدّ، فشعرت بتوتر في معدتها.

وفكرت بيأس، أن ليس بامكانها الإقدام على هذا العمل. ولم تستطع أن تفكر بوضوح، وهذا العمل يبدو أنه أصعب مما ظنت.

وتملكها شعور ما، ربما كان نوعاً من الدفاع عن النفس، أو علمها بأنها تحسن صنعاً بهذا، فيما إذا كانت أسرتها ستصدق التزامها هذا الذي دفعها إليه غضبها من غزو لازلو لحياتها العامة، والخاصة...

وهتفت به مظهرة ما أمكنها من اللطف والابتهاج: «مرحباً... هل سترحل قريباً؟»

فقطب اسطفان حاجبيه قائلاً وهو يهمّ بحمايتها من هذا الغازي الانتهازي: «سوزان، هل أنت في كامل وعيك؟»

فأجابت وهي تحاول تمالك مشاعرها: «كلا.»

وتمتم لازلو من بين أسنانه مشجعاً: «فلندخل إليه في مكتبه.»

وتنفست بعمق، وباندفاعهما نحوه، جعلاه يتراجع إلى داخل المكتب، بينما كانت تقول بصوت مرتجف وهي تسمع

الباب يغلق خلفهما بعنف: «إن لديّ كلاماً خاصاً معك.»

فأجاب اسطفان بهدوء ونظراته تتنقل من أحدهما للآخر: «هيا، تكلمي.»

لقد حان الوقت وقالت بلهجة مرتجفة: «إنني... إنني جئت لأقدم إليك مموّل أعمالي...»

وابتسم اسطفان مسترخياً، وهو يقول بصوت بدا فيه خيبة الأمل: «ظننتك ستقولين شيئاً آخر.» وارتسمت على وجهه ابتسامة عريضة وهو يمدّ يده إلى لازلو قائلاً: «تهانيّ.» وحدقت فيه سوزان بذعر بينما كان هو يتابع: «لقد وقعت على معاملات عملية رائعة.»

وعقد لازلو ذراعيه وقد ضاقت عيناه وهو يقول بلطف: «أعلم ذلك. ربما من الأفضل أن تخبريه عمّن أكون.» فرمقته بنظرة فزعة فهز برأسه لها وهو يتابع: «الإسم الذي يعرفني به الجميع.»

وأطلقت سوزان آهة خفيفة وهي تقول متلعثمة: «إنه... إنه...» وحدق فيها اسطفان بفضول فتابعت تقول: «إنه لازلو.»

وتمتم لازلو: «لازلو لازار.»

وشحب وجه صهرها وسحب يده وكأنما لسعتها جمرة نار. وغمرتها التعاسة ذلك أنه لم يكن يدري أنها مرغمة على أن تصمم على هذا القرار الهائل. لم يكن لديه فكرة عن أنها كانت تخونه لأن هذا كان أفضل اختيار أمامها، فهو سيظن أنها لا تخرج عن كونها امرأة مادية قذرة أنانية ليس لديها كرامة عائلية! سيكرهها الجميع. بينما يداها مقيدتان. كان لازلو يدفع بها ضد عائلتها. كيف يجرؤ على أن يفصلها عنهم؟ كيف يجرؤ على ذلك؟

وزمجر اسطفان: «إنك لا تعلمين يا سوزان، ولكننا لا نرحب بهذا الرجل في منزلي. فأنا وهو عدوان قديمان.»

فقاطعته: «بل أنا أعلم، ولكن لا دخل لي بشؤونك.» وفزعت لما قالته والذي سيجعله يعتقد أنها سطحية تافهة لا تهتم بشيء. وقويت كراهيتها للازلو وهي ترى اسطفان يفتح فمه بحيرة. وعادت تقول وهي تحاول أن تهدىء من صوتها المرتجف: «إن اتفاقنا العملي هو مستقر تماماً الآن. فهو سيموّلني وسيقدمني إلى أرباب الأعمال الذين أريد. إنني متأكدة من أنكما ستتخليان عن خلافاتكما وترحبا به لأجلي.»

فأجاب: «كلا! مستحيل.»

فتمتم لازلو بصوت أجش مشوب بالسخرية: «ولكنك ستفعل.»

ورمقته سوزان بنظرة متحفظة ومن تحت أهدابه السوداء تألقت عيناه الآثمتان بابتهاج. وتوترت يدها متمنية لو تعود فتصفعه مرة أخرى فتمحو عن فمه هذه الابتسامة المسيطرة. ثم شعرت بالخوف. كان بإمكانه أن يسوّي الأمر، لقد سبق وقال إن ثمة أشياء أخرى آتية وربما كان يستغفلها، مصمماً على كشف هويته الحقيقية أمامهم جميعاً. ونظرت في عينيه بحدة، وهي تلحظ ابتسامته الساخرة وحاجبه المرفوع.

الفصل الخامس

وارتجفت شفتا سوزان. وشعرت بهما جافتين وهي تهمهم: «انك... لن...»

وهز لازلو كتفيه قائلاً ببطء: «إن ذلك يعتمد عليك كلياً.»

وأحست سوزان بالذعر مرة أخرى، وأخذت تدعو بصمت أن تتمكن من تجاوز هذه المحنة. وإلا، فسيسبب الأذى للجميع بجملة واحدة. ومن الممكن أن يفعل ذلك لأن القسوة التي تبدو على شفتيه لم تكن من قبل قط بنفس الوضوح الذي تبدو فيه الآن، وقالت ضارعة بصوت أبح وقد اتسعت عيناها هلعاً: «اسطفان، أرجوك ألاّ تعكر الجو.»

فسألها صهرها قائلاً: «أتدرين ما فعله هذا الرجل؟ عدا عن العراقيل التي كان يضعها في طريقي طوال السنوات التي أمضيتها بالعمل ليلاً نهاراً، بيدي في تجديد القصر، عدا عن ذلك هو محتال، مرتش، مراوغ وغير موضع للثقة. أيها الحقير!» واندفع بعنف نحو لازلو، وقفز قلبها رعباً وهي تراهما يوشكان على القتال.

واندفعت نحو اسطفان رافعة عينيها إليه بضراعة وهي تصرخ: «لا تفعل ذلك. انني... انني بحاجة إلى المال.»

فأجاب اسطفان ثائراً: «ان بإمكاني اقراضك المال، يا سوزان. أريد أن أتحدث إليك على انفراد.»

فقال لازلو بلطف: «هل انتظر أنا خارجاً؟» وأمكنها أن تحس بحد السكين المرهف الذي يغلف لهجته الرقيقة.

ونظرت بطرف عينها إلى لازلو قائلة: «حسناً، إنني...»

فربت على رأسها كما يربت على رأس كلب محبوب منه، وهو يقول: «هيا، كوني فتاة طيبة وتحدثي إلى صهرك. فلن يكون باستطاعته القيام بأي شيء بعد أن عقدنا الاتفاق. ولكنني أظن أنه يريد أن يتأكد من أن اتفاقنا هذا لن يسيء إليك في النهاية.» وابتسم لها متسامحاً وكأنها تابع أبله له.

وألقت عليه نظرة تطلب إليه بها ألاّ يعاملها بمثل هذا الاستعلاء مرة أخرى، وقبضت يديها بحركة ذات معنى. ونظر إلى يديها تلك، وأطلق ضحكة خاتفة. أيضحك؟ وأخذ دمها يغلي، إنها ستحقره وتذله عندما يصبحان بمفردهما.

وقالت بجفاء: «إنني لست عديمة النفع، فقد سبق وقمت بدراسة الأعمال. وقد قرأت الجزء المختص بالأمور المالية فأنا أعلم بالضبط مبلغ الربح الذي سأحصل عليه، وكم يجب أن يكون احتياطي الطوارىء وما هو السوق. فإذا ظننت أنني شخص يمكنك استغلاله فأنت مخطىء.»

وأطلق ضحكة من القلب بدلت من ملامح وجهه على الفور. وقال: «إن هذا مقنع تماماً. ولكنني أرجوك أن تداري حارسك وتدعيه يلقي عليك محاضرة.»

والتقت عيناه المتحديتان بعيني اسطفان، وارتجفت سوزان وهي تشاهد صدام الارادتين. كان الرجلان اسمرين عنيفين، والاثنان متعصبين لرأيهما. أحدهما كان ساخراً هازلاً، والثاني كان عدائياً. ولكن، كان يجري في عروق الاثنين نفس الدم. وأفزعها هذا، وقد انتصبا واقفين بغطرسة الهنغاريين...

وأجاب اسطفان ببرود: «لا يمكن أبداً أن أفكر في إلقاء

محاضرة على أخت زوجتي. ولكنني أنوي أن أنصحها وأقدم إليها بعض المعلومات الثمينة.»

فقال لازلو ببطء: «انك تضيع وقتك، لأنها سبق وقررت.»

وتوتر فم اسطفان وهو يسأل ببرود: «ستعود عن قرارها هذا بعد أن تسمع ما سأقوله لها. من دعاك إلى هنا؟»

فقال لازلو: «لست بحاجة إلى دعوة.»

وعندما شعرت سوزان بأنه أصبح غاضباً لدرجة خطيرة، قامت بالشيء الوحيد الذي استطاعت أن تفكر فيه. فاستدارت نحوه بخفة، ثم قالت: «انه... ليس بحاجة إلى دعوة. إنه... إنه ضيفي الخاص.»

وتمتم اسطفان من بين اسنانه: «علينا أن نتكلم معاً، يا سوزان، ولازار سيتفضل بالانتظار خارجاً اثناء ذلك.»

وجفلت إزاء لهجته الآمرة التي قال فيها: «نعم.»

واهتزت للاهانة عندما أطلق لازلو ضحكة عالية وهو يخرج بخطوات بطيئة. وفكرت غاضبة في انعدام حساسيته وعدم مرونته وفي مهارته في الكذب. وقررت أنها ستجعله، فيما بعد، يندم على كيفية تصرفه بهذا الشكل.

وعندما صفقت الباب خلفه. ابتدأت بالهجوم أولاً، فقالت وقد شحب وجهها: «قبل أن تقول أي شيء، ليكن بعلمك أنني على علم بأن لازلو هو منافس لك وأنكما عدوان. ولكن هذا لا يشكل عندي أي فرق ولا يجب أن يكون كذلك. فقد قدم إليّ فرصة لبناء عملي. ولقد درست الأمر، فوجدته عرضاً لا يمكنني رفضه. إنني أعلم مبلغ عدم موافقتك عليه...»

فقاطعها اسطفان ببطء: «انك تبسطين الأمر بشكل سهل. ذلك أنه...»

فقاطعته بدورها قائلة: «ارجوك أن تدعني أكمل كلامي. إن لي الحق في أن أصنع قراري العملي بنفسي.»

فأجابها بعنف: «إن هذا لا يكون مع رجل غشاش وكاذب. وبالنسبة إلى الإلفة التي يبديها لك، ومهما كانت الحرية التي يظهرها، فلا تدعيه يأخذ منك أكثر من ذلك.»

فشهقت وهي تقاطعه: «اسطفان، كيف تفكر في...»

فقال ببطء: «إن هذا واضح على وجهك، وأنا أحاول أن أحميك يا سوزان. فإن أمرك يهمني واخوتك لن يسامحوني إذا سبب لك هذا الحقير أي ألم.»

فأجابت بحدة: «ليس في نيتي أن أتعرض لأي ألم.» كانت مستميتة لأن تتخلص من هذاالموقف الهائل. ولكن كيف؟ وتأوهت بينها وبين نفسها ولمت أطراف شجاعتها لمواجهة استيائه هذا. يجب ألاّ يعلموا أنها أرغمت على هذا التصرف. وعادت تقول: «لقد اصابني الضجر من اعتباري طفلة الأسرة. فعملي هو حياتي! أما من أصادق ومن أعمل معه، فلا دخل لأحد في ذلك! إنني أريد أن اقوم وحدي بعمل ما.» وعلا صوتها بعناد وهي تتابع قائلة: «انني لن اسمح لك بالوقوف في طريقي. فأنا مصممة على متابعة طريقي. ان ما حدث بينك وبين لازلو، مهما كان نوعه، لن يوقفني عن عزمي. فإن المنطق يخبرني بأنني سأكون حمقاء إذا أنا ضيعت هذه الفرصة، فلا تضيع وقتك إذن، في محاولة اثنائي عن عزمي وأظن ان عليك أن تتركني أصنع قراري بنفسي وتكف عن التدخل.»

فأجاب: «لا بأس، فأنت ذكية بالنسبة للعمل، ولكن تنقصك الخبرة بالنسبة إلى الرجال. إنه...»

فقاطعته: «لا تحاول حمايتي. إنني أعلم من هو. إنني أعلم جيداً أنه صادق من النساء اكثر مما يمكنه أن يتذكر. إن القانون لا يمنع ذلك. وأنا لن اسمح لنفسي بالمزيد. ذلك أنني ذات اخلاق ومبادىء، وعلاقتي معه ستكون على صعيد العمل. ولكنني لن أعرض اخلاقي للشبهة.»

وتمنت بينها وبين نفسها، لو تكف ساقاها عن الارتجاف إذ تتكلم بمثل هذه اللهجة المتمردة.

فقال اسطفان ببطء: «لا يمكنك حماية نفسك من رجل ماكر قوي العزيمة مثل لازلو.»

فأجابت بحدة: «أشكرك لثقتك هذه بي.» ومشت نحو الباب محاولة أن تبدو متضايقة لتدخله هذا. كان عليها أن تتصرف بخشونة وغلظة إذا اقتضى الأمر. وتابعت تقول: «دعني اقترف أخطائي بنفسي إذا كان ذلك ضرورياً.»

«إن الخطأ مع رجل كهذا يدوم معك الحياة كلها.»

واعتصر قلبها لما أحست في لهجته من رقة وخيبة أمل. فقد تأكدت شكوكها في لازلو. وعليها أن تتجنبه بأي ثمن.

«لقد قلت ما كان عليك ان تقوله، وشكراً لاهتمامك، والآن ان عروسك تنتظرك.» وابتدأ صوتها يتهدج وهي تستطرد قائلة: «انسى قلقك عليّ واهتم بحياتك ولا تدع هذا الأمر يفسد عليك بهجتك بأي طريقة كانت.» ونظرت إليه ضارعة وهي تهتف قائلة بألم صادق: «أرجوك.»

وابتدأ يتحدث إليها بهدوء، فأخبرها بكل ما فعله لازلو لمضايقته، وتألمت وهي ترى مقدار ما تحمله وصبر عليه. وقالت بخشونة وهي تضع يديها على أذنيها: «إنني لن استمع إلى شيء.» إنها، ستفعل كما فعلت الكونتيسة التي

اختارت مصلحة الجميع... وليس هناك عودة عن ذلك.
وقالت دامعة العينين: «انك تضايقني، فأنت لا تريدني أن أتصرف بنفسي وليس لك الحق في ذلك.»

«ان لذلك الرجل سلطة غير عادية. لقد حاول أن يهدم حياتي منذ عودتي إلى هنغاريا بعد اكتشافي ميراثي. وربما يحاول أن يسبب لي الضرر عن طريقك.»

وفكرت هي بأن لازلو يملك سبباً يجعله يكرههم جميعاً. وربما سيفعل ذلك إلا إذا أمكنها أن تمنعه بطريقة ما. وانهمرت دمعة على خدها وهتف اسطفان مستنكراً ذلك وتقدم نحوها، ولكنها تراجعت صوب الباب وهي تنشج قائلة: «دعني وحدي. أتريد أن يسمع صراخي الجميع فيهرعوا إلينا ليجدوا أننا نتشاجر؟ أتريد أن تتألم تانيا في يوم عرسها؟ إن كل ما يريده هو أن يستفيد من ورائي. أتوسل إليك أن تدعني أقوم بذلك. فهي حياتي. إنني فوق الواحدة والشعرين.»

وخبط بيده على المكتب وكأنه لا يريد أن يكف عن النضال، وقال مزمجراً: «يجب عليك ألاّ توقعي على أي اتفاقية دون حضور محامينا. آه يا سوزان؟ لِمَ كل هذا العناد؟»

فهمست وهي تستجمع بقايا قواها: «ان احلامي تلون حياتي. وذهني سيكون صافياً. وأنا لن أضر بنفسي.»

ولكنه ظل متابعاً الجدل بمحبة ورقة ممزوجة بالقسوة، وهذا آلمها اكثر من الشجار الصرف. ولكنها قابلته بحزم عالمة أن الوقت بجانبها. فهو سيرحل قريباً جداً لقضاء شهر العسل.

وعندما كاد ينفد صبرها، استسلم هو، وأخذ يلقي إليها

بتنبيهاته الحازمة بالانتباه، مذكراً إياها ان باستطاعتها الاتصال به هاتفياً في أي وقت تحتاج إلى المساعدة. سواء كان الوقت ليلاً أم نهاراً.

وشعرت بالارتياح إذ انتهى القسم الأول من الموضوع. راجية أن يكون هذا هو الجزء الاكثر صعوبة مما عليها أن تتحمل، ولكنها لم تكن واثقة من ذلك تماماً، وشعرت بوهن في ركبتيها لدى تفكيرها في أنها ستمضي الأسابيع القليلة المقبلة في صحبة لازلو المثيرة للأعصاب.

وعندما دخلت القاعة، لاحظت أن الباب الرئيسي مفتوح، وأن افراد الأسرة يتبادلون تحيات الوداع. وكان لازلو شبحاً في الظل لا يكاد يرى في آخر القاعة. وما أن اقتربت منه، محاولة التخفي لكي تراقبه دون أن يراها أمكنها أن ترى مبلغ السكون والهدوء اللذين يكتنفاه، كما رأت ايضاً حركة عينيه الذكيتين المتواصلة وهما تلاحظان كل إشارة وكل كلمة وحركة جسم مهما كانت ضئيلة، يعرف بها مشاعر أقربائه. وازدردت ريقها.

لقد رأى مبلغ المحبة والمشاعر التي تكتنفهم تجاه بعضهم البعض. وتساءلت وهي ترى كل هذا، عما إذا كان ذلك يزيد من غضبه حيث انه كان من المفروض أن يكون هو عضواً في هذه الأسرة المتحابة، ومع ذلك فقد أبعده الزمن القاسي عنهم!

ورفعت يدها إلى عنقها. لقد كان يراقب كل حركة تبدر عن الكونتيسة مهما كانت ضئيلة، وكل إشارة رشيقة من جسدها الأرستقراطي. كان واضحاً من الطريقة التي كان فيها يقبض يديه أن رؤيته لأمه مع بقائه غريباً غير معروفاً

لديها، هذا كان يسبب له لوعة في القلب وألماً مدمراً في الأعماق، وذلك رغم ادعائه خلاف ذلك.

لا شك أنه عانى الكثير من الآلام، ولكنه كان يريد أن يتألم أولئك الذين تحبهم هي، هم أيضاً. أن ينقل إليهم عدواه، وأن يتذوقوا نفس المرارة وانعدام الوئام اللذين تذوقهما.

وفكرت برعب... إنه العين بالعين والسن بالسن.

ولكنها، رغم أنها لم تتمن له الخير، قد شعرت بالألم يكوي قلبها لشعورها باليأس الذي يتملكه لنبذ أمه له. فقد كان الوضع مروعاً. وتصورت سوزان، والحزن يكتنفها، تعاسة الكونتيسة إذ تعلم أنها حامل من ابن نيكولاي، وكراهيتها أن يرث أملاكها شخص يجري في عروقه الدم الروسي، ثم وضعها النفسي الفظيع وهي تكتشف، بعد ولادة لازلو، أنها لا تستطيع ولا تريد أن تحبه.

وتملكتها بقوة، صورة الطفل لازلو صارخاً يطلب الحب والاهتمام وليس ثمة من يحمله فيعرض نفسه لحنق الكونتيسة. وحاولت التفكير في نوع الحياة لسنوات مع رجل تكرهه... وعلمت أنها لا يمكن أن تحتمل ذلك أبداً.

ولكنها لم تستطع التفكير في التخلي عن طفل يصرخ، حتى ولا يوماً واحداً... ولقد غذي لازلو بأقاصيص الكراهية كذلك، لقد تألم وأبوه من الأعماق مما جعله مرغماً على اتخاذ نوع من الانتقام ان لم يكن لنفسه، فلأبيه.

أما هي فقد وجدت نفسها تجر إلى وسط هذه الدوامة. وبرؤيتها صمت لازلو، وحزنه الكامن، تغيرت مشاعرها تجاهه. ذلك أن كونه هو الوارث، ليس ذنبه، أو أن أباه كان موضعاً لكراهية الكونتيسة. هل ثمة اسوأ من أن يشعر المرء

أنه كان طفلاً غير مرغوب فيه؟ ومزقتها هذه الفكرة، وصدرت عنها، برغمها، آهة ألم لهذا الوضع المأساوي.

وفي الحال، تلاشى ذلك التعبير المأساوي من ملامحه، وتحولت عيناه نحوها على الفور يبحث عنها بين أكوام الأزهار التي كادت تخفيها عن الأعين، ثم أومأ إليها بيده.

وعندما اقتربت منه، كارهة، قال لها بصوت منخفض: «سنبدأ العمل غداً الساعة العاشرة. وسآتي لأخذك لنمضي النهار معاً.»

وخفق قلبها. لقد عاد يخطط لرغباته مرة أخرى. وترددت قليلاً، ورفع حاجبيه وهو يرى ترددها هذا، ثم رمق الأسرة السعيدة بنظرة ذات معنى.

وهمست بصوت أجش: «لا بأس.»

«انني انتظر ذلك بفارغ الصبر.»

وذهب، وبقيت هي تحاول التمسك بعمود بجانبها كي لا تسقط على الأرض. وتناهى إلى سمعها صوت انصفاق باب غرفة المكتب المألوف، فانتفضت منتصبة القامة. كان اسطفان يتجه، عابس الوجه، نحو فيكادو. وتأوهت. يجب ألاّ يتحدثا عنها بأي ثمن كان.

وخطرت لها فكرة الخداع. فاندفعت نحو اسطفان بينما كان في منتصف الطريق مجتازاً القاعة، وهي تهتف به متحمسة: «إنني في غاية السعادة.»

وتابعت بصوت تهزه المشاعر: «انك لا تعرف ماذا يعني لي هذا. لقد عملت طيلة حياتي لأجل هذه اللحظة. فلا تخبر أي أحد آخر. أتوسل اليك! إن الأخذ والرد في ذلك سيؤخرك عن الرحيل. هل تعدني بذلك؟ عدني، أرجوك، أرجوك.»

ورد عليها اسطفان بصوت أجش وقد تأثر بتوسلها: «لا تثقي بأي شيء يقوله أو يفعله. وهذا رقم هاتفي في الفندق. فإذا شعرت بحاجة إليّ فسأعود إليك على الفور. وستتفهم تانيا ذلك. ضعي في اعتبارك ألاّ تدعي طموحك يعميك عن قسوة هذا الرجل وسلوكه المنحط.»

فقالت له وهي ترتجف: «هيا، تابع طريقك، وأنا اعدك بأن أحمي نفسي. إنني أقسم بألاّ أدعه يسبب لك أي ضرر بواسطتي.»

فابتسم برقة، ثم قبل جبينها. وأخذت هي تحتضن، بعد ذلك، تانيا وليزا وجون وهي تصرخ: «إلى اللقاء، إلى اللقاء، اتمنى لكم شهر عسل غاية في السعادة.»

وتوسلت عيناها الخضراوان إلى اسطفان بألاّ يخبرهم عنها شيئاً، أو يجعل تانيا تساورها أية ريبة. وعندما ابتعدت اضواء السيارات التي تحملهم، أخذت هي تحدق في أثرها، ولما لم تجد سوى الظلام، قالت إلى اللقاء للآخرين، ثم صعدت ببطء، إلى فراشها.

ومنعها شعورها بالإرهاق، من النوم. فقد كانت تلك العينان الملتهبتان في خيالها طيلة الليل. وكان السبب في ذلك غامضاً. ربما كان الشعور بخطر ما هي مقدمة عليه.

وتقلبت سوزان بين الأغطية الموشاة والوسادة المطرزة.

محاولة أن تصرف افكارها إلى تفصيل الثياب وحزم الأوراق المالية، لتكتشف بعد ذلك يائسة أن لازلو مازال يحتل أفكارها.

«مذهل...»

وتملكها الشعور المعتاد بالانتصار، ولكنها أبقت نظرها ثابتاً وهي تسأله راضية: «أهو كذلك؟» وكانت تربت على شعرها المعقود من الخلف على الطراز المكسيكي. وبالرغم من تصنعها الهدوء في نظراتها، أخذت تراقب، خلسة، خطوط بذلته الكحلية الرائعة الأناقة.

وتمتم: «هل نذهب؟»

وتحولت انظارها إلى عينيه السوداوين المتحركتين على الدوام، وهي تسأله: «إلى أين؟»

وأجاب ببطء: «سنناقش، أولاً. الخطط، ثم إلى مخازن النسيج.» وكان يقول ذلك وهو يفتح لها باب سيارته.

وقالت: «ما أحسن هذا.»

وجلس لازلو في مقعد القيادة، ثم استدار يواجهها وقد اراح يده على ظهر مقعدها. ودون عجلة أخذ يتفحصها.

وقال: «بإمكاني أن اغطي السيارة إذا شئت، فأنا لا أريد أن يفسد تصفيف شعرك.»

فقالت بسرعة: «كلا، أرجوك ألاّ تفعل ذلك، فأنا أعشق مرور الهواء على وجهي، أما شعري فيمكن اعادة تنظيمه بسهولة، بعكسي أنا.»

«وكذلك أنا. وهذا يجعل علاقتنا اكثر إثارة، أليس كذلك؟»

فأجابته ببرود: «كل ما يجمع بيننا هو الاهتمام بالكسب المالي.»

«اكثر من ذلك قليلاً، كما أظن، فقد اخترنا نفس اللون في ملابسنا.» ولم تكن هذه الحقيقة قد غابت عنها. لا، ولا القميص الأبيض. وتابع قائلاً: «يبدو عليك الكفاءة التامة.»

فأجابت: «انني كذلك.»

فعاد يقول: «زينة رائعة كافية لتظهر اهتمامك، انما غير مبالغ فيها كي لا يبعدك عن رغبتك في الظهور بمظهر المرأة العاملة. علو كعبي نعلك يكفي لابرازك كإمرأة مسيطرة. انما يبقى ملائماً لقضاء يوم طويل خارجاً.»

فسألته بحدة: «يوم طويل؟» ودهشت قليلاً وهو يعدد كل النقاط التي سبق وتبادرت إلى ذهنها عندما كانت تختار ملابسها.

وأجاب برقة تدعو إلى القلق نوعاً ما: «ان لدينا الكثير لنتحدث عنه، كما أن التعاون قد ابتدأ بيننا.»

فقالت بحدة: «ان عليّ ان اعود إلى هنا لتناول العشاء.»

فالتفت إليها قائلاً: «كما تشائين.» وتحرك بالسيارة خارجين من البوابات ليدخلا القرية.

وقالت بهدوء: «لا بد أنك شعرت بالغربة الليلة الماضية عندما عدت إلى منزلك؟»

«إنني لم أعد إلى منزلي.»

وقالت له بحدة: «ولكنك غيرت ثيابك؟»

فأجاب باختصار: «في فندقي.»

فقالت وقد صدمت بجوابه المقتضب هذا: «آه...» ثم اخذت تحدق في بيوت القرية الملونة. وفي الحواجز الحديدية المدهونة باللونين الأزرق والأخضر والتي تحمي حدائق الأزهار المترفة من قطعان الماشية التي كانت تساق بجانبها يومياً. وكانت النساء تعمل، في حرارة الصيف، في ريها بينما أطفالهن يلعبون بين أقدامهن.

وأمعنت النظر في التعبير الذي بدا على ملامح لازلو. فقد

كان هو أيضاً، ينظر إلى تلك الحياة العائلية، الأب يعمل مع ابنته الصغيرة يداً بيد، الأولاد يتواثبون مرحاً، المرأة التي كانت تمسك بابنها تديره في الهواء بسرعة، ضاحكة بينما كان هو يصرخ. لا بد أن كل هذه المناظر كانت تؤلمه. فقد كانوا سكان قريته.

وسألته برقة: «هل منزلك، إذن، بعيد عن هنا؟»

فهز لازلو كتفيه وهو يجيب: «ان منزلي هو حيث ألقي برأسي. إنني أعيش حراً دون أية قيود أو مسؤوليات واتنقل بين مانهاتان ونايتسبردج و هونغ كونغ وبودابست.»

انحدرت بناظريها إلى يده القوية التي على المقود، كان يضع في بنصر يده اليسرى خاتماً ذهبياً ثميناً لم تلحظه من قبل، يزينه حجر من الياقوت الأزرق. أما الساعة فقد كانت رخيصة من نوع ساعات العمال.

وفكرت في أنه لم يكن يضع الخاتم في الليلة السابقة. لا بد أنه متزوج أو مطلق. كلا، إنه غير مطلق وإلا لألقى بالخاتم في النفايات دون شك. زوجة؟ وحاولت أن تتصور شكل تلك المرأة. لا بد أنها مكتملة من كافة النواحي، متألقة أنيقة. لا عجب إذن من تحذير اسطفان لها من سلوك لازلو الليلة الماضية.

وقالت ببطء: «إنك تحيرني.» وترددت، كان ثمة شيء يمنعها من أن تسأله عن زوجته وعما إذا كان له اسرة. إذ ربما يظن أن لها غاية من وراء ذلك.

وسألته: «إذا كنت غنياً إلى هذا الحد، فلماذا لا تقتني بيتاً تضع فيه كل مقتنياتك؟»

فضحك وكأن هذه الفكرة كانت سخيفة، وزاد من سرعة

www.elromancia.com

السيارة ما جعل شعره يتطاير في الهواء ليسبغ، بذلك، مظهر عدم المبالاة عليه. وأدهشها إذ قال: «ليس لدي أي مقتنيات، كما انني لا أريد بيتاً كبيراً، أو أيّ شيء يقيدني في مكان واحد. في الوقت الذي يمتلك فيه الشخص أي شيء، تضعف حصانته ويصبح قابلاً للعطب. وقد اختبرت بنفسي خطورة ذلك الوضع.»

فسألته: «أهذا هو السبب في أنك لا تريد قصر هوزار؟»

فأجاب ببطء: «هذا جزء من السبب.»

فعادت تسأله: «أوضح واخبرني لماذا لا تريد اللقب والأملاك؟ وفي الحقيقة، لا أكاد اصدق هذا.»

«هل عندك فكرة ماذا يعني أن يكون لديك منزل كبير، وأحلامك واسعة وأن تكوني مسؤولة عن سكان قرية؟ فكري في ذلك. إن المسؤولية الدائمة هي عبء ثقيل. ذلك أنه يتوجب عليّ أن اكون مسؤولاً عن دقائق حياة كل شخص، وسيكون حول عنقي نير يمنعني من الأسفار، والاستمتاع بالحياة، ثم متابعة اتصالاتي العملية حول العالم لأضرب المنافسين لي في عملهم. إنني رجل قلق اكره القعود والعجز عن الحركة.»

فقالت تحدث نفسها بهدوء: «المهر الوحشي.»

«أظن ستجدينني مصنف من فحول الخيل.» فتضرج وجهها، وقالت بهدوء وقد تذكرت ليلة أمس: «ربما من الأوفق أن تتصالح مع والدتك. ألا تحب هذا؟»

«إن الثمن سيكون غالياً، حتى ولو شئت أنا ذلك. لماذا تذكرين هذا الموضوع؟ فمن المؤكد انك تفضلين ان ابقى بعيداً عن الكونتيسة.»

«هذا صحيح. ولكنني أردت أن أتأكد من انك تفضل حقاً أن تبقي هويتك الحقيقية سراً. لقد فكرت في وضعي ملياً، فوجدت أنه ليس من الحكمة أن ارتبط بك بشكل قانوني، لأكتشف، فيما بعد أن هدفك الحقيقي ما هو إلا استلام القصر.»

«لقد سبق وأخبرتك أنني لا أريده. فأنا من الغنى بحيث يمكنني شراء أملاك اكبر كثيراً من أملاك وقصر هوزار.»

«ولكن ليس هذا هو الموضوع.» كانت تريد ان تعرف حدوده مهما كلفها ذلك، وإلى أيّ حد سيفي بعهده في هذه الصفقة. وتابعت تقول: «هنالك أسرة حاكمة يرجع تاريخها إلى ازمان طويلة، وأنت من سلالتها. ألا تشعر بشيء من هذه الناحية؟»

«كلا.»

فقالت وقد لحظت توتر قبضته فوق عجلة القيادة: «إنك تكذب.»

ولوى فمه وهو يتمتم: «على الرجل ان يخفي مشاعره.»

«لماذا؟»

فأطلق ضحكة صغيرة وهو يخفف بقدمه سرعة السيارة وتنهدت هي بارتياح، ثم قال: «ان اطلاق العنان لمشاعرك يعني الالتزام بعهد ما، بينما أفضل أنا أن أبقى حراً. وحتى الآن، اشعر بالرضى لكون المرأة التي لم تف بعهدها لأبي قد عاشت يكتنفها اليأس والشقاء. إنها اتخذت صديقاً، ولكن سعادتها به كانت قصيرة، لقد ضحت بنفسها في سبيل الأرض والحجر... ودفعت الثمن، والذي كان قضاء حياتها دون حب.»

قالت بتأثر: «ولكنها امرأة زاخرة المشاعر بالحب.»

فقال بخشونة: «ربما قد أصبحت كذلك الآن بعد أن أدركت أخيراً، أن الأملاك لا يمكن أن تكون بديلاً عن الانسان. إنما تأخر الأمر قليلاً بالنسبة إليّ، أنا ابنها، أليس كذلك؟ فهي، لكي تدرك أن الملك زائل، قد استغرق منها ذلك وقتاً طويلاً. إذ يمكن أن يخسرها المرء بقوة الظروف. وعلاقات الحب وحدها هي التي تساعدك في أوقات الشدة. وتساعدك على تجاوزها.»

فجازفت بقولها وقد امتلأت حماساً: «ما دمت تعرف هذا، فلا بد أنك قد استمتعت بطفولة سعيدة.»

أجاب بلهجة تنطق بالمحبة: «لقد كان لديّ من يحبني.»

«ولكن ذلك لم يكن كافياً. أليس كذلك؟ فأنت كنت بحاجة إلى محبة الأم أيضاً.»

وتوترت شفتاه وهو يقول: «أهذا ما تظنينه؟ أتريدين ان تعرفي الحقيقة؟ عندما ابتدأت بالاستعلام عن ثروة هوزار، وسمعت بأنها لم تعد تملك سوى كوخ آيل إلى السقوط واسمال بالية تضعها على جسمها، شعرت، عند ذلك، بالسرور. واحتفلت بذلك.» وأطلق ضحكة قاسية وهو يستطرد قائلاً: «بالرغم من تضحيتها النبيلة، وبالرغم من بيعها روحها إلى الرجل الذي كانت تدعوه بالحقير، أخذ القصر بالتداعي، ولم تعد الأرض تساوي شيئاً. صدقيني أن هذا بعث في نفسي أعظم السرور.»

فقالت بهدوء: «ولكن الأمر قد تغير بعد عودة اسطفان فقد ابتدأ في اصلاح القصر وجدّده مرة أخرى.»

وعندما تذكرت ما كان أخبرها به اسطفان، ارادت أن

تختبر صدقه فتابعت تقول: «لا بد أن هذا قد أزعجك. فما الذي فعلته؟»

«جعلت حياته صعبة قدر إمكاني، فقد بذلت جهدي في ألاّ يتسلّم المواد التي يطلبها، والعمال والحرفيون كانوا يتحولون عنه بعد أن تعرض عليهم أجور أفضل في أمكنة أخرى. وكنت أقنع الموظفين المسؤولين بعدم اعطائه الرخص التي يطلبها. وكنت أجعله يعلم من هو وراء هذا كله.»

وشعرت سوزان بقشعريرة باردة تسري في جسدها. وقالت ببرود: «ولكن ذلك كان حقداً وانتقاماً لا لزوم لهما.»

فهز كتفيه دون اكتراث وهو يقول ساخراً: «وماذا كان عليّ أن أفعل. أن أسمح لهم بنهاية اسطورية السعادة؟ إنني أعرف نفسي إلى درجة تجعلني أعرف أنني بحاجة إلى الشعور بأنني أخذت بثأر والدي على نحو ما، وإلا فإن غضبي سيتفاقم إلى درجة غير محتملة... ربما دفعني الاندفاع إلى الشارع وفي يدي المستندات الرسمية التي تثبت حقي في الميراث. إنني افضل الاحراق البطيء، وإطالة العذاب.»

وتحركت بضيق في مقعدها المكسو بالجلد. إن هذا يمكن أن يعود إلى الحدوث وذلك في القسم الثاني من انتقامه الآتي. وتمثل لها هذا كسيف داموفليس معلقاً فوق رأسها وقد أوشك على السقوط فوقها ليشطرها إلى شطرين. عليها أن تقوم بلعبة خطرة تسترضي بها لازلو وتمنعه في الوقت نفسه، من أن ينتصر عليها.

وتصنعت الاسترخاء وهي تقول: «رغم كل محاولاتك الكثيرة تلك، فإنك لم تنجح في الانتقام من اسطفان. لقد

تغلب على كل الصعوبات التي وضعتها في طريقه، وأعاد اصلاح الأملاك بشكل رائع الجمال.»

وأجاب لازلو موافقاً وقد توترت شفتاه: «نعم، لقد فعل هذا حقاً. ولكن، ألم تسمعي قط بتلك الحياة القاسية التي تجعل الانسان يعتقد بأنه وصل إلى المياه الهادئة، قبل أن يغرقوا سفينته؟ إن الحياة لن تكون سهلة بالنسبة إليه من الآن فصاعداً.»

«ما الذي تعنيه بذلك؟»

«هل يمكنك أن تتصوري شعوره الآن إذ يمول عدوه الرئيسي أخت زوجته؟ وكما يبدو قد أثار اهتمامها به أيضاً، وهذا سيقلقه وسيسلبه جزءاً من بهجة شهر العسل. وهو يعرف اساليبي جيداً لدرجة يدرك معها أنني بسبيلي إلى أن اقوم بتكوين هذه العلاقة بهدف ازعاجه فقط.»

وقالت بكبرياء: «إذن فهو سيدرك أنك لا تعني شيئاً بهذا.»

فتمتم قائلاً: «طبعاً سيدرك ذلك، فهو يعلم منذ وقت طويل أن في مكان القلب مني مضخة من فولاذ. وفي كل مرة ينظر فيها إلى أختك، سيفكر بنا معاً، خائفاً من أن تكون نيتي الاستمرار معك قدر استطاعتي وذلك فقط بقصد الانتقام. أرجو ألاّ أكون قد أفسدت عليه ليلة عرسه.»

فشهقت إذ علمت ما يمكن أن ينتج عنه هذا، وصرخت في وجهه بصوت باك: «ربما أمضت تانيا الليلة كلها في الدموع، أيها الوحش، لم أظن أبداً... أليس لديك أي شعور إنساني؟» واشتبكت عيناها الغاضبتان بعينيه وهي تتابع قائلة: «انك حقاً، من أسوأ الناس.»

وتوتر فك لازلو وهو يقول ببطء: «ذلك لأنني اتعامل بأمور سيئة. وكل انسان يدافع عن العالم الذي أوجده. وأنا أدافع عن عالمي. وسأدافع عنه حتى الموت. لقد سبق وأخبرتك أن عليّ أن أقوم بعمل ما. إن من مصلحتي أن يكون لديّ شيئاً خاصاً جداً جداً للمساومة.»

ورأت عينيه المليئتين بالإزدراء تستقران عليها.

فقالت تسأله لاهثة: «أتعنيني أنا؟ اتعني أنك ستستعملني أداة للمساومة؟ ما الذي ستفعله؟ وإلى أين نحن ذاهبان؟ أوقف السيارة، فأنا أريد أن أخرج منها.»

وصرخت بعصبية: «قلت لك أوقفها.»

الفصل السادس

وانحرفت السيارة، فصرخت سوزان بينما كان يحاول السيطرة عليها عابساً وهو يقول: «لا تكوني حمقاء، وكفي عن محاولة قتلنا، فان امامنا عملاً علينا القيام به.»

تمتمت عابسة: «انني اريد ضمانة منك.»

فأجاب متكاسلاً: «لقد سبق واتفقنا على اساس علاقتنا.» وانتقلت نظراته إلى مرآة السائق.

فقالت وهي ترتجف: «اعلم هذا، كن عادلاً معي، اكن عادلة معك.»

«آه... انني لم اخطط لشيء قديم الطراز بهذه اللذة.»

ففتحت فمها ساخطة، ولكنها ما لبثت ان ادركت انه يوقف السيارة، فسألته بارتياب عندما رأته يطفيء المحرك: «ما الذي تفعله الآن؟»

فنظر إليها ببراءة وهو يشير إلى احدى الاستراحات الصغيرة التي تمتد على طول الطرق الهنغارية، قائلاً: «انني بحاجة إلى قهوة، وبجانب هذا، فاننا ملاحقان.»

فهتفت: «ماذا؟»

فأجاب محذراً عندما اندفع رأسها إلى أعلى بدهشة بالغة: «لا تديري رأسك.» ومد يده يمسك بنقنها وهو يتابع: «كيلا تتعجبي، فأنا أقوم بهذا لكي اهدىء من شكوكهم.»

فقالت وهي تتململ: «اياك...»

فعاد يهمس بخشونة: «سوزان...» ودفعت نفسها إلى

الخلف للهرب منه وهي تنظر إليه محملقة بعينين تتألقان بلون اخضر مزيج باللون البني.

وهمست بصوت اجش: «لازلو... كيف تجرؤ...؟»

فأجاب ببطء: «أظن هذا كافياً للاقناع. لقد ناضلت جيداً وهذا حسن. والان، اصغعيني.»

غمغمت تقول: «ماذا؟»

وعاد لامساك ذقنها، ولكنه هذه المرة، همس في أذنها قائلاً: «ان اسطفان وفيكادو سيرسلان إلينا جنوداً إذا هم ظنوا انني نجحت في إغوائك، اننا لا نريد تدخلهم. وأنا اعرف ان إغواءك قد اصبح حقيقة سارة، ولكن...»

وتملصت منه، لتفعل، بالضبط، ما طلبه منها. اذ هوت على وجهه بصفعة عنيفة، شاعرة، بعدها، بالرضى العميق للألم الحارق الذي شعرت به على كفها. فقد اراحتها هذه الصفعة من بعض المشاعر العنيفة كذلك. وغمغمت باضطراب: «انك... انك...»

فرفع يديه مدافعاً عن نفسه وهو يقول: «آسف! آسف! سامحيني! لقد تجاوزت حدودي.» وخفض من صوته متابعاً: «هذا حسن. لقد كان علي ان أثير حنقك يا سوزان، وهذا اتى نتيجة حسنة، كما اظن.»

فقالت: «هل أنت تعتذر، ام انك تعرض الاعيب؟»

«الاثنان؟ اضيفي إلى الوضع شيئاً من منطقك المشهور، يا سوزان. اذا اردت ان يتحكم صهرك الأكبر في كل حركة تأتينها، اذن، فدعيهم يظنون انك خضعت لاغوائي لك أما اذا كان النفي، وافهم من هذا انك لا تريدين تدخله اكثر مما اريد، فعليك اذن ان تثبتي ان بامكانك اجتذابي إليك. ذلك ان

علي المحافظة على سمعتي المشهورة وهي انني محبوب من الدرجة الأولى. ولهذا يجب ان يروني وأنا أمسك بك بينما تصفعينني.»

وتساءلت عما اذا كان هذا حقاً ما كان يقوم به.

وتمتمت قائلة: «انني لا اصدق ان ثمة من يتبعنا.» فأدار المرآة نحوها وهو يقول بهدوء: «تظاهري بأنك تتفحصين زينتك، واختلسي نظرة إلى السيارة التي وقفت في هذه اللحظة.»

ونظرت سوزان إلى صورتها المذعورة في المرآة، وهي تسوي من زينتها، وكانت يداها تتحركان بارتباك، تدفعان خصلات شعرها إلى ما خلف اذنيها.

وقالت بدهشة بعد أن استطاعت تمييز السيارة على الفور: «المرسيدس!»

فأجاب باقتضاب: «اعلم ذلك، فهي سيارة اسطفان.»

إذن، فقد كان ثمة سبب لملاطفته لها. يا له من وحش انانى قذر... وتمتمت تسأله: «وكيف عرفت انها سيارته؟»

«لقد تأكدت من ذلك بعد ان القيت نظرة على مرآبه اول وصولي. وهذا من باب الاحتياط.» وقال جملته الأخيرة ساخراً وهو يرى عينيها غير المصدقتين تنظران إليه بتشكك. وتابع ساخراً: «انني أفكر في كل شيء، فأنا دوماً اعتقد انك اذا احسنت وضع الأساس، فان بامكانك بناء ما تريدين عليه، وبالعلو الذي ترغبينه. وهذا ما يجعلني اتفوق، في ما افعله، على اي رجل آخر.»

فقالت بلهجة لاذعة: «يا لك من متواضع.»

فقال: «انني ابذل في عملي من الجهد عشرين في المئة

زيادة عما يبذله معظم الناس واحصل على نتيجة ذلك. فأنا لا أعتقد بانكار الحقيقة فأضيع بذلك الوقت.»

فاعترضت قائلة ببرود: «بل أنت تفعل ذلك. فأنت تدعي بأنك لم تتألم من نبذ امك لك.»

فدس لازلو اصابعه في شعره وهو ينتفض، وقد غامت عيناه، وشعرت هي بالخزي. لقد آذته هذه الوخزة منها له، اكثر مما كانت تتصور. ولكنه تمالك نفسه بسرعة ليقول: «هل نتناول شيئاً من القهوة، ثم نجول في هذه الأنحاء؟»

ورأته يستدير حول السيارة آتياً إلى ناحيتها ثم فتح الباب. ووقفت مترنحة قليلاً ثم قالت بعنف: «لماذا يتبعوننا؟ ولماذا لا ندعوهم إلى الركوب معنا في سيارتنا لكي يوفروا البنزين؟»

فرفع حاجبيه يسألها: «لماذا؟ اذا كنت تظنين ان اسطفان سيغسل، يوماً، يديه منك ويسمح لك بالتجوال في انحاء هنغاريا مع شخص منحل مثلي، فأنت اذن، مجنونة.»

رمقته بنظرة ساخطة وهي تقول بحدة: «انني لا اهزل، فاذا كنت تقول انه لا ينوي ابداً ان يثق بي حين اخرج للعمل وحدي، فانني، اذن، غاضبة منه جداً، فأنا لا أحب ان يتآمر علي لكي يحميني. المسني مرة اخرى، لكي ترى...»

فقاطعها بلهجة مهينة: «ارى مبلغ استمتاعك بذلك.»

فتملكها الشعور بالخزي، فقد كانت الحقيقة صعبة. وقالت ثائرة: «لا بد أن اجد طريقة لجعلك تندم على كلامك هذا.»

فقال يسترضيها: «هيا، اطلبي سندويتش.»

فأجابت بلهجة لاذعة: «اتراهم يسحقون ويقطعون انانية الرجل لعمل سندويتشات منها؟»

فضحك وهو يهز رأسه متمتماً: «انك رائعة تماماً، وأنا مستمتع جداً بهذا، ويسرني ان اقول ذلك.»

وتوقفت. كانت صادقة مع نفسها إلى حد ارتكاب الخطأ. وكان عليها ان تعترف، ورفعت إليه عينيها المضطربتين لترى نظراته مركزة عليها برصانة وتصميم.

وابتدأت تقول: «كم يسرني ان افكر انني، يوماً ما، سأجعل كل شخص، بما فيهم أنت، يرى ان باستطاعتي الوقوف على قدمي...»

فتمتم قائلا: «لن تستطيعي ذلك.»

فأرغمت نفسها على الابتسام. انها، لكي تتغلب على لازلو بحاجة إلى الكثير من المكر والمراوغة لكي تهزمه.

وقالت بصوت منخفض ماكر: «ربما كنت انا اتعمد التزلف اليك.» ورمقته بنظرة متحدية. فنظر اليها بارتياب، ما جعلها تشعر بالظفر، وتابعت تقول: «حذار يا لازلو، فلربما مارست انا الاعيبك فأدعي ضعفاً لا أشعر به. فان ما يسندني هو من القوة بمكان. وان ما يسرني كثيراً ان أراك خاضعاً مستسلماً.»

فقال: «أحب أن أراك تحاولين ذلك. ولكنك لا تملكين فطرتي القاتلة. فأنت لطيفة هشة جعلك حب اسرتك رقيقة الاحساس.»

فقالت ببرود: «ان اسرتي معروفة باتباع مبادئها والنضال في سبيل هدفها مهما كان الأمر. واذا انت وقفت في طريقي، فسأدوس عليك. فلا تنس هذا ابداً. انني اريد عملي وبامكانك ان تساعدني في الحصول عليه. وأنا، حالياً، اخرج معك. ولكن، اذا حاولت ان ترغمني على السير

في اتجاهك، فسأنفصل عنك واسير في طريقي بمفردي. هل هذا واضح؟»

فأجاب محذراً: «ان رجال صهرك قادمون في اثرنا. فعلينا ان نهدىء من مخاوفهم والا، فيسرع هو الينا من حيث يمضي شهر العسل، لكي يدافع عن شرفك ومصالحك المادية. ونحن لا نريد ان نفسد الاجازة على تانيا، اليس كذلك؟ أو ان يعاملك كالأخت الصغيرة التي تهمل نظافة اذنيها.»

فتوهج وجهها. وكان هو يعلم انها تريد ان تجعل اسطفان يعتقد بأنها تمسك بالوضع بيد ثابتة. وقالت بخفة: «دعنا نتناول القهوة، اريد كعكتين مع السجق من فضلك، بينما الدفع عليك.»

فضحك لازلو ثم تمتم قائلاً: «انني أحب جرأتك ولكنني امقت الحمية التي تتبعينها للنحافة.» ثم ادلى بطلباته للبائع ووقف بجانب منضدته، بينما اخذ الرجلان راكبا المرسيدس يتسكعان قريباً منهما، مظهرين عدم الانتباه اليهما بينما كانا يستمعان إلى حديثها. وقال لازلو رافعاً صوته قليلاً: «لا بأس، لا بأس، انني موافق على شروطك. انني لن اضايقك اكثر من ذلك. فلسانك السليط قد جعلني مهذباً بقية حياتي. ولكنني بتقديمي إليك اعتماداً مالياً دون حدود، انما بمغامرة كبرى، ولهذا فانني اصر على خمسين بالمائة من الارباح.»

فغمغمت مضطربة: «خمسون؟»

فتمتم بصوت خافت: «وافقي على ذلك، فانهم جميعاً يعرفون انه ليس من الممكن ان ارضى بأقل من ذلك، ودعينا نتخلص من هذين الشخصين اللذين يتبعاننا.»

فقالت باحتجاج: «لا يكون خمسين ابداً سأدفع عشرة.»

«اذن، فليكن اربعين في المائة وهذا هو الرقم النهائي، واذا لم يعجبك، فسأبتعد عن طريقك.»

وأدركت من برود نظراته انه لم يكن يمزح. فقد كان واضحاً ان كبرياءه التجاري يدفعه ألاّ يتنازل لامرأة أكثر من ذلك. وهزت كتفيها. وما الذي يهمها؟ لم يكن ثمة شخص هناك ليمسك عليها ما تقوله. فهما فقط، يقومان بلعبة لكي يتخلصا من الرجلين.

وقالت بخفة: «فليكن اربعين.» واهتزت يدها.

فتمتم لازلو: «هذا للمظاهر فقط.»

ولكنها شعرت بانذار الخطر، وتساءلت عن صحة ذلك، وما هو موقف القانون من وضع كهذا، ان بامكانها الادعاء بتعرضها للابتزاز والضغط، وعضت شفتها شاعرة بالقلق بعد أن أدركت أنها سلمت لتوها للازلو، شفهياً، حصة كبيرة من الأرباح.

وتمتمت متظاهرة بنفض فتات خبز عن جاكتته: «اذا انت لاحقتني بما قلته لك في هذه التمثيلية فسأقودك إلى المحكمة العليا.»

فرد عليها هامساً: «في هذه الحالة، سأعطيك بعض الارشادات.» ولدهشتها، اذا به يتوجه إلى الرجلين فيصافحهما.

وانكمشت خوفاً بجانب المنضدة وقد نسيت الكعكة التي بين اصابعها، انه اذن، يعرفهما... وهو يتحدث اليهما كأنهم اصدقاء وكانا يضحكان والآن...

وعندما اخرج احد الرجلين مسجل جيب صغير من جيبه، صرخت تنادي لازلو بصوت متحشرج: «لازلو.»

ورد عليها بصوت ظافر وعلى وجهه ابتسامته تلك التي تدير الرؤوس: «اربعون بالمائة.»

وتجمدت في مكانها لا يتحرك فيها سوى عينيها وهي تنظر إلى الرجلين يربتان على ظهره وقد سرتهما هذه المزحة، ثم يتوجهان راجعين إلى المرسيدس وقد تجاهلاها كلياً. وجف فمها من الذعر. لقد اوقعها في الفخ.

وفجأة، تحركت للعمل، فاستدارت نحو السيارة، وكان هو قد ترك المفتاح في المحرك، فاذا امكنها الوصول... آه، وتأوهت في داخلها وهي تراه قد اصبح خلفها.

وشعرت بنفسها تستدير مستندة إلى جانب السيارة ثم ترفع قبضتيها لتهوي بهما بعنف على صدره الصخري، ولكنه ضحك ببساطة وهو يمسك بمعصميها، لاوياً ذراعيها خلف ظهرها دون جهد.

وصرخت فيه بعنف: «أيها الشرير الأثيم الوغد، انهم ليسوا رجال اسطفان بل اصدقاؤك.»

فأجاب مصححاً كلامه: «بل هم موظفون عندي. لقد اخذت، لتوك، درساً هاماً جداً في ميدان الأعمال. ويسرني ان اتسلم مسؤولية البدء بتلقينك هذه الدروس. لقد كنت في منتهى الثقة بنفسك، متأكدة من قدرتك على التعامل معي. ولكنك اخطأت بوضع ثقتك بي، ومن التصرف دون تفكير. هذا فظيع، اليس كذلك؟ اعني ان تزول الغشاوة عن عينيك. والآن، اصبحت تحت سيطرتي اكثر مما كنت قبلاً.»

فصرخت وقد ذهلت بغبائها: «كلا.»

فقال: «سوزان انني اطوف متعاملاً حول العالم. وستقابلين كثيرين مثلي في حياتك انما قد لا يكون احدٌ

منهم بقسوتي. ولكن العالم الخارجي جد قاس وعليك ان تعرفي ذلك وتعيشين ضمن قوانين صعبة قبل ان تتسلمي مسؤولية عمل يتخذ موظفين. وإلا، فانك لن تنجحي. وستغوصين في القاع كفأر غريق.»

فقالت لاهثة: «ولكن... انها سيارة اسطفان؟»

فأجاب: «نعم، فقد اخذت المفاتيح من على طاولة المطبخ. وفي الحقيقة، لقد اخذت مفاتيح جميع السيارات، لأنني كنت متأكداً من انهم سيتبعوننا وهذا ما كان علي ان امنعه. كنت اعلم انه لن يتركك ابداً في قبضتي، ولم أكن لأقبل بأن اشعر بأولئك الذين يرسلهم خلفنا.»

وقالت له بغطرسة: «ان الذي قمت به كي تستخلص مني الاتفاقية هو عمل غير شرعي...»

«بل هو شرعي، فقد وافقت انت على ذلك، وقد تصافحنا، وكل هذا مسجل في المسجل، واذا أردت أن تحاربيني فانني سأخبر كل ما عندي من محامين لكي يتولوا القضية. وعلى الأقل، ستظهر لك هذه القضية مدى ما كنت عليه من حماقة. وسيكون ظن اسرتك بعدم صلاحيتك لدخول دنيا العمل، في محله.»

فزمجرت غاضبة من نفسها. وشعرت برغبة في البكاء غيظاً، وهي تقول: «لقد صدقتك.» وتحشرج صوتها واحمرت عيناها انفعالاً. لقد كافحته دون جدوى. ودفعت برأسها إلى الخلف مرة اخرى، وهي تصرخ بصوت باك: «سأتدبر امري وحدي...»

«أظن أن علي أن أذكرك بأمر أو اثنين، الأول، هو أن بامكاني ان ادمر حياة شقيقتك بكلمة واحدة.»

فشهقت وهي تقول: «ولكنك قلت انك لن تفعل ذلك.» فتابع يقول دون ان يهتم لكلامها: «الثاني، هو ان عندي اثباتاً لحصتي في ارباحك المقبلة. وما دام هذا قد اصبح واقعاً، فعليك ان تكلفيني بتدبير امر اتصالاتك. اذ ان نجاحك في اعمالك يعني نجاحاً لي انا ايضاً، لا تنسي هذا.» ولم تستطع ان تركز افكارها ازاء نظراته التي جمدتها في مكانها. وخامرها شعور بأن شيئاً ما هو في غاية السوء. فهو ما كان ليساعدها هكذا دون ان يكون وراء ذلك هدف سيىء. وجعلتها هذه الفكرة ترتجف، بينما كان هو يستطرد قائلاً: «الثالث.»

هل هنالك اكثر من هذا؟ وغمغمت قائلة: «الثالث؟»

فقال: «انني اقوى منك، وأنا أشير إلى هذا لأنه يتصل مباشرة بالواقع الذي نحن فيه الآن. انني اريد أن آخذك إلى منزلي، ونحن الاثنين نعلم ان بامكاني ذلك في أي وقت.»

وازداد اتساع عيني سوزان وقد اشتد توتر ملامحها وهي تقول بصوت مرتجف: «ان اخلاقي ليست بهذه السهولة، فاذا كنت تريد المسامرة، فاذهب إلى زوجتك.»

فأجاب: «لا يمكنني ذلك، لأنها توفيت منذ اربع سنوات.»

إنه أرمل اذن، وحاولت ان تركز ذهنها على هذه النقطة. ولكنه لم يخبرها شيئاً عن شعوره نحو زوجته، فهي لم تلمح اي مشاعر ولا حتى رجفة بسيطة في صوته.

وقالت بصوت متوتر: «أظن أن بامكاني، إذا أنت حاولت ان تفرض نفسك علي، ان اجتذب اهتمام العاملين في الاستراحة هذه.»

فقال وعلى وجهه ابتسامة الذئب: «هذا ممكن.»

فقالت بانفعال: «انني ارفض ارغامك على هذا العمل.»

فأجاب ساخراً: «ليس لك ان تضعي شروطاً فأنت لست في وضع المنتصر. فكفتي هي الراجحة. وعندما اعقد اتفاقية ما، فانني اتأكد من عدم وجود ثغرة فيها، ولا بد لي من الاعتراف بأنني غير متأكد من الاختيار الذي أريدك أن تتخذيه، لأن عقلي يقول لي شيئاً، بينما قلبي يقول لي شيئاً آخر...»

فشهقت وهي تسأله: «أي... اختيار؟»

فأجاب: «إما ان تعطيني اربعين في المائة من ارباحك واما ان ترضخي الي بارادتك التامة ودون شكوى.»

وشعرت بالغضب ازاء هذه القسوة البالغة المتمثلة في هذا العرض. واجابت بصوت ابح: «إنني لست للمقايضة في الصفقات كما كان الحال منذ مئات السنين.»

فقال: «حسناً، فسأقبل اذن، مبلغ الأربعين في المئة.» ولا بد أنه رأى الذعر في ملامحها، وترقرق دموع القهر في عينيها، لأن لهجته رقت قليلاً، فتمتم قائلاً: «لا تتشددي في ذلك، اذ لم يسبق لأحد ان هزمني قط من قبل، واذا امكنك ذلك فستكونين في منتهى الروعة.»

فخفضت من بصرها، اربعون في المئة! حمقاء حمقاء حمقاء... وتوتر فمها. لا بأس لقد هزمها... انما الآن فقط. وأقسمت، بينها وبين نفسها، انها ستجد طريقة ما، في يوم ما تجعله، يدفع ثمن ما يسببه لها الآن من اسى وشعور بالفشل في الوقت الذي هي فيه بأمس الحاجة إلى الشعور بالثقة بنفسها والسيطرة على اعصابها.

وتمتمت بصوت بنطق بالقهر: «انك بالغ المهارة بالنسبة إلي... كنت واقفت على ان علاقتنا هذه هي علاقة عمل.

ولهذا عليك ان تساعدني اذا كان علينا ان نكون شركاء، ان عندي الموهبة، وعندك المال. ومن الآن فصاعداً، سألتزم أنا بما اصلح له.»

وعندما نظرت إليه، لمحت في عينيه نظرة ساخرة. ها قد شعر بالأمان وهو يسمع اعترافها بالهزيمة.

كلما زادت سرعة السيارة، كان لازلو يشعر بالمزيد من الاسترخاء، وشعرت هي بارتياحه هذا وزوال التوتر الملتوي والمتصلب.

كانا يسيران بجانب نهر الدانوب حيث ازهار الخشخاش تلون التلال بالحمرة، كما كانت اسراب طيور السنونو والقنابر تكاد تداني سطح السيارة، كل هذا ساعد على اندفاع لازلو المفاجيء بالغناء.

وفكرت، بدهشة مفاجئة، في انه انما يغني طرباً، كالطيور، ونظرت إلى جانب وجهه بطرف عينيها، كان يبدو راضياً سعيداً... رائع الجاذبية إلى درجة خطرة.

ولاحظ هو نظراتها إليه، فارتسمت على وجهه ابتسامة عريضة وهو يقول: «ما رأيك في أن نتجه جنوباً حيث الجو اكثر حرارة؟»

«ولكنك قلت بأننا ذاهبان إلى مكتبك؟»

فأجاب: «هذا صحيح، ولكنني افترضت ان الأمر نفس الشيء، ها قد وصلنا.»

واستدار تاركاً الطريق اليسير في طريق مستقيم متجهاً إلى بوابة مزخرفة وهو يطلق نفير السيارة.

وهتف يحيي الرجل الذي أقبل مهرولاً ببشاشة خارجاً من كوخ البواب الصغير، هتف يقول: «فيرينك.»

وتملك سوزان الفضول وهي ترى سرور فيرينك وشوقه وهو يفتح البوابة. واخذت تراقب، مفكرة، تبادل هذه العواطف بين الرجلين، ليتصافحا بعد ذلك، قبل ان يتحول لازلو ليتابع السير داخلاً إلى المنزل بسيارته.

وسألته فجأة: «منذ متى يعمل هذا الرجل في خدمتك؟»

فأجاب: «حوالي الخمسة عشر عاماً.»

وسألته بارتياب: «اهذا هو مكتبك؟ انه يبدو لي وكأنه ارض خاصة لمنزل ما.»

فابتسم قائلاً: «الاثنان. في البداية، كان هذا المنزل كوخاً للصيد لبعض فرسان سانت جون في القرن الرابع عشر. ثم آل إلى أسرة استرهازي التي وسعته، بعد ذلك بأربع مائة سنة، انني استعمله كمكتب خاص وللاجتماعات. لقد كان اصحابه اسرة استرهازي انتهازيين للفرص، فأول شخص منها تزوج لأجل المال. ثم اخذوا، اثناء الحروب التي مرت على البلاد، يميلون إلى الجهة التي تناسب مصالحهم.»

فقالت بلهجة لاذعة: «لا بد أن جو هذا المنزل يشعرك بالالفة التامة.» وكان قد ظهر المنزل الآن، والذي كان مبنياً من احجار متواضعة، كما كانت الجدران صفراء بلون الشمام والسقف من القرميد كما هو الحال في منازل هذه المنطقة.

قالت ويداها تتحركان في حجرها بضيق: «انتظر لحظة، لقد سبق وقلت ان ليس لديك منزل.»

ضحك قائلاً: «ارتاحي، فهذا ليس بيتي وانما بيت ابنتي.»

فقالت بفتور: «ابنتك؟»

وأجاب هو: «بالتأكيد.»

اوقف السيارة ومال نحوها برقة، وتمتم قائلاً: «هل شعرت بالأمان اكثر، عندما علمت ان لدي اسرة؟»

أمان؟ وحبست انفاسها وهي تفكر في أن ليس ثمة شعور بالأمان مع هذا الرجل قبل مسافة عشرة اميال من حيث يقف.

وأجابت ببرود: «كلا ابداً، فان وجودي بصحبة انسان فاسق...»

وأخذت تتلمس مقبض الباب.

وكان يتمتم: «ما أروع هذا... انك رائعة.» ولكنها كانت قد وجدت المقبض، وقبل ان تتراخى عزيمتها، ضغطت على المقبض ذاك، ففتح الباب على اتساعه وسقطت منه.

وعندما مد لازلو يديه يمسك بها، أفلتت من بين ذراعيه، متدحرجة على الطريق المرصوف بالحصى.

وصرخ يسألها باهتمام بالغ: «هل أنت بخير؟» كانت يداها قد احتكتا بالأرض فعلقت حبيبات من الرمل على كفيها، وأخذت تحاول الوقوف على قدميها اذ كانت تعيقها تنورتها، وكان لازلو قد وصل إليها الآن حيث ساعدها على الوقوف وهي تقول شاكية: «آه، انظر إلى جوربي فقد تمزقا... و... وكذلك حذائي... لقد تلف الجلد! كيف بامكاني ان اقابل الرؤساء ورجال الأعمال، اذا أنا...؟»

فضحك وهو يقول ساخراً برقة: «كفى شكاوى، ودعينا نعالج الأمور واحداً بعد آخر، اولاً، هل أنت بخير؟ هل اصبت في أي مكان؟»

فنظرت إليه بعينيها الكبيرتين لتتلاقيا بعينيه، نعم، لقد

اصيبت. أصيبت في قلبها، وفي كرامتها، ولكنها في اعماقها، كانت تريد منه الرفق والرقة على الدوام، وأن يتخلى عن انتقامه القاسي.

وقالت تجيبه بجفاء: «ان وركي يؤلمني.»

فقال: «سأقوم بتمسيده بعد لحظة.»

فهتفت مذعورة وهي تحاول الابتعاد عنه: «كلا، لا تلمسني.» ونظرت إليه غاضبة، لتلمح من تعابير وجهه امارات الظفر، فتوترت شفتاها ثائرة. انه يظنها سهلة، وعادت تقول: «انك تفسد علي برنامج عملي في الواقع.»

فأجاب برزانة: «هذا صحيح، اظن من الأفضل ان نجعلك تقفين على قدميك اولاً، ومن ثم ندخل المنزل.»

قالت تسأله: «ماذا ستظن بنا فتاتك الصغيرة؟»

فقال وقد بدا من عينيه وكأنه يخفي سرا مرة أخرى: «فتاتي... تعنين ابنتي.»

وأخذت تتفحص حذاءها بأسف، فقد تخرش الجلد الرقيق. ولكن الدهان الجيد سيغطيه بطبيعة الحال.

وأجابته وهي تنفض تنورتها: «طبعاً، ابنتك هل ثمة خطأ ما؟»

فقال بهدوء بصوت جاف: «انك مخطئة لأن ابنتي تكاد تكون في سنك. فهي في الثامنة عشرة ومتزوجة ولها طفل في شهره الثالث.»

الفصل السابع

وشهقت سوزان مذهولة ولكنه كان جاداً، وقالت بفتور غير مصدقة: «لا... لا أستطيع أن أصدق هذا. فأنت لست من النوع الذي يتزوج فكيف بأن يكون لديك أسرة؟»

فقال بجفاء: «لم أقل أبداً إنني جلست في المنزل أهزّ الخشخاشة.»

فقالت بازدراء: «آه، أب غائب يترك العمل كله للمرأة الصغيرة القابعة في المنزل! وهذا هو العمل الذي يقوم به رجل مثلك.»

«هل نشرع في السير؟ إن هذا سيريح وركك، كما أظن. ويمنحك الوقت الذي يمكنك فيه أن تتعودي على فكرة أنك تتعاملين مع جدّ.»

قالت بلهجة مختنقة وهما يسيران في الطريق متجهين إلى المنزل: «جدّ... كنت أنا إذن، أتعارك مع جد.» ولوت فمها فقد كان الأمر يدعو إلى السخرية! ولكنها رغم غضبها لم تستطع أن تمنع ابتسامة واسعة على شفتيها. كان عليها أن تثور عليه، ولكن...

وقال ساخراً: «تباً للتجاعيد.»

وقالت بجفاء: «ليس ثمة تجاعيد في وجهك.»

فرمقها بعينيه السوداوين وهو يبتسم بمكر قائلاً: «ربما أن السبب هو استمراري في وضع المكواة على بشرة وجهي.»

فكبحت ضحكها وهي تقول متصنّعة الجد: «أو بمكبس البنطلون.»

فأجاب ضاحكاً: «تماماً. وعلى البخار أيضاً.»

فهزت رأسها متعجبة وهي تقول: «جد؟ ما أغرب هذا.»

فتوقف عن السير قائلاً بصوت أجش: «هذا غريب، أليس كذلك؟ لقد ابتدأت بتلقينك درساً، ولكنني وجدت أنك أنت التي تلقينني الدرس وهو أن أخطر مجازفة يقدم عليها رجل هي القبلة. ألا تظنين أن ثمة شيئاً خاصاً جداً بيننا، يا سوزان؟»

وغمغمت تجيبه: «كلا، فهذا غير منطقي وأنت تعرف هذا. إن كل شيء يقف ضد إعجاب الواحد منا بالآخر، ولا أذكر هنا الرغبة في... في...» وسكتت برهة ثم عادت تقول: «يجب أن يكون هناك تفسير منطقي.»

فابتسم برقة وعطف لانت معها ملامحه وهو يقول: «لا يوجد تفسير منطقي بالنسبة لتجاذب متبادل بين شخصين. ولا يمكنك أن تفعلي شيئاً إزاء هذا. ربما علينا أن نقبل بذلك لكي نرى في النهاية إلى أين يقودنا.»

أجابته بإصرار: «ليس علينا أن نقبل بذلك مطلقاً، وبطبيعة الحال في إمكاننا التصرف تجاه هذا الأمر، إننا... إن لكل منا نحن الاثنين أسبابه الخاصة التي تدفعه إلى أن يرغب في...»

فقالت: «إبق بعيداً عني، فنحن على طرفي نقيض، فأنت تبتزّني لكي تظفر بما تريد ولا بد أن يكون واضحاً لديك أنني أحتقرك. إنك أكبر مني بكثير وعندك ابنة متزوجة، علينا أن ننسى هذا الهراء الذي يحدث بيننا.»

فقال بجفاء يوافقها على ما تقول: «نعم، مهما يكن ما يتملكنا؟»

هزت كتفيها قائلة ببساطة: «امتحني.»

فتمتم وهو يلتقط حقيبة يدها: «إنه اقتراح ممتع ولكنني سأتجاوز عن ذلك حالياً، هيا دعينا ندخل أولاً لنرى ما يمكننا عمله بالنسبة لمظهرك المشعث.»

فصرخت بقلق: «آه، هل منظري سيىء إلى هذا الحد؟» ورفعت إليه وجهها الذي بانت عليه الخيبة وهي تتابع قولها باكتئاب: «أظنني بحاجة للجلوس.»

فسألها ببراءة: «إنك مضطربة قليلاً، أليس كذلك؟»

فحملقت فيه غاضبة وهي تقول: «ذلك من أثر السقطة.»

فقال: «آه...» لكنها كانت تعلم أنه كان يضحك في سريرته. وصممت على أن تتمالك نفسها لتذهله بتحليلها الذكي لخطتها العملية... وهكذا بقيت جافة بعيدة عنه وهو يسير بها ببطء وعناية تامة حول المنزل إلى الناحية الخلفية منه. كانت الحمير والخيل ترعى في مراع صغيرة، وجاء سرب من الأوز يرحب بهما. تقدم لازلو يطردها برفق بينما استندت هي برهة إلى السياج شاعرة بنوع من الهدوء النفسي، بالرغم من الأوز الذي كان يتواثب حولها.

وكانت طيور السنونو رائحة غادية حول مخازن الغلال المسقوفة بالقش. وثمة هررة نائمة ملتفة على نفسها في عربة يد مدهونة. وخلف بستان تفاح ناضج استطاعت أن ترى صفوفاً من عرائش العنب تتصاعد فوق التل حيث لا شيء بعد ذلك سوى الغابة ومزيد من التلال.

وعندما رأته يستدير متجاوزاً سرباً من البطّ سألته: «هل المكتب هنا؟»

فأومأ برأسه وهو يدفع بمفتاح حديدي ضخم في باب خشبي سميك، ثم دعاها إلى الدخول.

كانت تتوقع أن تأتي ابنته إليه راكضة، ولكن كان هنالك صمت مطبق، وكان المطبخ يشابه مخزناً للمؤونة كما كان دافئاً مريحاً وتعمه فوضى لم يكن باستطاعتها تصورها.

وصرخت بذعر: «لازلو إن هذا مريع بالنسبة إليك. فقد سطا اللصوص على المنزل.»

فنظر إليها بحيرة، ثم أخذ ينقل بصره بين الجوارب المتناثرة، والكنزات والأحذية والقمصان متفحصاً باقات أعشاب الطبخ وقد اختلطت فوق مائدة المطبخ الخشبية الواسعة وابتدأ ينقل الملفوف والكرز من على أحد الكراسي.

وقال: «ربما قد تعرضنا فعلاً للسطوّ.»

وارتسمت على وجهه ابتسامة عريضة وهو يتناول حبة كرز يتذوقها مستمتعاً وهو يستطرد قائلاً: «هم، م، م... إنها رائعة. إننا لن نعرف أبداً إذا كان ثمة سرقة قد حدثت فعلاً فالمطبخ هذا شأنه على الدوام. ومن الجميل منك أن تهتمي بذلك.» وابتسم لنظرة الذعر في عينيها وهي تدور بصرها حولها وتابع يقول مطمئناً: «إنه نظيف اجلسي.»

فنظرت إلى الكرسي متشككة. وتنهد لازلو وهو يتخطى الأشياء المتناثرة على الأرض بسهولة شخص تعوّد على هذه الأشياء، وتناول منشفة معلقة على الجدار، ثم نشرها على الكرسي لتجلس عليها.

فشكرته بتزمّت وهي تجلس.

وقال بجفاء وهو يفتح باب خزانة الطعام: «سأرى ما بإمكاننا أن نجهز للغداء.»

حدقت بدهشة إلى الرفوف الرخامية للخزانة الضخمة، فقد كانت مرصوصة من القاع حتى السقف بجرار مرطبانات المخللات والمكبوسات وزجاجات عصير الفواكه، والمربيات والخل والزيت... كما كان معلقاً من ألواح خشبية، السجق الأسود والبصل والثوم وشرائح التفاح والخوخ والمشمش المجفف...

وأشرق وجهها، لقد أشعرتها هذه الأشياء الريفية الرائعة بالسلوى والارتياح. وسألته: «من يخدم في المنزل هنا؟»

فأجاب ببساطة: «أي منا يكون موجوداً. وجميعنا أحياناً. فعند نضج الفواكه أو الخضر، نجلس إلى المائدة نقشرها أو نقطعها إلى شرائح أو ننزع أوراقها. وأظن هذا يساعدنا على الترابط معاً.»

فقالت: «إذن، فأنت تتوقف عن هزّ الخشخاشة أحياناً.»

فقال مراوغاً: «وهل سبق وقلت أنا ذلك؟»

وكانت تعلم أنه فعل ذلك وأنه يحمي نفسه منها. وداخل نفسها شيء من السرور. فهو يعشق أسرته وهذه نقطة هامة جعلتها تشعر على الفور، بالدفء نحوه.

وقالت تسأله بشيء من العصبية: «أليست ابنتك هنا؟»

فأجاب ببطء وهو يرى نظرتها الحذرة: «لقد طلبت منها أن تتغيّب هذا النهار، ولكن لا تقلقي فأنا فقط أردت ألاّ يضايقنا الأم وطفلها.»

كان واضحاً من الزهو الذي خالط لهجته، أنه يكن لهما حباً عظيماً مهما حاول أن يدعي غير ذلك. وتمتمت قائلة: «إذا أنا لم أقلق لوجودنا هنا بمفردنا، فإنني إذن حمقاء.»

قال بهدوء: «علينا نحن الاثنين أن نتذكر الغرض من

تعاوننا ونحتفظ به أمام أعيننا فهنالك أشياء أريدها، لها الأفضلية عندي على ما تخشين منه.»

فازدردت ريقها وهي تتجنب النظر في عينيه، وتمتمت قائلة: «إنني أوافق على هذا، فنحن الاثنين نعمل في سبيل نجاحي أنا لأسباب جديرة بالثناء، وأنت لأسباب انتقامية.» ورمقته بنظرة جانبية، فرأته يخفي ابتسامته فقالت بسرعة: «ولديك سبب آخر يجعلني تحت سيطرتك، أليس كذلك؟»

فقال ببطء: «أحقاً؟» فشعرت بالحنق وخيبة الأمل، وتابع هو قائلاً: «اصعدي إلى الحمام لتنظيف نفسك، وهو الأول إلى اليمين في الطابق الأعلى. وستجدين مناشف نظيفة في خزانة البياضات هناك، فاستعملي المناشف غير الملوّنة لأن البيضاء هي للطفل، وفي غرفة النوم المقابلة للحمام ستجدين الجوارب الجديدة في خزانة ابنتي.»

«لا يمكنني أن آخذ أي شيء من مقتنياتها.»

فأجاب متكاسلاً: «وكيف سيبدو منظرك إذا أنت دخلت مصنع الأنسجة هكذا.»

وتساءلت لماذا له دائماً الكلمة النهائية؟ ولماذا هي دوماً منطقية؟ حتى انها لا يمكنها مجادلته دون أن تبدو حجتها غير معقولة.

وقال: «ألا يبدو المنطق، أحياناً مثيراً للسخط؟»

فنظرت إليه بجمود. يا له من وغد. وقررت ألا تعرّض نفسها لمضايقاته لها. فهو لا يحب شيئاً قدر حبه للشجار. وحملت حذاءها في يدها، ثم خرجت من المطبخ صاعدة السلم ذا الزخارف الجميلة، قاصدة الحمام المترف، بينما صدى ضحكاته ما زال يرن في أذنيها.

وبعد أن غسلت الخدوش في يديها وركبتيها خرجت إلى غرفة النوم التي كانت دُمى الأطفال والصور منتشرة في كل مكان فيها. ولم تستطع أن تمنع نفسها من تفحص الصور تلك. فزوجة لازلو لا بد أن تكون في صورة منها.

وجالت عيناها بين الصور وأكثرها كانت تمثل لازلو. وكان واضحاً أن ابنته كانت تتفانى فيه. وطرفت بعينيها ها هي امرأة عادية قصيرة بدينة ضاحكة الوجه تقف مع لازلو وكل منهما يحمل طفلة. إذن فهما طفلتان! وها هما أيضاً في صورة أخرى تبدوان أكبر سناً، وتشبهان أباهما بشعرهما الأسود إنما لهما عينا أمهما المتلألئتان الضاحكتان. أما لازلو نفسه فكان يبدو كما لم تكن لتتصوره أبداً. كان يبدو سعيداً راضياً مزهواً.

واستغرقت في التفكير في ما كانت تظنه عن أناقة ورشاقة زوجته، فلم تنتبه إليه إذ دخل الغرفة، إلى أن سمعته يتكلم قائلاً ببطء: «ها قد اكتشفت معرض الوحوش.»

واستدارت لتراه واقفاً عند الباب ساخراً كعادته لقد توقعت أن ترى فيه ذلك الأب المزهو، وترى العاطفة والرقة التي بعثتها الذكريات في عينيه. ولكن لا بد أنها كانت مجنونة. ذلك أن لازلو بامكانه ساعة يشاء أن يبدل دمه إلى ذهب، وقلبه إلى دولار ينبض في صدره.

وقالت ساخرة: «معرض وحوش؟ يا لك من أب محب.» وسارت نحو طاولة الزينة بخطوات غير ثابتة وهي تحاول أن تطرد من ذهنها تأثيره عليها... وسألته: «كم يبلغ عمر ابنتك الثانية؟»

وأجابها: «إن دينا كما سبق وأخبرتك في الثامنة عشرة، ولارا في الخامسة عشرة.»

www.elromancia.com

فعادت تسأله ببرود: «هل يا ترى تعلمان أن والدهما يبتز الناس؟» كانت تتحدث وهي تفتش عن جوربين بيدين ترتجفان. ذلك أن وجود لازلو معها في مكان واحد، فيه ما يكفي...

وأجابها بلطف بلهجة تنذر بالشر: «ابتزاز؟ إنني لم أبدأ بعد، فما زال أمامنا الكثير.»

فاستدارت بسرعة مستندة بظهرها إلى الأدراج وقد بان في عينيها نظرة حذرة...

فزردت بريقها وهي تقول: «لقد كنت قلت إن هناك الكثير علينا أن نتحدث بشأنه.»

فاستند إلى الباب يسدّ عليها طريق الخروج، وهو يقول متأملاً: «أكثر مما تعرفين.»

وتظاهرت بعدم الاهتمام بما قال، فأدارت له ظهرها واتجهت داخلة إلى الحمام حيث صفقت الباب خلفها، ثم أقفلته من الداخل، وبعد أن ارتدت جوربيها برزت خارجة ببرود تام وقد تمالكت نفسها فاندفعت بجانبه خارجة من الغرفة. فتنفست بشدة وسمع صوت تنفسها هذا فأطلق ضحكة كريهة متغطرسة جعلتها تقبض يديها متمنية لو تستطيع خنقه...

لكنها قالت بدلاً من ذلك: «إن التفكير في نقودك الجميلة، هو وحده الذي يمنعني من طعنك في ظهرك بالسكين.»

فقال بلطف بالغ: «يا للصغيرة القذرة المحبة للمال.»

فقالت: «إننا يماثل أحدنا الآخر. أليس كذلك؟»

فأجاب موافقاً: «بالضبط. إننا متلائمان تماماً.» ومن ثم اندفعت تهبط السلالم إلى المطبخ الآمن.

وفكرت في أنه قد اعتاد هذا النوع من الغزل حتى أصبح عنده طبيعة ثانية. ومع أنها كانت فاشلة تماماً في التعامل مع هذا النوع من الرجال، فقد كان عليها أن تتذكر أنه كان على الدوام، يحاول أن يحتفظ بها تحت سيطرته.

وفتحت حقيبة يدها ثم أخرجت الأوراق ووضعتها أمامها على مائدة المطبخ بعد أن أبعدت جانباً أطباق الطعام المغرية التي سبق ووضعها هناك، وهي تقول له بجمود عندما ظهر وقد خلع جاكتته وطوى كمي قميصه: «دعنا نبدأ العمل.»

وابتسم وقال مقترحاً: «سنبدأ الآن إذا شئت، فهنالك أمر أو أمرين أريد أن أعرفهما مثلاً، أريد أن أعرف هدفك بوضوح.» ومدّ يده يجرّ كرسياً جلس عليه أمامها، وهو يتابع: «لماذا اخترت البيع بواسطة طلب بريدي؟ وما هو الخطأ في البيع بالتجزئة؟»

فأجابت بهدوء: «لقد قمت بدراسة فوجدت أن مجال البيع بالتجزئة لا يأتي بأيّ ربح حالياً إلا إذا كان ذلك بشكل متصل، حيث أن التسويق في بلادنا يتصاعد باستمرار. وهكذا تكون البداية ضخمة، وعند الشروع في ذلك أريد أن أكون موجودة.»

قال بدهشة: «معك حق. وسنتحدث فيما بعد عن مشكلاتك التي تتطلب التمويل، ودعينا نتحدث عن انتاجك، لقد قلت في عرضك إنك تريدين أن تنسخي القمصان الهنغارية. ماذا أيضاً؟»

وكانت على وشك أن تقول له انها لم تتوقع أن تحصل على التمويل من مكان أبعد من البلاد المجاورة لبلدها.

ولكنها عادت فتذكرت شيئاً سبق وقاله عن التمويل. فتألقت عيناها. إن بامكانها في النهاية أن تتغلب عليه.

وقالت بلهجة حلوة: «لقد أوسعت أفقي هذا الصباح فقط وكنت في البداية قد فكرت في أن أبدأ صغيرة من أول السلم.» واتسعت ابتسامتها وهي تتابع: «ولكن مع عرضك السخي، يمكنني أن أبدأ كبيرة.»

فقال يعترض على كلامها: «لن يكون العرض سخياً إلى هذا الحدّ.» وابتسم لثقتها هذه بنفسها.

وأجابت: «على العكس، فإنك ستكون غاية في السخاء ذلك أننا اتفقنا على أن تأخذ نسبة مئوية مقدارها أربعون في المئة من الأرباح. وأنا أطلب تمويلاً غير محدود. ففي نيتي استعمال تلك الأموال غير المحدودة. سآخذ ما أريد، هذا إلا إذا أردت أنت أن تنسحب من هذه الاتفاقية وتستقر على، قل عشرة بالمئة مثلاً؟ إن محادثتنا مسجلة على شريط. حاول أن تستعمله ضدي فيؤكد ملاحظاتك المتهورة...»

فقال يعنّفها برقة: «ما هذا؟ قائلاً: «أخبريني كيف تنوين أن تنفقي نقودي.»

«إنني سأسافر إلى الهند، حيث ستسنح لي فرصة لانتاج البنطلونات والسترات العسكرية الضيقة...»

فقال ينبّهها بهدوء: «لاحظيها عند تسليمها. فهي رائعة في جميع الأحوال، ولكن الوقت ليس هو الموضوع الأهم. وأغلب البلدان بالإضافة إلى الاتحاد السوفياتي، تحرص على مراقبة ضبط الكمية. وفي الزمن الماضي كان الزبائن يشعرون بالسرور إذا هم تمكنوا من الحصول على قميص،

ولا أقول على قميص في كل مرة، بنفس الأزرار والياقة.»

وقالت إزاء درايته الواسعة: «آه، شكراً. فكرت في أن أسافر بعد ذلك إلى الصين، لأجل بيجاماتهم الحريرية، وربما كيفية صنع ملابسهم الخارجية.

وقال ببطء: «اهدئي. فإن أمامك الكثير من الكفاح.» وابتسم وشعرت هي وكأن سحابة قد غطت وجه الشمس وتذكرت أنه ما زالت هنالك مشكلة، فهو لم يخبرها بعد، عن ماهية انتقامه النهائي.

وسألته: «ألا يضايقك أنني سأنفق نقودك بهذه الحرية؟ إذ أن التكاليف...»

فانحنى إلى الأمام واضعاً كوعيه على المائدة وهو يقول: «ثمة شخص هو الذي سيدفع، في النهاية كل شيء. إن عندك خططاً وأنت تريدينني أن أساعدك في تحويلها إلى حقيقة واقعة...»

فقالت بارتياب: «نعم... إن عندي عرضاً لعشر سنوات. لِمَ هذا السؤال؟»

فهز كتفيه مبتسماً بتكاسل وهو يتمتم قائلاً: «كلما ازدادت مسؤوليتي تجاه تحقيق أحلامك ازداد غيظ اسطفان. وهذا يدل على ضيق في الأفق. أليس كذلك؟»

فأجابت وقد بدا التفكير في عينيها: «نعم.» كان هذا يبدو لها سخيفاً، ولكنها كانت تدرك جيداً أنه يعني أكثر من هذا، وأن هنالك سبباً أهم من هذا بكثير يحمل لازلو على إفاضة أمواله على مغامراتها، أو التظاهر بذلك.

وشعرت بأنه لم يقترف أي خطأ بالنسبة إلى عرضه عليها ذلك التمويل غير المحدود، ذلك لأن جفنه لم يطرف

حين حدثته عن رغبتها في تلك السياحة العالمية. من الممكن أن يكون قد تعمّد الإدلاء بتلك الملاحظة ليرى إن كانت قد فكرت بذلك من قبل. وهل جعلها ذلك انتهازية للفرص مثله؟ أم... أنه يخدعها إذ يقودها في مياه هادئة، لكي يغرق سفينتها؟

وعادت إليه بأفكارها وهو يقول: «السؤال الثاني هو كم يستغرق الأمر من الوقت منذ إرسال العينات، إلى حين الانتاج؟»

فأجابت: «تسعة أشهر.» وضاقت عيناها وهي تراه يلوّح بنسخة من تحليلها النهائي لعرضها المقدّم للعمل، والذي لابد قد حصل عليه بالحيلة، وسألته ساخطة: «كيف وصل إليك هذا؟»

فأجابها وكأنه يخبرها بشيء جديد عليها: «إنني ماهر جداً، فقد أقنعت سكرتيرة جميلة بأن تحضر لي نسخاً منه. إنها فتاة حلوة تأكل كالحصان وتشرب كالسمكة.»

فقالت باشمئزاز: «إنها طريقة دنيئة.»

فقال: «وهذا ما قالته هي.» ولوى فمه للذكرى السارة. وعاد يقول: «ولماذا هذه الكراسة ذات المئة صفحة؟»

فقطبت سوزان جبينها بضيق وأخذت تفتش عن قسم معيّن في عرضها هذا.

وقالت ببرود: «لقد بحثت الأمر مع شركات نسيج أخرى فبدا لي أن هذا أفضل ما وجدت، وعندي كثير من البحوث المتعلقة بالسوق غير هذا الذي بين يديك، إذا شئت أن تراها. ومؤخراً وضعت خطة لارساء قسم لأزياء الأطفال وربما نضيف البياضات أيضاً لذلك. أما الآن، فأريد أن أركز على أزياء البالغين.»

فقطب جبينه وهو يقول: «لا أظنني سأوافق على عمل محدود كهذا. كيف تنوين التصرف بالنسبة إلى الاقتباس من تصاميم الأزياء الشعبية؟»

فلم تشأ أن تجادله، وقالت: «إن ذلك باقتباس أجمل ما في الزي مع الاحتفاظ بشكله الأساسي. ولكنني سأضع تفاصيلي الخاصة باستعمال الأقمشة المنتشرة تجارياً.» ومالت إلى الأمام وقد بدا عليها الجدّ، محاولة أن تتعامل مع هذا الأمر كأي عرض عادي. فلازلو لم يكن يعني بالنسبة إليها سوى مموّل. وعادت تقول: «إن أصعب ما في الأمر سيكون الاختيار. ذلك أنه سيكون أمامي العشرات من الأفكار يمكنني استعمالها. ولكن عليّ أن أصل إلى اختيار متوازن. وأقرّر ما الذي يعجب الزبون من الماضي ويناسب هذا العصر أيضاً. ما رأيك في انتاج برانس من اللباد مثل تلك التي يرتديها الرعاة هنا منذ مئات السنين؟»

فأجاب بثبات: «إنها لن تباع.»

فشعرت بالخيبة، ولكنها عادت تقول: «ولكن القمصان ستباع. إذا نحن أدخلنا عليها شيئاً من الزينة التقليدية...»

فقال: «ربما، وبالنسبة للحديث عن الأشياء التقليدية هنالك حاكم لمدينة صغيرة يلوّن الأقمشة باللون الأزرق بيده، وذلك في أوقات فراغه. يمكنك أن تشتري هذا القماش فقط بين شهري أيار (مايو) وأيلول (سبتمبر). فهو الوقت الذي يعلقها فيه خارجاً لكي تجفّ.»

فهتفت وهي لا تتمالك نفسها من الشعور بالإثارة: «يا لها من قصة رائعة.» وانبثقت في ذهنها فكرة فتابعت تقول: «يمكنني أن أبيع قمصاناً هنغارية باللون الأبيض أو

الأزرق. ونضع هذه القصة في كراسة وستتضمن كل قطعة جملة مثيرة أو اثنتين عن تاريخها.»

فقال متأملاً: «بالنسبة إلى إشراك الزبائن... اسمعي سأخبرك شيئاً وهو أن وضع معلومات عن حضارة كل بلد سيجعلك مرغوبة من المستوردين في الخارج وأصحاب الشأن الذين يعطونك الترخيص. وستحصلين على تعاون أكثر من كل من يشترك في ذلك. فإن ذكر تقاليدهم يسرّهم يا سوزان الملهمة.»

وهتفت وهي لا تصدق أن كل ما كانت تريده، هو في طريقه إلى أن يتحقق الآن: «لا أستطيع الانتظار إلى حين نبدأ ذلك، فقد تعبت كثيراً لكي أصل إلى غايتي هذه.»

فقال: «وكذلك أنا.»

وكان في صوته من الحرارة ما جعلها تنظر إليه بسرعة. ثم خطر لها أنه يريدها أن تنجح فقط لكي يغيظ اسطفان وأنها ستنجح بمعونته. وسيبقى اسطفان وتانيا سعيدين بجهلهما أنهما غير وارثين وستكون حياتها مليئة بالأسفار الرائعة والاجتماعات والبهجة بعودتها إلى بلدتها ومخزن بضاعتها الخاص بها.

وقال لها لازلو بصوت أجش: «إن في عينيك نجوماً.»

فأجابت بجفاء: «إن لديّ الشمس والقمر وكل الكواكب. وأشكرك لتمويلك لي، إنني أعلم أن لديك أسباباً غير سارة جعلتك تساعدني ولكنني مع هذا، مسرورة. طبعاً كان بامكاني أن أحقق طموحاتي بنفسي، ولكنك أسرعت بي إلى ذلك.»

وشربت وأكلت بكثرة. وبعد ذلك تناولا القهوة في

الشمس، بينما البط والدجاج يتراكض حولهما وتحت أقدامهما. وتساءلت عما إذا كانت شعرت بمثل هذه السعادة في حياتها من قبل على الإطلاق.

وقالت: «علينا أن نتحرك الآن.» وتنهدت شاعرة بالكراهية لترك هذه الحديقة الهادئة المسالمة ذات الجو المنزلي، ثم تابعت تقول: «علينا ألاّ نطيل من انتظار اولئك الذين سيتعاونون معنا.»

عندما تحركت لتنهض واقفة، أوقفها عن ذلك بإشارة من يده وهو يقول: «إننا لن نذهب إلى أيّ مكان. لأننا لا نستطيع ذلك.»

نهضت واقفة وهي تقول بشيء من السأم: «آه، إننا نستطيع ذلك طبعاً، فلا تفسد الأمور بالاعيبك...»

فأجاب باقتضاب: «ليس ثمة ألاعيب، إنه قانون البلاد.» ولاحت على شفتيه ابتسامة ظافرة وهو يتابع قائلاً: «أتعرفين كم يجب أن تكون نسبة الكحول في دمك إذا كنت تسوقين السيارة في هنغاريا؟»

فأجابت: «كلا.»

فقال: «لا شيء.»

فقالت تكرر بذعر: «لا شيء؟» وقبضت يديها بغضب وهي تتابع: «إنك كنت تعلم ولم توقفني عن ذلك! إنك... آه!» وصرخت وهي تضرب بقدمها الأرض شاعرة بالاحباط. لقد تحطمت خططها. وسألته: «إلى متى يدوم هذا حتى يمكنك أن تسوق؟»

فأجاب متشككاً: «أظن... ربما صباح الغد.» ورمقها بطرف عينه بمكر...

فشحب وجهها وفهمت من التعبير الذي لاح على وجهه، انه يتوقع منها أن تجهز برنامجاً ترفيهياً، لقد كانت سجينة فعلاً في منزل منعزل، وليس هناك سوى كلمته بأن ابنته ستعود. وإذا هي فكرت في الهرب، فإن حذاءها الأنيق لن يسمح لها بالابتعاد كثيراً. وعلى كل حال فإن بامكانه أن يعيدها إلى المنزل قبل أن تصل إلى أقرب شجرة.

وتمتمت بتعاسة: «إنني أكرهك.» لقد أوقعها في الفخ أخيراً وتخشى ألاّ يكون هناك نجاة لها هذه المرة. وقالت ببرود: «لقد خططت لهذا الأمر بكل عناية، أليس كذلك؟ تماماً كما تخطط لكل حركة تقوم بها..»

فتمتم وهو يميل بكرسيه إلى الخلف: «ألا تعجبك أفكاري على التنظيم؟»

فصرخت فيه ثائرة: «أيها الوغد. لقد حطمت كل شيء ابتدأت أنا به. ما الذي ستفعله بالنسبة للمواعيد التي أخذتها لهذا النهار؟ هذا إذا كنت تهتم لهذا؟»

فأجاب: «كان عليّ أن ألغيها، وقد فعلت.»

واستطاع بصعوبة أن يكبح ضحكة ساخرة كادت تفلت من بين شفتيه، وأخذت تشمله بنظرات الاحتقار. ثم قالت بحدة: «إن عليّ أن ألقي بك إلى حيث تنتمي خارجاً بين القاذورات. ولكنني سأفكر في شيء أفضل من هذا لأجعلك تندم على مناوراتك الدنيئة.» ولم يكن بامكانها أن تكبح نار الغضب التي سرت في أوصالها.

فأجاب وهو يسكب لنفسه القهوة: «مع أن فكرة الانتقام لا تعجبك.»

فقالت ببرود: «إن عملي هذا سيكون له ما يبرّره تماماً.»

فأجاب بصوت كرقة النسيم: «يا عزيزتي سوزان، إن ما تقولينه هو بالضبط ما يقوله المنتقمون جميعاً. فالعدالة هي وحدها التي تحركهم.»

ورفعت وجهها، مثبطة العزيمة، إلى الأشجار التي كانت تعبق بالشذا، والنباتات التي كانت تعرش فوق الممر والشرفة أمام الباب. وعبير الزعتر والنعناع وأشجار الليمون ومختلف النباتات التي كانت تطل من بين الأحجار المرصوفة بها ممرات الحديقة. وكانت حرارة الجوّ قد أفعمت الهواء بأريج الزيوت الممزوجة برائحة القهوة التركية العبقة.

وقالت بانفعال: «لقد أمضيت هنا وقتاً رائعاً ولكنك سرعان ما أفسدته. فالبيت مريح أليف كما أن الحديقة مثالية...»

فقال متغنياً ببيت من الشعر: «دجاج بالقرفة، ورغيف من الخبز وأنا وحبيبتي في البرية.»

فتنفست بعمق وهي تخاطبه قائلة: «اسمع، يا عمر الخيام...»

فقاطعها يصحح كلامها: «إنه للشاعر فيتزجيرالد في الواقع.»

فقالت غاضبة: «أياً كان اسم الشاعر، فأنا لست حبيبتك. إنني شريكتك في العمل، وأنا نادمة على هذا...»

فقاطعها مرة أخرى قائلاً: «لقد قصدت فعلاً ما فعلته لكي لا نستطيع القيادة. ولكن السبب الأول في ذلك ليس ما تفكرين به.»

فقالت متهكمة: «آه، أحقاً؟ أخبرني إذن عن السبب. هل

ظننت أنني بحاجة إلى عطلة بعد ظهر هذا اليوم؟ أم اعتقدت أنه من الجميل أن نطعم البط هذا المساء؟»

فأجاب ببطء: «كل هذا صحيح. ولكن السبب الرئيسي هو أنه قد تكون فكرة جيدة أن أقدمك إلى أسرتي.»

فسألته ببرود: «عفواً؟ لم أسمع جيداً.»

فلاحت على شفتيه ابتسامة أسبغت عليهما رقة وهو يقول: «كلما فكرت في هذا الأمر، أدركت مبلغ حكمتي. إنهم سيكونون هنا قريباً. الطفل وزجاجة الحليب، وكل شيء.»

قالت بصوت أجش: «إنني متأكدة من سروري الفائق لمقابلة أسرتك.»

وأجاب بلطف: «أرجو ذلك. وطبعاً لا بد أنك أدركت الآن أنني لا يمكن أن أكون ناوياً إغواءك في الوقت الذي أتوقع فيه عودة أسرتي.»

وعادت تجلس على كرسيها وهي تشعر بارتباك واضح، كان عليها أن تعتذر وقالت: «إذا كان ما تقوله صحيحاً...»

فقاطعها قائلاً: «ولماذا لا يكون كذلك؟ إن دينا تسكن هنا، وعليها أن تعيد ميكي إذ حان وقت حمّامه. وربما تتساءلين عن السبب الذي جعلني أريدك أن تشاهديني بين هذه المظاهر العائلية. والأمر، ببساطة هو أنني لا أريد لعلاقتنا هذه أن تتطور.»

فنظرت إليه بارتياب. لقد كان صوته رقيقاً، ولكن لهجته كانت فولاذية. وعندما تلاقت أنظارهما رأت أنه كان جاداً تماماً فيما يقول بالرغم من ملاحظته تلك التي أجفلتها. وقالت له: «كان من الممكن أن تخدعني.»

فأجاب ساخراً: «كنت أستطيع ذلك بالتأكيد. اسمعي، إنني

منجذب إليك جداً.» كان يتكلم بلهجة واقعية تماماً بينما شعرت هي بالسخط وهو يتابع قائلاً: «وأنت أيضاً منجذبة إليّ جداً، كلا، لا تكلفي نفسك عناء الانكار.» قال هذا حين رآها تفتح فمها محتجة وتابع يقول: «نحن الاثنين لا يمكننا الإدعاء بغير ذلك.»

فقالت متهكمة بجفاء: «إنني آسفة.»

فقال بنفس الجفاء: «وكذلك أنا، ترين أنني لا أريد أيّ امرأة في حياتي.»

فصرخت وقد شعرت بجرح في كرامتها: «وكذلك أنا لا أريد أي رجل في حياتي. وأطمئنك بأنني لن أزعجك بإلحاحي. فأنا لست من ذلك النوع الذي يتعلق بالرجل لمجرد أن قبّلها مرة.»

فقال بصوت أجش وهو يسكتها بنظراته: «سوزان، وأنا أيضاً لست من ذلك النوع الذي يتعلق بامرأة لمجرد أنه قبلها، ولكننا سنمضي وقتاً كافياً معاً، إذا كنت أريد أن أثير غضب اسطفان إلى القدر الذي يرضيني، وإذا...» وسكت وكأنه غيّر عقله بالنسبة لما كان يريد أن يخبرها به، ثم تابع يقول: «إنني أريد أن أنظر بشأن علاقتنا العملية.» وأخذ يداعب فرو هرة كانت على ركبتيه وهو يتابع قائلاً: «أريد ذلك أن ينتشر ويذاع.»

فتمتمت باستياء: «إنك مصمّم على أن تحشر هذا الأمر بالقوة.»

فقال: «بغير هذا لا يكون ثمة فائدة من الموضوع، إنما على الأقل علينا أن نجتمع لنتحدث في وضع الخطط. ومن المؤكد أننا إذا أردنا أن نبدأ ستكونين بحاجة إليّ كي أضع لك كلمة جيدة تلقينها عند اجتماعك بمن سيتعاونون معك من

الذين يمدونك بالأقمشة والأزرار والخيوط، لكي تجلسي للحديث مع المديرين لتغيير الرأي في مطالبهم من النماذج، وسنكون معاً في الأسفار الطويلة...»

وتساءلت لماذا يريد أن يفعل كل هذا لأجلها؟ لماذا؟ لماذا؟ لماذا؟ وتمتمت تقول: «ليس عليك أن تركض بجانبي في كل مرة أذهب فيها إلى مكان ما.»

فأجاب بوجه متبلّد: «بامكاني أن أخصص لك من وقتي اسبوعاً أطمئن فيه إلى أنك تقابلين الأشخاص المناسبين. سأكون بجانبك، فإنه يهمني أن أرفع من صورة المرأة في هنغاريا، وذلك في ميدان تصميم الأزياء كمثال للأخريات. ولا تسأليني لماذا. إنك لست بحاجة لأن تعرفي.» وقال جملته الأخيرة حين حاولت مقاطعته. وتابع قائلاً: «وحالياً، كل ما عليك أن تضعيه في حسابك، هو أننا سنمضي من الأوقات معاً أكثر مما تسمح به الحكمة.»

فأجابته بحدة: «هكذا إذن؟» ولكن خفقات قلبها كانت تتسارع، كما أنها في أعماقها كانت تفكر في أنها لن تنجو أبداً من نتيجة مثل هذه العلاقة الوطيدة.

قال بهدوء: «اعقلي يا سوزان. لا أنا ولا أنت يريد التورط. ومع هذا...» وهز كتفيه حانقاً وهو يتابع قائلاً: «إنني معجب بك.» واشتبكت أنظاره بأنظارها دون أن يتحرك. وقال عابساً: «إن ملامحك تفضحك إلى درجة هي في غير مصلحتك. وإن ضعف عزيمتي هو شيء ليس بامكاني تحمّله، وقد يجعلني أتجاوز عهودي. والآن بالنسبة إليك وإلى منطقك القويّ يجب أن تري أن أمامنا طريقين للعمل.»

فأجابت تسأله: «وكيف؟» وعقدت ذراعيها.

وقال بسخط خفيف: «أتريدينني أن أفسّر هذا؟ هذا بسيط جداً. علينا أن نفتش عن طريقة نقتل بها وقت فراغنا، ووجودي هنا محاطاً بحفاظات الأطفال، هو طريقة مناسبة لهذا.»

فأجابت: «أنت عدوّي... الرجل الذي فرّق بيني وبين أسرتي، وهذا تقريباً هو أسوأ ما بإمكانك أن تفعله لي، إنك تعلم هذا. إنني لم أدرك ذلك من قبل قط. لقد كانوا دوماً أحبابي وأصدقائي الذين يسندونني ويحمونني...» واستدارت إليه غاضبة وقد بلغ بها الانفعال غايته، وهي تتابع قائلة: «إذا أنا فقدت عطف أسرتي نهائياً بسبب علاقتي بك، فإنني... إنني سوف...»

ولم تستطع أن تستمر، فقد ملأت الدموع عينيها وخنقتها غصة. لقد كانت تحبهم جميعاً أكثر مما كانت تتصور، لقد كانوا جميعاً ذوي شأن... ومع هذا تمكن لازلو من فصلها عنهم! وحدّقت فيه بفزع من خلال عينيها المغشاتين بالدمع. ذلك أنها بصلتها هذه به إنما تعرّض للخطر كل ما تحب، تعرض أسرتها... لقد ارتكبت غلطة كبرى... غلطة فاحشة... وربما فات الآن أوان التراجع.

الفصل الثامن

وقال بلطف: «وهكذا نصل إلى الحقيقة، وهي انك ستقومين بأي شيء لكي تحمي أسرتك. أليس كذلك؟»

وازدردت ريقها بسرعة. لقد كانت تمنحه فكرة واضحة عما يستطيع أن يهددها به.

ومال على المائدة يسمرها بعينيه الهائلتين، لتجاهد ضد مشاعرها الثائرة. وهز كتفيه قائلاً وقد لمعت عيناه: «سوزان، إنني أريد أن أعلن لأسرتك نيتنا على الزواج.»

تصلبت في وقفتها وقد تجمدت أحاسيسها. لم يبق سوى الغضب والتعاسة وهي تراه يدمر مشاعرها المتنامية نحوه بسخريته هذه وتناوله موضوعاً مهماً كموضوع الزواج، بمثل هذا الهزء.

أجابته ببرود وهي ترتجف: «يا لك من حقير.»

فأجابها آمراً: «إجلسي. ستبقين هنا إلى أن تقولي إنك وافقت على الزواج مني. وإذا لم توافقي، فسأبقيك هنا بأي حال، وأبلغ أسرتك بهذا الخبر بنفسي.»

فجلست وهي تقول: «لا استطيع أن اصدق انك تقول هذا. لا بد أن هناك سبباً ما.»

فقال بلطف وهو يخفض من أهدابه السوداء: «طبعاً. لقد امكنني ترسيخ واقع صداقتنا في ذهن اسطفان وفيكادو. والآن، يجب أن يكونوا مستعدين للخطوة التالية، ويشعروا بالهلع لذلك، ألا وهي خطوبتنا. بإمكاني تهديد فيكادو

باحتمال زواجنا إذا هو لم يوافق على الصفقة الأساسية التي سبق واخبرتك بها.»

فاندفعت تقول ثائرة: «إنني لن أتزوجك. وأنا لا أستطيع ان اخبرهم بأن...»

فقاطعها ببطء قائلاً: «بل عليك القيام بذلك. وإلا فلن تري أياً منهم بعد ذلك أبداً.»

فسألته بعنف: «ماذا... ماذا تعني؟» ولو أن أي رجل آخر غيره قال ذلك، لضحكت ساخرة، ولكنه كان جاداً تماماً.

وقال بوحشية رقيقة: «أعني هذا بالضبط. إنك ستوافقين على الزواج مني، أو أن أفتح على حياتكم أبواب العذاب... ما سيجعلكم تتساءلون أي انسان شرير أنا.»

وشعرت بالإغماء، ولكنها تماسكت. يجب ألاّ تريه أي ضعف منها. وقالت: «ولكن اقتراح زواجنا هذا شيء لا يقبله العقل. انهم لن يقتنعوا أبداً بمثل هذه الفكرة.»

فأجاب ببطء: «آه، بل سيفعلون. فالنساء اللاهثات وراء المال يعتبرنني صيداً سميناً. وهم يعلمون تصميمك على الطواف في أوروبا والعالم.»

فقالت: «كلا.»

فتمتم مجيباً: «إذن، فعليّ أن اتصل شخصياً باسطفان في الفندق الذي يقضي فيه شهر العسل، لأزف إليه الخبر السار. وهذا سيفسد عليه شهر العسل.»

فتأوهت قائلة: «كلا... لماذا تقوم بمثل هذا العمل؟ إنها خطوة قاسية...» وتهدج صوتها.

فأظلمت عيناها بالألم وهو يقول ببطء: «إن الوضع هو أيضاً قاس.» ونظرت إلى الخطوط التي رسمها التوتر

حول فمه، وفكرت مضطربة، بأنه واقع تحت ضغط كبير.

وقالت باحتجاج: «ولكن تظاهرنا بأننا سنتزوج... إنك تمزح، فهذا ليس ضرورياً.»

فقاطعها قائلاً: «إنني سأشد وثاقك وأجرك إلى مكتب رجل الدين لإتمام الزواج، هذا اذا اقتضى الأمر ذلك. سأقوم بأي شيء.»

فقالت: «إنك مجنون.»

فأجاب: «كلا. بل مدفوع.» وعندما تخلل شعره بأصابعه لمحت فيه رجلاً حطمه الألم بسبب شيء هو أسوأ كثيراً من مجرد الحسد أو الأستياء.

وهمست: «لا بد أن تخبرني بالسبب، فأنا أشعر أن ثمة شيئاً هو أساسي بالنسبة إلى سعادتك...»

وسكتت برهة ثم عادت تقول بصوت متهدج: «عليك أن تدرك جيداً ما الذي تعنيه اسرتي بالنسبة إليّ. وعملي هو المهم جداً عندي إذ أنني وضعت فيه كل آمالي وحياتي، عملي هذا ليس مهماً الآن. ذلك أن الذين أحبهم هم أهم عندي بكثير. وإن إخفاء نفسك عن اسطفان والكونتيسة لا يستحق تحطيم أسرتي... فانتبه إلى أي مدى تدفعني! وحتى الآن، أنا أعتبر حبي لأسرتي كقضية مسلم بها. ولكن منذ أرغمتني على خلق صدع بيننا، اكتشفت مقدار الحب الذي أكنه لهم، ومقدار حاجتي إليهم جميعاً، وأنا متأكدة من أنهم سيشعرون بنفس الشيء إذا كان عليّ أن أسمح لك بأن تقوم بعملك الكريه هذا، وخاصة تانيا. إنني أعرف أنها دوماً كانت تقدمنا على نفسها.»

فقال بملامح جامدة: «ربما أصنع أنا معك جميلاً، بهذا،

فإن الأسر يجب ألاّ تؤخذ أبداً كقضية مسلم بها. ذلك أنهم، في النهاية، سيكونون كل ما تملكينه في هذا العالم.»

ونظرت في عينيه بعينيها الدامعتين، وظنت أنها قد اكتشفت فيهما عطفاً. وفجأة، أخذت تتساءل عما إذا كان من المناسب أن تخبره عن الطفولة المعذبة التي مر بها اسطفان واختاها. فربما إذا هي فعلت ذلك، ورأى هو أن اسرتها هم مجرد بشر وليسوا أعداء، ربما يلين، فيتحدث إلى اسطفان ومن ثم يتوصلان إلى نوع من الاتفاق، حتى انه ربما ينسى ما يتعلق بالانتقام للماضي.

وقالت بلهجة عاطفية وقد تهدج صوتها قليلاً: «الحق معك. فالإنسان لا يعرف قيمة الشيء إلا إذا كان على وشك أن يفقده. وأنا أعرف أن أختي ماريان ستتحطم إذا هي علمت أنني سأسبب الأذى لتانيا. هي وفيكادو.»

فقال ببرود: «لا أريد أن أسمع شيئاً عن ذلك الوغد.»

وفكرت بسرعة أن اختيارها ذاك كان خاطئاً، إذ كان الأفضل أن تستميله بذكر أبيه الذي يحبه. وبان القلق على وجهها وهي تتصور إلى أي حد سيتأذى أبوها هي عندما يعلم بخطبتها المفاجئة إلى منافس اسطفان.

وقالت بصوت أجش: «فليكن لديك شيء من العطف يا لازلو، فإن أبي كان مريضاً، ونحن نخفي عنه مشكلاتنا لأنه كافح وتألم طويلاً في حياته. ان القلق سيتملكه وكذلك الأسى... إنه رجل طيب، عندما جاءت أمي لاجئة من هنغاريا، فقيرة معوزة، أخذها إليه ومنحها عملاً. وبعد ذلك وقعا في الحب وتزوجا وكانا سعيدين. ليس بإمكانك أن تسبب له الأذى. إنه أبي وأنا أحبه بقدر ما أحببت أنت

أباك. وقد حطمه فقدانه أمي.» ورفعت وجهها لتنظر إليه مباشرة وهي تتابع قائلة: «إنك لا شك تدرك مدى الفاجعة في خسارة شخص لشريك حياته، أليس كذلك؟»

فتمتم وعيناه تتألقان: «لا تضغطي عليّ.» وبدا على فمه الألم البالغ... وأدركت هي أنها قد أصابت الهدف.

وتابعت تقول: «لقد نقل اسطفان سراً، منذ ولادته، مثلك أنت. ولكن حظه كان أقل من حظك. فقد مر بطفولة وحيدة تعسة. ولم يدرك أي منا أن أمنا كانت قد وعدت بأن تعلمه التقاليد الهنغارية، أو أنها تعمدت أن تمنعه من أن يولع بنا. هل يمكنك أن تتصور ذلك؟

فقال ببطء: «لا أريد أن أتصور شيئاً.»

«بل ستفعل. لأنه مثلك تماماً، عاش في المكان الخطأ، وفي الزمان الخطأ، متشوقاً إلى شيء لم يستطع الحصول عليه، ألا وهو حنان أمه وذراعاها حوله...»

فشهق قائلاً: «اخرسي.»

ولكن سوزان اغلقت قلبها أمام المشاعر المتدفقة في صوته. كان عليها أن تستمر. عليها أن تحطم ذلك الحاجز المؤلف من الكراهية. وانعدام الثقة.

وعادت تقول بنعومة: «إنك تظن، خطأ، أنه حصل على كل شيء، ولكنه احتمل أيضاً استياءنا لأننا لم نستطع أن نفهم لماذا تنفق نقودنا على تثقيفه.»

فتمتم لازلو بمرارة: «بينما أنا الذي كان ينبغي أن أتعلم إدارة الممتلكات وحل ألغاز اللغة الهنغارية والطريقة الصحيحة لأكل الأرضي شوكي.»

وأجفلت، وهي تتمتم قائلة: «لم يكن الذنب ذنبنا ان حرمت

من حقوق إرثك. كما لا تريده على كل حال! إنني لا أفهم.»

فقاطعها باقتضاب: «ستفهمين في الوقت المناسب. وستكتشفين ما هو المهم بالنسبة إليّ.»

فقالت متهكمة: «ربما معاملة ما، تافهة.»

عندما رفعت عينيها إليه، كانت تعبيرات وجهه جامدة وكذلك نظراته. كان متلهفاً إلى شيء ما لدرجة جعلته يزيح كل شيء جانباً، لكي يحصل عليه. وعمل ذهنها في العثور على مخرج. ولكن، كل ما كان في استطاعتها أن تفعله، هو أن تلين من عناده قليلاً. وفجأة أدركت الطريقة لذلك، فغيرت اتجاهها وقد اكتشفت أن بإمكانها أن تكون بنفس قسوته إذا تطلب الأمر.

وقالت برقة: «إنني آسفة، إذ من الواضح أن لديك أسبابك الخاصة. ولا بد... لا بد أن وفاة زوجتك كانت صدمة لك.»

أجاب ببطء: «إذا كنت تظنين أن موقفي تجاهك سيلين لمجرد ذكرك زوجتي بلهجة عطف، فأنت مخطئة.»

فسألته: «هل كنت تحبها؟»

فأجاب: «نعم.»

فقالت بلطف: «ولكنك لم تكن تضع خاتم الزواج في أول مرة رأيتك فيها.»

فقطب حاجبيه وهو يجيب قائلاً: «لقد تعمدت ذلك حتى لا تتجنبينني. وإن خلعي لأحد مقتنياتي القليلة التي أعتز بها، هو امتحان لعزيمتي. وهكذا سترين أن أي محاولة منك لتليين موقفي بالحديث عن زوجتي الراحلة، ستفشل.»

فقالت بهدوء: «لقد كنت أقارن موتها بوضعي الخاص. وكيف أخذت تانيا ترفه عني وعن ماريان عندما ماتت أمنا.

وجعلتنا نشعر بأم جديدة لنا تحنو علينا، فهي، تانيا، التي سلحتنا بالشجاعة وجعلتنا نفكر في أن الأمر كان أسوأ كثيراً بالنسبة لأبينا الذي أحب أمنا إلى أقصى حد.»

وابتدأ لازلو يجمع الأطباق والكؤوس بقرقعة عالية، ولكنها كانت تعلم أنه كان يستمع إليها. وعادت تقول: «هل ساعدت ابنتك أختها الصغرى لكي تتعود على الوضع، وترى مبلغ ألمك أنت... وذلك عندما ماتت زوجتك؟ أتظن هذا؟»

فقال: «ربما.»

وشجعها التوتر الذي بدا على فكه. وعادت تقول: «لقد كان الأمر صعباً بالنسبة إلى تانيا بقدر ما كان صعباً بالنسبة إلى ابنتك دينا. لم أعلم قط، مبلغ التضحيات التي قامت بها تانيا لأجلنا، ولكنها أزاحت جانباً احتياجاتها الخاصة لتهتم باحتياجاتنا. إنها امرأة رائعة، يا لازلو.»

«في أوقات المحن، يقوم المرء بما يجب عليه، ويهتم بما تحتاجه المناسبة.» وبقيت الصينية على المائدة وهو يحدق فيها وكأنه يستعيد ذكريات قديمة مؤلمة.

واعتصر قلبها الألم لأجله. فمهما كان أمره، فقد تألم لفقده زوجته، وكافح في سبيل تنشئة طفلتيه بينما كان يكافح لتأمين مستقبلهما، لقد كانت الحياة صعبة.

قالت بصوت أجش: «لقد نلت نصيبك من الآلام. وكذلك أسرتي. وكانت الأمور صعبة. وقد كافح اسطفان وتانيا بشدة لأجل سعادتهما. وهذه هي المرة الأولى التي قام بها كل منهما بعمل لسعادتهما الخاصة. وها هي الآن في شهر العسل.»

أجاب بهدوء: «وأنا متأكد من أن سلوك اسطفان لا بد أن يسبب لها الحزن.»

فعضت سوزان على شفتها وهي تقول: «آه، ما الذي فعلته يا لازلو؟ ذلك أنها إذا لاحظت عليه انشغال البال أو سوء الطباع، فستظن أن ثمة شيئاً خطأ في زواجها منه.»

فبدا الاضطراب في عينيه الشاردتين وهو يقول: «عليه، إذن، أن يطمئنها.»

«ولكنه، في هذه الحال، عليه أن يخبرها أنه قلق عليّ أنا، وهذا سيبقيها على تألمها. فهي قد أصبحت، عملياً، أماً لي. وهي مازالت تشعر بالمسؤولية تجاهي.»

فقال باختصار: «انك من السن والنضوج بما فيه الكفاية لكي تتحملي مسؤولية نفسك.»

فصرخت فجأة: «آه، يا لازلو.» وببطء، ارتفعت عيناه إلى عينيها لتجفل للألم الذي لمحته فيهما. ولكن، حتى خلال تعاستها، لمحت بارقة أمل. وتابعت تقول: «أختي، أختي العزيزة التي ضحت بنفسها لأجلنا واعطتني الكثير، لا بد أنها تبكي الآن لأنها تظن أنني عدت فقذفت بحبها ذاك في وجهها. وستظنني من الأنانية والجشع بحيث قبلت العمل مع عدو زوجها، مخالفة تمنياته التي أوضحها لي! لا يمكنني احتمال ذلك! آه، ألا يمكنك أن ترى؟ إن ذلك يمزقني.»

فقال بصوت خشن: «سوزان. أرجوك...»

قالت بتوسل: «ضع ابنتك الكبرى في مكان تانيا، فلا بد أن تأخذ دور الأم. وستعرف كيف أن هذا سيضع المسؤولية على كتفيها ليحولها، في ليلة واحدة، من مراهقة لا تهتم بشيء إلى امرأة، وأنها لا بد كانت تكبح أحزانها لأجلكم...»

فقال من بين اسنانه: «سوزان!» ويبدو أنه لم يستطع أن يقول اكثر من ذلك. وجلس متثاقلاً وهو يقول: «يا للهول.»

وفكرت هي بأن ها هنا فرصة تعثر فيها على نقطة الضعف فيه. استجمعت شجاعتها، ثم قالت: «إنني معجبة بابنتك كما أعجب بكل شخص يواجه الآلام. إذ أن المرء عليه أن يشعر بالألم أولاً... ومن هنا يأتي شعوره مع الآخرين. والآن، اخبرني شيئاً، هل تقبل بأن يؤذي شخص ما ابنتك، الآن بعد كل تلك التعاسة التي قاستها في الماضي؟»

وتملكتها الدهشة والاضطراب وهو يقول ببطء وقد قست ملامحه: «كلا. إنني سأحمي اسرتي من أي شخص وأي شيء. إن اسوأ شيء يمكن أن يقوم به أي انسان لرجل ما، هو أن يسيء إلى أولاده.»

«إذن، فأنت تدرك هذا. ولا بد أنه بإمكانك استيعاب الأذى الذي يتسبب عن تفسخ الأسر.»

فأجب بمرارة: «آه، نعم.»

فعادت تقول: «فأنت ترغمني على أن أصبح منبوذة. فكيف تتصور شعوري عندذاك؟ ما الذي ستشعر به أنت نفسك لو...؟»

فرد بحدة وضيق: «اخرسي.»

لقد اصابت من نفسه وتراً. وكانت تعلم أن المنطق هو الذي سيفوز في النهاية. تابع وعيناه تنضحان بالألم: «إنني بخلافك، ليس لي خيار أبداً في ما عليّ أن أفعل.»

فصرخت بيأس: «هنالك دوماً خيار. ألا يمكنك أن ترى أن ما تفعله بي، يناقض حبك لأولادك؟»

فزمجر قائلاً وقد انفجر في النهاية: «كلا.» وبحركة سريعة، انتصب على قدميه دافعاً بكرسيه لترتطم بالأرض، ثم يتخطى بعنف، الأشياء الملقاة في طريقه. وأخذت تراقبه

متوجسة، إلى أن وقف امام حاجز الشرفة حيث أخذ يرمق التلال المترامية أمامه عابساً. ولكنها أدركت أنه لم يكن يرى تلك التلال لأنه كان يركز أفكاره عما في داخله من كراهية تجيش بها نفسه وتجعل كتفيه ترتفعان وتنخفضان بعنف، وهو يقول: «إنني أكن لأسرتي بالغ الحب. فأنا أحبهم هم وليس أنت أو أختك أو صهرك الغالي. إن ابنتي هما أغلى شيء عندي في هذا العالم. إنهما كل من أوليه ثقتي. ليس ثمة أحد أقرب إليّ منهما، ولن يدخل شخص بيننا، أو يسبب لهما الضرر ما دمت أنا على قيد الحياة.»

فصرخت قائلة: «ولكن هذا هو شعوري أنا بالضبط.» وضربت بيدها على المنضدة بعنف ثم قفزت من مكانها متجهة نحوه بخطوات واسعة، لتواجهه وهي تقول: «فكر بما تفعله بنا. إننا من أقربائك سواء أعجبك هذا أم لا. فتانيا تزوجت من أخيك غير الشقيق الذي دمه نفس دمك! ولا بد أنك تشعر ببعض الروابط بيننا وبينك.»

فقاطعها بوحشية: «لا أشعر بشيء... لا أشعر بشيء أبداً.» فاهتزت لعنفه هذا. وتملكها الخوف من الطريقة التي كان ينظر بها إليها.

وقالت بازدراء: «أيها الوغد. انك تستعملني للمنافسة في قضية تافهة تريد أن تجريها، والتي لا يمكن أن تكون من الأهمية بحيث تحملك على التخلي عن كل أصول اللياقة والسلوك الفاضل. إنك غني ولست بحاجة إلى مال. وأنت ذو نفوذ ولست بحاجة إلى زيادة في المعجبين لإرضاء زهوك مهما كان بالغاً.»

قال بلهجة تنطوي على التحذير: «حذار من التمادي.»

فأجابت ببرود: «إنني سأجازف بالقول إن هذه القضية

عبارة عن مغامرة مثيرة. إن بإمكانك أن تستمتع بها بطريقة أخرى. كأن تقفز من الطائرة من دون منطاد مثلاً.»

«إن عليّ القيام بهذه القضية، وأنت ستوافقين على الزواج مني. وسواء بقيت تناشدينني عاطفياً طوال أسبوع، شهر، سنة، فإنك لن تستطيعي التأثير عليّ بذلك.»

فسألته قائلة: «أخبرني بكل تفاصيل هذه القضية وسبب أهميتها هذه. اجعلني أفهم كل شيء، وأنا على استعداد للحكم منطقياً في هذا، تبعاً للشواهد التي تعطيني إياها. دعني أقرر ما إذا كانت من الأهمية بحيث تستحق كل هذا الذي تقوم به لأجلها.»

فقال بعنف: «لا بد أنك مجنونة. فأنا لا يمكنني أبداً أن أخبر أي شخص.»

«لأنها مجرد نزوة أنانية منك. انتقام قذر.»

فقال: «يا ليتها كانت كذلك؟ فلا تهينيني، وإلا جعلتك تندمين على ذلك. إنك تلعبين بالنار يا سوزان.»

فأجابت بصوت باك: «أعلم ذلك. ولكن كلما فكرت في تانيا وفي شهر عسلها الذي على وشك أن يفسد، أشعر بقلبي يتحطم. هل أنت سادي تستمتع بتعذيب الآخرين؟ هل تشعر بالابتهاج لما تفعله بي؟»

فأجاب: «كلا.»

فهتفت: «فلماذا تفعل ذلك إذن؟»

قال: «لأنني، إذا لم أفعل ذلك، سيتمزق عالمي.»

تمتمت بشفتين شاحبتين: «عليّ أن أبتعد عنك، لا يمكنني البقاء هنا، وإذا أنا فعلت، فأنا غير مسؤولة عن تصرفاتي.»

فزمجر قائلاً: «بل ستبقين.»

فتمتمت قائلة: «سأهرب.»

فأجاب: «لا يمكنك استعمال سيارتي لأنني أخفيت مفاتيحها. وليس ثمة وسائل مواصلات أخرى.»

فحملقت فيه قائلة: «هناك فيرينك الناطور.»

فأجاب وعيناه تلمعان: «إنه لا يحسن القيادة. كما أنه لا يوجد جيران حولنا. فأنت ملتصقة بي وبقرارك.»

«إذن فاسمح لي الاتصال بالهاتف لأستأجر سيارة.»

فأجاب: «انك ستتعرفين إلى أسرتي. وسأستغلك لأغراضي الخاصة.»

وحدقت في عينيه بإحباط. ها هي تقع في الحيرة مرة أخرى. ما الذي وراء كل هذا؟ الكبرياء؟ وتأوهت شاعرة بالهزيمة. إنها لم تفهم شيئاً، وهو على ما هو عليه من الغموض على الدوام. وابتدأت تجتاز الشرفة متجهة نحو باب المطبخ ببطء، وقدماها تسحقان الأعشاب... لقد خطط للقائها هذا مع أسرته لتراه بشخصية الأب، وليس بشخصية المستبد. فقد وجد في علاقته بها ما يشكل تهديداً له.

ورفعت رأسها إذ خطرت لها فكرة رهيبة. إن بإمكانها أن تزيد من اقترابها منه بسهولة. وهو على استعداد لذلك، على كل حال. فبإشارة منها أو تلميح، سينهار أمامها.

وفارقها هدؤها. فبالرغم من كل هذه الأسباب، لم تكن تجد من نفسها الجرأة للقيام بذلك. ووقعت أنظارها على شجيرات تتألق فيها ورود حمراء من النوع الذي كانت تحمله تانيا في عرسها. وخنقتها غصة. هناك، في مكان ما على جزيرة استوائية، كانت تانيا واسطفان يمضيان شهر

العسل. وشعرت بقوة قاهرة تدفعها إلى الاتصال هاتفياً بهما لبعث الاطمئنان في نفسهما، ولكن لم يكن في إمكانها القيام بهذا العمل قبل أن تكسب لازلو إلى صفها.

وشعرت بوخزة مؤلمة في يدها فنظرت إليها. لقد حدث ان تمسكت، دون وعي منها، بقضيب يسند بعض النباتات. فجرحت يدها بشريط حديدي شائك يعلوه الصدأ كان يحيط بذلك القضيب، ودعكت مكان الجرح الدامي بذهن شارد مشغول بشؤون أخرى، ولكنها لم تعرف كيف تبدأ معه خطتها تلك، ذلك أنها لم تكن تحسن الغزل، واستدارت لتسير باحثة عن لازلو بعصبية، لتجده قد توغل في الحديقة ووقف عند إحدى الأشجار رافعاً يده يمسك بأحد الفروع.

ووقفت تخاطبه بصوت خشن: «لا بأس، فقد انتصرت عليّ. سأبقى هنا، وسأقابل اسرتك و...»

وبقي ظهره متصلباً وهو يقول: «وافقي على الزواج مني.» وبدأ قلبها يخفق. ووقفت لحظة لا تستطيع التنفس ومع علمها بأن الأمر لا يعدو أن يكون مسرحية. فإن خطورة ما كان يسألها إياه كاد يذهب بصوابها.

وهمست: «نعم.»

فقال: «هذا رائع.» وتنفس بعمق وكأن مشكلاته قد انتهت تقريباً. ولكن مشكلاتها هي قد ابتدأت.

وأمسك بيدها وأدارها برقة ناظراً إلى راحتها وهو يقول: «إن يدك مجروحة كيف حدث هذا؟»

فأجابت وهي تهتز: «وضعت يدي على شريط صدىء.»

«علينا أن نجد بعض الأعشاب الطبيعة لوضعها على الجرح.»

ولم تتمكن سوزان من تركيز ذهنها تماماً فيما كانت تنظر في عينيه شاردة.

وهمس: «آه، يا سوزان.»

فنظرت في عينيه السوداوين وهي تقول بصوت ضعيف: «إن ذهني مشوش.» ولم تعرف كم بقيا واقفين بهذا الشكل وأعينهما متشابكة. وسرعان ما صفا ذهنها. كان افتتانها به كاملاً، سواء في ذلك عدواً كان أم لا، مخادعاً قاسياً منتقماً أم لا، لقد وقعت في غرامه وانتهى الأمر ولم يعد بإمكانها أن تقوم بأي شيء تجاه هذا الأمر.

وقال بصوت أجش: «لا أظن أنه يحسن بي أن أفعل هذا.»

فهمست بدورها: «وأنا أتمنى نفس الشيء. كنت أفضل لو كرهتك.»

فقال: «إنني أوافقك على ما تقولين، ولكنك لا تكرهينني. لقد حصل التجاذب بيننا في أول لحظة تقابلنا فيها.»

وقالت بصوت باك: «لا أريد هذا.»

وقطبت حاجبيها وهي تحاول أن تتذكر الخطة التي كانت صممت عليها قبل أن تسير إليه، في الحديقة.

فهمس: «آه يا سوزان. تعالي.»

ولكن يديه تصلبتا فجأة وكأنهما من الحجر. وفتحت عينيها وهي تهمس: «لازلو؟»

ولكنه كان قد ابتعد عنها وهو يتمتم قائلاً: «إنني مجنون. لقد خرجت عن عقلي.»

وغطت سوزان وجهها بيديها مرتاعة. وهي تنشج بقلب كسير.

فعاد إليها، فانكمشت مبتعدة عنه، وهي تقول بعنف: «كلا. إياك أن تلمسني. إنني... إنني فقط أردتك أن.. أن تراني كأنني...»

فقطب جبينه قائلاً: «ولكنني أراك كذلك، وهذه هي المشكلة. لأنني كنت أفضل أن أراك كوسيلة إلى النهاية. وأنت تجعلين الأمر صعباً جداً بالنسبة إليّ، يا سوزان.» ورفع رأسه متصنتاً برهة، ثم قال: «إنني أسمع هدير سيارة، ولا بد أنها ابنتي. يجب أن أذهب. سنتحدث فيما بعد. لا يمكن أن نستمر على هذه الحال. فأنا لا أستطيع ابعاد نفسي عنك مهما حاولت. لو أن انجذابي نحوك، هو مجرد شعور حسي، لما اهتممت للأمر، فأنا، عندئذ، استطيع التصرف. إنما لسوء الحظ، المسألة أكثر من ذلك... اشعر وكأنني مختل العقل...»

وفي لحظة واحدة، كان قد رحل. واستندت هي إلى الجدار محاولة استجماع أفكارها. وشعرت بأنها ستجن هي أيضاً، وهذا ما أدخل الخوف إلى نفسها.

وقبل أن تخرج من المخزن، وقفت تفكر، إن بإمكانها ان تحول لازلو عن نواياه. ولكنها، لتحصل على ذلك، عليها ان تبذل من نفسها الكثير. ولم تكن متأكدة من أنها ستجرؤ على ذلك. فقد شعرت بغريزتها الأنثوية أن أي ضعف مع لازلو سيجر معه من العواطف ما سيحيل حياتها المنتظمة إلى حياة مليئة بالفوضى وكان المنطق هو ضد هذا التصرف الأحمق.

الفصل التاسع

وعندما اقتربت من المنزل، كانت الضجة التي سمعتها مفزعة للغاية. وقد ذكرها هذا بتلك الأيام في الوطن عندما كان أفراد أسرتها أثناء اجتماعهم في المنزل حول مائدة المطبخ، يتكلمون جميعاً في وقت واحد. وشعرت فجأة بشيء من الخجل. فإن مقابلة ابنة لازلو لن تكون سهلة. وفكرت بأسى أن ذلك سيجعل من علاقتها به أكثر تعقداً.

وتنفست بعمق ومن ثم دخلت المطبخ. وللحظة استمر خليط الأحاديث وحاولت هي أن تتفحص الحاضرين، ولكن قبل أن تنهي ذلك كان الجميع قد توقفوا عن الكلام وأخذوا يحدقون فيها بفضول. وتساءلت عما إذا كان هو قد أخبرهما أنها خطيبته وتملكها الارتياح عندما لمست من كلماته وهو يقدمها إليهما، أنه لم يفعل ذلك. فقد قال ببساطة: «سوزان، لقد كنت أحدث الفتاتين عن مغامرتك الجديدة. ولا أظنهما كانتا تستمتعان إليّ. لقد كانتا تحدثانني عما قامتا به هذا النهار.»

وقالت إحداهما: «مرحباً، إنني دينا، وهذه لارا.»

وشعرت بالارتباك، ولكن حرارة استقبال دينا لها أدخل الاطمئنان إلى نفسها. وصافحت سوزان الفتاتين اللتين حدّقتا فيها وقد أشرق وجهاهما بالضحك.

وقالت لارا تعاتب أباها: «إنك لم تقل إنها جميلة جداً.»

ولم يجب لازلو وأخذ يفك طفلاً رضيعاً من عربة صغيرة

ثم يضعه بين ذراعيها متمتماً: «أعرّفك إلى ميكي.»

وأحرجت سوزان بالعاطفة الفياضة التي سادت ملامح لازلو تجاه الطفل، فلم تمانع في تناول ذلك الرضيع الضاحك الوجه والذي كان ينظر إليها بعينيه السوداوين. واضطرب الرضيع قليلاً فانطلق من فمه دفقة صغيرة من الحليب. وأخذت هي تنظر إليه بينما لم يهرع أحد إليه ليقوم بأي شيء تجاه هذا.

وقالت بعصبية: «إنني لا أعرف التصرف مع الأطفال.»

فأجابت دينا: «إنهم كالرجال، امنحيهم شيئاً من الاطمئنان، وشيئاً من الشعور بالخطر، وكثيراً من الحنان وستكونين على ما يرام.»

فقال لازلو ساخراً: «يالهذه الحكمة من امرأة صغيرة السن.»

ومضى يمسح بمنشفة صغيرة تحت ذقن الطفل بخفة ومهارة.

فردت ابنته بسرعة وحدة: «إنك هادىء المشاعر بشكل ملحوظ بالنسبة إلى رجل في شعره قش.»

وتبادلت سوزان مع لازلو نظرات ذات معنى بينما انفجرت الفتاتان بالضحك. وابتدأت سوزان تقول وقد احمر وجهها خجلاً: «لقد كنا...»

وقال لازلو ببطء دون أي اهتمام: «كنا في مخزن غلال وهذا شيء لا يخصك.»

وقال لسوزان برقة: «إن ميكي ثقيل فاجلسي يا سوزان.» وقادها بيده الرفيعة إلى كرسي أجلسها عليه.

تمتمت قائلة: «عليّ أن أتصل هاتفياً لأخبرهم بتأخري عن العشاء.» وكأنما خطرت ببالها فكرة فتابعت تقول: «أو ربما أعادتني دينا إلى المنزل فيما بعد.»

فقال برقة: «ولكنك سبق ووعدت بالمبيت هذه الليلة هنا، لقد اتفقنا على ذلك.» ورأت في عينيه نظرة انذار، فانكمشت في مكانها بينما كان هو يقول: «إذا أنت ذهبت، فسأمضي الليلة كما أظن أقوم باتصالات هاتفية...»

فقالت بسرعة: «كلا، بل سأبقى.»

«لا بأس في ذلك. أليس كذلك يا دينا؟ إن علينا أن نخرج باكراً لزيارة بعض الشركات لشؤون العمل.»

فقالت لارا وهي تفسح مجالاً على المائدة لتضع طبقاً من الكعك: «حيث أنني أعرفك جيداً، أظن أنك ستأخذ العرض منهم، لتمنح الأسهم للعمّال.»

فقال لازلو معنفاً برقة: «هيا، اذهبي وراجعي درس البيانو، وسأتصل أنا بالقصر لأجلك يا سوزان.»

فقالت سوزان: «كلا! أنا التي...»

فقال بصوت منخفض: «بل أنا الذي سأقوم بذلك.» ونظر إليها محذراً ولما كانت ما تزال تحمل بين ذراعيها الطفل فقد أطبقت فمها بضيق. وعندما ترك الغرفة قالت لارا تنتقده بوقاحة: «إنه مستبدّ أليس كذلك؟ إنه يحب الحركة لا يكاد يجلس لحظة.» وقطعت قطعة ضخمة من الكعكة ناولتها لسوزان دون أن تضعها في صحن، فمدّت هذه يدها التي كانت تسند الطفل وتناولتها منها.

وضحكت دينا قائلة: «إنها تبدو مذهولة قليلاً، فهذا هو تأثير أبي على الناس. لا تظني أنه يعاملك بشكل غير عادي فهذا شأنه مع الآخرين.»

فنظرت إليها سوزان بهلع، وهي تقول: «نعم، اعرف ذلك.»

وقالت دينا بسرعة: «كان عليّ أن أدرك من نظراته إليك أنك لست واحدة من اولئك النسوة الرخيصات. إنني لم أره قط من قبل بمثل هذه الرقة، منذ وفاة أمي.»

فقالت لارا وهي تومىء برأسها بحيوية: «إن أكثر النساء يتلهفن عليه. ألست أنت كذلك؟»

فأجابت بسرعة: «كلا.»

وحاولت دينا ولارا إخفاء عدم تصديقهن لها. وقالت دينا بحزم: «لا تقلقي بالنسبة إلينا. إن حبنا له يمنعنا من أن نشعر نحوه بالتملك الأناني. فهو بحاجة إلى امرأة غير عادية ليحبها. إياك أن تؤذيه فقد عانى كثيراً.» ودون أن تلحظ صمت سوزان المفكر، أخذت ابنها منها ثم احتضنته وهي تقول: «إنني ذاهبة لأرقده، ثم أغتسل بسرعة وعندما أجهز لك الغرفة سأناديك فتصعدي وتختاري قميص نوم.»

فاحمر وجه سوزان وقالت: «نعم، شكراً إنما دعيني أساعدك...» ولكن دينا كانت قد ذهبت.

وقالت لارا: «إنها مثل أبي تحب استلام المسؤولية ولا تقبل تلقي العون. فهما قد اعتادا على خدمة نفسهما بنفسهما.»

فقطبت سوزان جبينها وهي تقول: «فهمت، وكيف تتعاملين أنت مع ذلك الوضع؟»

فابتسمت لارا وهي تقول: «إنني أساعدهما سواء أرادا ذلك أم لا، لقد أطلعتني أمي على هذا السر عندما شكوت من كوني الصغرى في الأسرة والأخيرة على الدوام. إنني أعرف طبعاً سبب كفاءة دينا. فهي الكبرى وقد استلمت المسؤولية بعد وفاة أمنا. واستقلالية أبي العنيدة جاءت

من أحداث ماضية، فقد كانت أمي أخبرتنا عن هذا.»

سألتها سوزان: «آه، وما هي الأحداث الماضية؟»

فأجابت لارا: «لقد كان عليه أن يعيل نفسه عندما تمزقت أسرته. اسأليه عن ذلك. أظن هذا ما جعله أباً طيباً، فهو يعلم ماذا يعني أن يعيش بعيداً عن الناس، على كل حال فاحتراسه ذاك جعل من الصعب على من هم خارج نطاق الأسرة أن يدخلوا إلى أي مكان يختص بنا. ويبدو أنك شعرت بأن عنده قلباً بالرغم من تصميمه على جعل هذا سراً. أما أنا فإنني صريحة جداً مثل أمي.» وبان عليها التأثر وهي تتابع قولها: «سهلة الانقياد، جذابة كريمة، محبة للآخرين...»

وضحكت سوزان ثم سألتها: «إن أمك تبدو جميلة في صورها التي رأيتها.»

فأجابت لارا برقة: «كانت أحسن امرأة، وكانت وأبي متحابين كثيراً. مسكين أبي. إنه يكبت كثيراً من الحب في نفسه. فنحن غير كافيتين له، وهو بحاجة إلى امرأة تشاركه حياته.»

قالت: «إنك لا تمتنعين عن الحديث عن أمك، ويبدو أنك وأختك، تتمتعان بتوازن نفسي حسن.»

فأجابت لارا: «إذا كان هذا، فهو بفضل أبي. فقد طلب منا أن نتذكرها دوماً بالسرور، ونفكر في الأوقات السعيدة التي قضيناها معاً. لأن بعض الأسر لم تكن لديهم حتى مثل هذه الذكريات.»

وشجعتها ابتسامة لارا المسترخية فأومأت برأسها وهي تقول: «لقد ماتت أمي أثناء سنوات مراهقتي وأنا أدرك ما

هو نوع الشعور عندما تكون الأم هي محور الأسرة.»

فقالت لارا بدهشة: «آه، ولكن أبي كان هو المحور على الدوام، وسيبقى كذلك أبداً، هل تريدين شاي؟» غابت قليلاً ثم عادت بعد لحظة بكوب شاي وضعت فيه شريحة من الليمون، وهي تقول برقة: «إننا جميعاً نحب أبي إلى أقصى حد. وكذلك كانت أمي طبعاً. ولو كانت هي التي فقدته، لكان الأمر أسوأ، لأن أبي كان بمثابة الصخرة لنا جميعاً.»

فسألتها سوزان: «هل كان تأثير موت أمك عليه، شديداً؟»

فأجابت بهدوء: «من الصعب الإجابة عن هذا السؤال، فهو لم يفصح عن مشاعره ولكنه توقف عن الضحك. لقد جمعنا معاً حول مائدة وجعلنا نتحدث عن تعاستنا وغضبنا، قال لنا إنه مهما حدث فهو لن يقدّم علينا أي شيء أو أيّ شخص. وكان يعني ما يقول.» وابتسمت بمحبة وهي تتابع قائلة: «إننا نتصل به هاتفياً ساعة نحتاجه. وأحياناً كما حدث عندما أوشكت دينا أن تفقد طفلها وهي حامل في شهرها السابع، وسرعان ما قفز إلى طيارته ليأتي إلينا عبر العالم. هذا هو نوعه بين الرجال. فهو محب، معطاء، مرح...»

وجاءهما صوت لازلو يقول ببطء: «وأكبر ضارب لأفواه الأولاد الثرثارين في العالم.»

فارتسمت على وجه لارا ابتسامة عريضة وقحة وهي تقول: «ألا تكرهين الطريقة التي يظهر فيها ويختفي؟ لقد تعلّم ذلك من الغجر في روسيا.»

فسألتها سوزان بدهشة: «الغجر؟»

فقال لازلو ببطء: «تمارين البيانو يا لارا.»

فأجابت بنعومة: «حسناً، ومن سيجهز العشاء إذن؟»

فأجاب باختصار: «أنا وسوزان.» واتجه نحو الثلاجة يفتحها.

فقالت لارا: «أنتما الاثنين تحاولان تجهيز العشاء؟ إن الوقت أقصر من أن يحتمل النظرات الطويلة ذات المعنى التي تستمر ساعات.» وهربت من الغرفة قبل أن تصيبها فطيرة الفاكهة التي سدّدها لازلو إليها يرشقها بها.

ابتسمت سوزان لما قالته لارا، ووقفت مستعدة للمساعدة ولكنها كانت تريد أن تعرف أولاً نتيجة اتصاله الهاتفي فسألته بعصبية: «ما الذي قلته للكونتيسة؟»

أجابها: «لقد تكلمت مع فيكادو. ويسرّني أنه قد ثارت ثورته. لقد اتهمني باختطافك.»

فسألته بلهفة: «وهل طمأنته؟»

فأجاب: «كلا بالطبع. إنني أريده أن يبقى على قلقه واضطرابه.»

«أتعني أنك قلت له...»

فقاطعها: «نعم، لقد قلت له.»

فقالت وخفقات قلبها تعلو: «ثم...»

فأجاب باقتضاب: «إنه صحافي! ولديه مجموعة محترمة من الشتائم. إنه يشدّ شعره غيظاً ولكنني أظن أنه سيقتنع بما أخبرته به من أنك غير مفتنة بي.»

ورمقها بنظرة طويلة بطيئة، ثم تابع قائلاً: «إنه يظن أن زواجك مني سيكون التعاسة بعينها. ما رأيك أنت؟»

«إنه سيستدعي الشرطة.»

فأجاب بابتسامة خبيثة: «ليست لديه فكرة عن مكان إقامتي. وعلى كل حال، فقد نصحته بألاّ يفعل ذلك.»

فسألته: «وعلى أي اساس كانت نصيحتك له تلك؟»

فأجاب: «لقد قلت له بأنه إذا هو لم يقسم بألاّ يفعل ذلك، فإنني سأتحرش بك، وذلك قبل أن تصل إليّ الشرطة.»

وقالت مزمجرة: «أيها المتغطرس. لماذا لا تخبرني بسبب الحقد الذي تكنه لفيكادو؟»

قال بلهجة مشحونة بالضغينة: «حقد؟ آه، إن الأمر اسوأ من ذلك. أسوأ كثيراً. وإلا فماذا تظنينني أضيع وقتي؟»

فقالت: «وهذا أيضاً؟ لقد تعبت من ألاعيبك.» قال مكتئباً: «يا ليتها كانت مجرد ألاعيب. ويا ليت أبي لم يضع قط قدمه في هنغاريا.»

فانفجرت تقول غاضبة: «إن الكونتيسة توافقك على تمنياتك هذه تماماً.» وأجفل لقولها هذا، وسألته قائلة بلهجة حزينة: «لماذا لا تترك هنغاريا؟ انس حاجتك تلك إلى الانتصار على اسطفان وفيكادو واستمتع بحب اسرتك لا غير.»

فقال ببطء: «يا ليتني كنت استطيع ذلك.»

«باستطاعتك ذلك، يا لازلو. فهذا شيء في منتهى البساطة إذ أن كل ما عليك عمله، هو أن تبتعد من هنا.»

فقال بلهجة متوترة: «دعينا نباشر بتجهيز العشاء، وإلا فستقوم علينا ثورة.»

فتمتمت: «الويل لك.»

قال ببرود: «أظن يجب أن نبقى أناساً متحضرين قدر استطاعتنا وذلك لمصلحة أولادي. فهم قد يدخلون علينا في أية لحظة. دعينا نتناقش في مسائل عادية.»

فقالت بلهجة مشاكسة: «ولماذا لا تريدهما أن تعرفا أنني أكرهك؟»

فألقى عليها نظرة غريبة وهو يجيب: «أريد أن نستمتع جميعاً بالعشاء لا أن نصاب بعسر هضم. إن المودة التي تجمعنا، تمنعنا من أن نمضي المساء بالشجار.»

فقالت: «معك حق. سأساعدك في اعداد العشاء. ولكن لا تظن أن عدم جدلي معك يعني أنني أوافقك على ما تقول.»

وزمت شفتيها وهي تفكر في موضوع عادي يتحدثان به ورأته يخرج من الثلاجة سلة من الأعشاب. فسألته بفضول: «هل هذه الأعشاب للطبخ؟»

فأجاب: «وهي كذلك، أعشاب طبية.» أخذ يرفع مجموعة تلو الأخرى وهو يقول: «هذه الأزهار للسلطة. وهذه الجذور للروماتيزم الذي يعاني منه فيرينك، فهي تهدىء الألم. وهذا لأجل الرضوض. وهذه تطبخ مع السمك، واللافندر للحمام. وهذا للطماطم. وهذا مع اللافندر لغسيل البياضات. إن الأعشاب هي لكل شيء يخطر على بالك.»

توقفت سوزان وهي تقول فجأة: «لا شك أنك تعلمت كل هذا من الغجر. متى كان ذلك يا لازلو؟ وكيف؟»

فقال بجفاء وهو يخرج حزمة كبيرة من البراد: «لقد علمني الغجر كيف أعود إلى الحياة. هل يناسبك فطائر لحوم الطرائد؟» وقبل أن ينتظر الجواب اشار إلى كيس البطاطا وهو يقول: «هيا، باشري بالتقشير.»

فعادت تسأله: «متى، وكيف؟» فنظر إليها بضيق ثم قال مقطباً جبينه: «عندما مات أبي، كنت مراهقاً حساساً.» وأرخى أهدابه الكثيفة ما منعها من أن ترى أي تعبير في عينيه، وأدركت من طريقته وهو يفصل رقائق عجينة الفطيرة، أن ذهنه قد شرد تائهاً في الماضي.

وقالت تجشعه على الكلام: «ها أنذا أقشر البطاطا.»

فأجاب: «حسناً أظن هذا موضوعاً حسناً للتحدث عنه كأي موضوع آخر.» وبأسلوب رجل اعتاد أن يواجه أسرة جائعة، وضع الفطيرة في الفرن، ثم تناول مقداراً من الجزر من على الطاولة وابتدأ ينظفها في الحوض المزدوج بجانب سوزان، وهو يتابع قائلاً: «أدرك الموت أبي قبل أن ينجح في المهمة التي كان يقوم بها وهذا ما جلب العار على اسرتنا بين ليلة وضحاها. ولا أدري ماذا جرى لجدي.»

وصرخت هي برعب: «أتعني أنهما اختفيا فجأة؟»

فأجاب: «لقد اقتيدا إلى مخيّم، ولم أرهما قط بعد ذلك.»

فقالت برقة: «بينما هما اللذان قاما بتنشئتك. آه، يا لازلو، لقد كنت تحبهما، أليس كذلك؟»

فأجاب: «نعم.»

وساد صمت طويل لم تشأ أن تخترقه. ولكنها أدركت مقدار ما كان يكنه من الحب لجدّيه، اللذين منحاه طفولة سعيدة، أدركت ذلك من حبه العميق لأولاده.

وعادت تسأله برقة: «وكيف كان شعورك عند ذلك؟»

فأجاب: «شعرت بالخبل.»

ورأت يديه تقطعان الجزر بعنف وكأنه يقطع رؤوس أولئك الذين كانوا في مركز السلطة ذلك الحين.

وسألته بعد برهة: «إذن، ماذا فعلت بعد ذلك؟»

فأجاب بجفاء: «اختفيت عن الأنظار. التحقت بقبيلة من الغجر. لقد علموني كيف أعيش خارج البلاد. ألاّ أثق بأحد. أن أعشق الموسيقى وأن اخفي مشاعري، تعلمت أن أعشق

البراري. أن أكره الانحباس في غرفة صغيرة، وأن أقبض على الأرانب في ثوانٍ قليلة.»

ونطق بجملته الأخيرة وعلى شفتيه ابتسامة عريضة، لقد أوضح انطلاقه هذا بالكلام، الكثير مما في نفسه، عادت تقول: «يبدو أنك قضيت وقتاً ممتعاً.»

فأجاب: «كان مكاناً جيداً للتدريب.» وكان يتكلم وهو مايزال يقطع الجزر إلى شرائح بطريقة تدعو إلى الاعجاب، ولكن بحماس أقل. وتابع يقول: «لقد عاش الغجر لأنهم تعلموا كيف يفهمون الناس ويقرأون ما بأنفسهم، وتقلب طبائعهم. وعندما صممت على تجربة حظي في أميركا، جهزوني بأوراق زائفة باسم لازار، وقد ثبت لي فيما بعد مقدار أهمية تلك الموهبة التي اكتسبتها في إدراك نقاط الضعف عند البشر، وسلوكهم. إن مهارتي في فهم الأسواق المالية، قد أصبحت لدي حاسة سادسة. فأنا أعرف متى يجتاح الخوف، الناس، ومتى يحاولون التراجع وحماية ظهورهم. لقد منحني الغجر مستقبلاً، وهذا ما يجعلني ممتناً إلى الأبد، كان عليك أن ترتدي مئزراً.»

وعادا إلى تجهيز الطعام بصمت لا يتخلله سوى تلك الموسيقى الرائعة التي كانت تعزفها لارا والتي كانت تصل إلى مسامعهما من خلال الباب المفتوح.

وقالت بهدوء: «إن عزف لارا رائع.»

فأجاب: «إنها تريد أن تجعل من الموسيقى مهنة لها.»

فقالت: «ومن خلال مدرسة لارا للموسيقى، تعرف أنت الناس.»

فقال: «إنني أحد اعضاء مجلس الإدارة.»

فقالت مفكرة: «انك مليء بالمفاجآت.»

فتمتم بمرارة: «فقط بالنسبة لأولئك الذين يصدقون الشائعات الرخيصة.»

وقفز قلبها. ربما كان اسطفان وفيكادو على خطأ في نظرتهما إليه.

وسألته بدهاء: «هل عندك تجارب سيئة مع الصحف؟»

فهز كتفيه قائلاً بسخرية: «هناك بعض المتصيدين في الماء العكر، ينتظرون. فقد جئت أنا من مكان بعيد، وجعلت لنفسي كثيراً من الأعداء. فهم يفصحون، بهذا، عن فشلهم إزاء ما يبدو لهم أنه براعة مخيفة في القدرة على الحكم، بالتلميح إلى أن نجاحي إنما هو بواسطة الرشوة وافساد الضمائر. لم يخطر ببالهم أن نجاحي ما هو إلا نتيجة لقضاء الساعات الطويلة في دراسة الأسواق المالية. أو محاولاً استيعاب فكرة شاملة عنها. عليك أن تقشري المزيد من البطاطا.» وكان قد رآها تفتش عن مقلاة واسعة.

فسألته: «كم شخصاً سيكون على مائدة العشاء؟»

فأجاب: «سيكون معنا زوج دينا، وفيرينك وزوجته... أين انتهيت في حديثي؟ الأسواق المالية؟ نعم، لقد قمت بعرض رائع في تلك الأسواق. وقد وصل الأمر إلى حد أنني لو بعت دولارات أو جنيهات استرلينية، أو ماس، فالآخرون جميعاً يتبعونني في ذلك.»

فقالت متأملة: «إن لك سلطة واسعة، أليس كذلك؟»

فهز كتفيه وهو يجيب: «ان السلطة تجلب التعب. وهذا هو السبب في تجنبي للظهور. إذ يصبح الشخص معرضاً للتهديد. ويبدو أن كلمة الربح قد أصبحت كلمة قذرة.»

فقالت: «هذا يعتمد على ما تفعله بنقودك.»

فقال: «إنني لا أطوف الشوارع أخبر الناس عن احساني وعطائي للفقراء، وهذا جعلهم يفترضون أنني لا أقوم بشيء من هذا.»

فقالت بقلق: «ولكن عليك أن تفعل ذلك فأنت تربح الكثير، ومع هذا تقول أنك لا تملك أياً...»

فقاطعها بصوت أجش: «إن عندي أولادي. وفي استطاعتك ان تلمسي مكانتهم عندي أليس كذلك؟» ونظر إلى حيث كانت صورة كبيرة للأسرة معلقة على الجدار، وهو يتابع: «أحياناً يصبح المكان هنا مثل برج بابل.»

ورأت سوزان، فيما بعد، أن المكان قد أصبح مثل برج بابل فعلاً. فقد كان العشاء اكثر امتاعاً مما سبق وتصورت. وكان جو زوج دينا أميركياً يتمتع بموهبة ماكرة في المزاج، وهو موظف عند لازلو. وقد لاحظت، على الفور، السبب في وقوع دينا في غرامه. فقد كانت اكثر نضجاً من سنها. وقد شعرت بالتأثر وهي ترى كيف كان لازلو يذعن، أحياناً، لما تريده ابنته هذه، وكيف كان يبادل ابنته نظرات مفعمة حباً.

كانت زوجة فيرينك قد أحضرت معها قدراً كبيراً من الحلوى بالفاكهة. لكي تضاف إلى الجيلي المصنوع في البيت. وكان واضحاً أن هذا العشاء كان تدبيراً مشتركاً. كانت الفوضى حولها، والضحكات السعيدة، والدفء في ذلك المطبخ الواسع، كل ذلك جعل الحواجز التي أقامتها سوزان حول نفسها تنهار كلياً. لقد كانت فترة لا تنسى... فترة تضيفها إلى ذكرياتها مابقيت حية.

واستدارت عيناها العسليتان الرقيقتان إلى لازلو برزانة. والذي كان قد سأل لتوه، ابنته لارا عن رأيها في آخر تصرف قامت به الولايات المتحدة. وكان كل واحد من الجالسين يساهم برأيه في ذلك، ولكنه هو، كان مركزاً على ما تقوله ابنته الصغرى وكأنه أهم من كل تلك الآراء.

وابتسمت. فإن تصرفه هذا في جعل ابنته، وهي أصغر عضو في الأسرة، تشعر بالأهمية لذاتها، كان في هذا التصرف ما يدل على مبلغ حبه الأبوي وعنايته، وامتلأ قلبها دفئاً تجاهه. فقد كانت عيناه مليئتين بالعاطفة العميقة نحو لارا... وكل أسرته.

وجاءها صوت لازلو من وراء الضباب يقول: «سوزان، اتريدين مزيداً من الحلوى؟»

وفكرت وقد شعرت برأسها يدور، انه العصير الهنغاري هو الذي أرهف احساسها إلى هذا الحد. فهي تنظر حولها وتتذكر أسرتها أثناء تناولهم الطعام، و... واغرورقت عيناها وهما تستقران على وجه لازلو الرقيق الباسم.

ومرت بقية المساء بصعوبة فقد كانت في كل مرة تنظر فيها، إلى لازلو، كانت ترى مزيداً من الشواهد على رقته، ودفئه وكرمه وروحه المرحة... وتجهم وجهها. لكنه يستغلها دون شفقة، فهو، بهذا، أقرب ما يكون من الحية الرقطاء.

وفيما بعد، أثناء الليل، تخلت عن محاولاتها الفاشلة لنفسها للرقاد، وصممت على النزول إلى المطبخ لتصنع شراباً ساخناً يساعدها على النوم. أي شيء يجعلها تتوقف عن التفكير في لازلو. وارتدت معطف لارا المنزلي الواسع،

ثم خرجت من غرفتها على رؤوس اصابعها لتسمع نحيب طفل في الغرفة التي تحاذي غرفتها والتي كان على بابها رسوم أرانب وفيلة واسم «ميكي» مخطوطاً بعناية على لوحة معدنية. وهكذا، أدارت مقبض الباب بكل هدوء لترى ما إذا كان الطفل الرضيع بخير.

كان لازلو هناك يهز الطفل الواعي، وهو يغني له بصوت عميق بالغ الرقة، وبينما أخذت تراقبه، أدركت دون أن يعتريها أدنى شك، بأنها مغرمة بهذا الرجل. مهما كانت شخصيته وصفاته وتحركاته، وأنها تكن له من الحب ما أفعم قلبها.

وهمس لازلو: «تعالي وانظري إليه.»

وتجمدت في مكانها ذلك أنه لم تبدر منه أي إشارة إلى أنه عرف بوجودها في الغرفة. وأدركت أن الجواب على هذا هو عند الغجر الذين سبق وأمضى معهم قسماً من حياته. تقدمت منه تنظر إلى الطفل الراقد وهي تشهق قائلة: «آه، ما أجمله. هل ثمة شيء أجمل من طفل نائم؟»

وأعاد لازلو الطفل برفق إلى مهده، ثم أخذ يعالج إحدى الدمى المعلقة فوقه، وما لبثت هي أن ابتسمت حين انطلقت منها ترنيمة هادئة شجية.

وأجابها بلطف: «نعم، هنالك شيء يماثل ذلك جمالاً. إنه أنت في هذه اللحظة.»

فتمتمت: «آه، لازلو.» ولكنه كان قد أمسك بيدها التي كانت ترتجف. وقال بصوت خشن وهو يبتعد عنها: «كلا... لا يمكننا أن نفعل هذا، عليّ ألاّ أدع عزيمتي تتراخى في ما صممته من اتخاذك موضوعاً للمساومة.»

فقالت بثبات: «لقد سبق وقلت لك إنني سأمتثل لكل ما تريده مني. لقد سمحت لك بأن تدعي بأننا سنتزوج.»

فانحنى لازلو على المهد يقبل وجنة الطفل النائم وهو يهمهم برقة: «آه، إنني على استعداد حتى لارتكاب جريمة لأجله.»

فهمست وقد شعرت بالألم في لهجته وهو يقول ذلك: «ما هذا الذي تتحدث عنه، يا لازلو؟ ما الذي يضايقك؟»

ولم يستطع الجواب لحظة، ثم ما لبث أن تمالك نفسه رغم أن صوته حين تكلم كان متوتراً. قال: «إن أولادي مهددون.»

فشهقت مذعورة وهي تقول: «آه، كلا، لا أستطيع احتمال أي شيء يحدث لأيّ منهم.»

فاستدار إليها ببطء وهو يقول: «إنني لا أتوانى عن القيام بأي شيء، أي شيء لكي أبقيهم سالمين.»

وهمست بعد أن ألقت نظرة سريعة على الطفل الراقد: «آه، لازلو!» وفكرت في هذا الطفل ومبلغ جماله، شاعرة بموجة من الحب له تكتنفها، وهي تتابع قائلة: «إن الذي يفكر في أن يؤذيه لا بد أن يكون معتوهاً.» ورفعت أنظارها إلى وجه لازلو القلق المنهك وهي تتابع قائلة بصوت مرتجف: «إن ثمة كثيرين يريدون اختطاف أبناء الأغنياء. ما أفظع هذا. لقد فهمت الآن السبب في عدم رغبتك في الظهور في المجتمعات وفي اخفائك أولادك هنا. لا أحد يعرف مكانهم أليس كذلك؟»

فأجاب: «كلا.» وأمسك بذراعها بخشونة وقد أظلم وجهه وهو يقول منذراً: «وأنت لن تخبري أحداً، أليس كذلك؟ حتى ولا أسرتك. أقسمي على ذلك يا سوزان.»

فصرخت: «بالطبع. إنني لن أكشف عن هذا أبداً. إنني لن أعرض سلامة أولادك للخطر، يا لازلو ولكن... ماذا غير ذلك تقوم به بالنسبة للتهديد ذاك؟ هل أخبرت الشرطة؟»

بدت في عينيه نظرة ألم مزقت قلبها وهو يجيب بقوله: «إنني أعالج هذا الأمر.»

فقالت بصوت مرتجف: «آه، يا لازلو. لا بد أن الأمر رهيب بالنسبة إليك.»

فزمجر بوحشية: «لا تنظري إليّ هكذا.» ودفعها بعيداً عنه بعنف، وذهلت لحركته المفاجئة هذه بينما تابع قائلاً: «أظن من الأفضل أن تذهبي إلى فراشك.»

«ليس الآن.» إن في استطاعتها على الأقل أن تتحدث إليه إلى أن يشعر ببعض الارتياح. وعادت تقول محاولة اقناعه: «تعال نتمشى في الحديقة. إنك بحاجة إلى...»

فقاطعها بخشونة: «لست بحاجة إلى شيء.»

تنفس بغضب ثم اتجه إلى الباب وخرج، تاركاً إياها وكأنها تقف في وسط زوبعة رهيبة.

وإذا بها بعد فترة، تسمع صوت حوافر حصان يبتعد وعلمت أنه هو، وقد وجد طريقة ينفّس بها عن توتره وآلامه، وببطء اتجهت عائدة إلى غرفتها لتنتظر بزوغ الفجر.

وعندما نزلت في الصباح التالي إلى المطبخ لتناول طعام الفطور، كان التعب والارهاق يبدوان عليها بجلاء. وإذا كان هو قد لاحظ الهالتين الكامدتين حول عينيها فإن هذا لم يظهر عليه في خضم انشغاله بأخذ لارا إلى المدرسة، ودينا وطفلها إلى زيارة بعض الأصدقاء.

وبعد ذلك أصبحت مع لازلو بمفردهما. وتوترت أعصابها للصمت الذي ساد بينهما حتى انها أجفلت عندما تحدث أخيراً قائلاً: «لقد تدبرت أمر كيّ طقمك أما زوجة فيرنيك فقد غسلت قميصك وكوته.» وأشار برأسه إلى المشجب خلف الباب حيث كانت ملابسها معلقة وهو يتابع: «وستبدين لائقة تماماً هذا الصباح.»

فقطبت سوزان جبينها وهي تسأله بدهشة: «هل تعني حقاً أننا خارجان لإجراء مقابلات بشأن العمل؟»

فأجاب وهو يسكب لنفسه فنجان قهوة: «لقد سبق وعقدت معك صفقة.»

قالت بصوت أجش: «لا ادري إذا كان في امكاني...»

وقال ينذرها: «إذا أنت رفضت، فسأرغمك على ذلك.» ونظرت في عينيه بعينيها الكبيرتين متوجسة وقد أحرجها بإصراره هذا، وهمست: «إنك تؤذيني.»

فلوى شفتيه ونهض خارجاً دون أن يمس قهوته. وبحركة آلية، تناولت طقمها وقميصها وارتدتهما. وكان هو بانتظارها فتناول ذراعها ويقودها إلى الخارج عابساً، وسارت معه مستسلمة لهذا العذاب وقد انتابها الإرهاق والضعف.

وفي مدينة غايور، على شرفة من طراز القرن الثامن عشر محاطة بشبكة حديدية، أخذا يتحدثان عن العمل مع رجال وقورين ذوي شوارب مخيفة كانوا قد اعتادوا لهجة رزينة غير متحيزة، كان لازلو قد ذكرها بوجوب تفحصها لنوع انتاج البياضات التي تحتاجها. ولكن الأمر أخذ وقتاً أطول مما توقعا قبل أن يشق طريقه إلى عقد صفقة. وذلك

بالصبر والتمايل الذي أتى ثمرته في النهاية. وقد دهشت هي لطريقته الرقيقة والماكرة في نفس الوقت، في المساومة.

كما دهشت كذلك، لنظراته التي كانت تفيض حباً كلما نظر إليها.

وفي سوبرون قرب الحدود النمساوية، سارا في شوارع ضيقة إلى مدينة يعود طراز ابنيتها إلى مئات السنين ليدخلا مكتباً يشرف على ساحة. وهنا، أخذ لازلو يلقي إليها بمزيد من التعليمات عن كيفية تبادل الآراء، وبعث الحماس في الآخرين، والمناقشات المقنعة، ما لم، يكن في إمكانها ان تعلمه طول حياتها.

وفي النهاية في مصنع صغير في غابة من شجر الزان، وقفت وسط قرقعة آلات الغزل، تراقب الحائكين، لترى كيف تجتمع، في النهاية، الخيوط المتفرقة، بعملية معقدة، لتصبح نسيجاً متماسكاً.

وأمامها كان يقف لازلو وقد خلع جاكتته لشدة حرارة الجو، وحنى رأسه الجميل لكي يتمكن من سماع صوت أرملة متشحة بالسواد كانت تصرخ في إذنه لكي يتمكن من سماعها في هذا الجو الذي يموج بضجيج الآلات. وارتسمت على وجهه ابتسامته العريضة الرائعة، ليطلق دعابة جعلت المرأة تنفجر ضاحكة. وبرزانة تامة، أخذت سوزان تختبر نماذج من النسيج بأصابعها. الخشن والناعم والملتوى والمستقيم والأجنبي والطبيعي. وكان بإمكان لازلو أن يكون كل شيء لكل إنسان. وبالنسبة إليها، كان الرجل الذي ربما كانت ستنتظره الحياة بأكملها، ولكنه كان هنا، الآن،

على ان المشكلة هي أنه لم يكن يريدها لشيء غير قضاء الرغبة واستغلالها المشين.

وسألها فجأة: «هل وقع اختيارك على شيء؟»

فأجفلت وهي تجيب: «نعم.»

ولدهشتها الشديدة، إذا به، أمام الجميع، يقول بصوت عاطفي: «فلنذهب إذن.»

وساورها الارتباك لسلوكه هذا، شاعرة بما يشبه الدوار للعيون التي كانت تحملق فيهما بفضول.

قال بحرارة: «أهنئك، فقد قمت بعمل جيد في الداخل. لقد رأيتك تستمعين جيداً وتراقبين ما كان يحدث في الغرفة كأي صاحب مهنة حقيقي. لقد كنت متمالكة نفسك. إنني فخور بك يا سوزان.»

فأجابت بتردد: «آه، شكراً.» وكان، في طريقهما نحو السيارة، يمسك بيدها بقوة مما جعلها تشعر بأن هذا هو سبب الهمهمة التي كانت تسمعها خلفهما. وتمتمت وهي تحاول أن تبتعد عنه: «لازلو.»

فقال ينبهها وهو يزيد من شد قبضته: «إياك أن تبتعدي. فأنا أريدهم أن يظنوا أن علاقتنا وثيقة. إن سندي لك سيساعد في أن ينزلوا عند كلمتك.»

فقالت تسأله: «هل تعني أنهم إذا ظنوا أننا... أننا...»

فأكمل لها قائلاً بصوت أجش: «ظنوا أننا صديقان؟»

فتمتمت تقول: «لا أفهم.»

فأجاب برقة: «إنك لست بحاجة لأن تفهمي.» لمعت عيناه وهو يقول بصوت منخفض: «إبقي هكذا وإلا خسرت كل ما ربحته حتى الآن.» ثم فتح لها باب السيارة.

وجلست على المقعد الجلدي الناعم وما زالت تشعر بالدوار، ثم قالت له بجفاء: «إن في ذهنك هدفاً ما.»

فأجاب بلهجة ودودة: «ابتسمي ولوّحي بيدك ببشاشة، وضعي ذراعك على قمة مسند مقعدي، هيا، افعلي هذا.»

ففعلت، ورمقها بنظرة ما كانت لتتردد في التنازل، لأجلها، عن بؤبؤ عينها لو كانت متأكدة من أنه يعنيها فعلاً. ثم تحركت بهما السيارة. وما أن غاب المصنع عن أعينهما في المنعطف، حتى استقام في جلسته ليعود كما كان في بداية الرحلة، بارداً، صامتاً، نائياً عنها بذهنه.

وقالت ببرود: «إذا كان نجاحي لن يتحقق إلا بالإدعاء بأنني صديقتك، فأنا لا أريد هذا النجاح.»

ووقفت السيارة فجأة حين ضغط لازلو على الكابح بعنف جعلها تقفز إلى الأمام لولا أن حال حزام أمان السيارة الذي حولها، دون ذلك، وقال بوحشية: «ستقومين بالعمل بالشكل الذي أريد، فهذا سيجعلهم يعتقدون أن ثمة شيئاً بيننا مما يجعلهم يقومون بكل ما تريدين بأفضل مما يقومون به تجاه أي شخص آخر.»

فسألته بانفعال: «ولماذا؟»

فأجاب عابساً: «لأنهم معجبون بي ويحترمونني، ويحبونني.» وفكرت هي في أن هذا صحيح. فقد جذبهم جميعاً، وأدارهم بإصبعه الصغير. ولكنها قالت ثائرة: «ولكن هذا خداع لا أحبه. إنني لن...»

وشهقت وهو يمسك بكتفيها ويهزها وهو يزمجر قائلاً: «وماذا يهمك من ذلك؟ لا شيء في هذا؟ ابتسامة، نظرة أطول من المعتاد. ما بك يا سوزان، هل عليك أن تستمري في قذف مبادئك في وجهي؟»

فقالت عابسة: «لا أستطيع أن أوافق على هذه الطريقة.»

فسكت وأخذ يحدق فيها وكأنها قد ألقت به بعيداً كلياً. ثم قال بصوت خشن وهو يفك حزام أمان السيارة من حوله بشكل ينذر بشيء ما: «إذن، فإن عليّ أن أعترف بأن ذلك لا يتعلق بالعمل.» وجف حلقها عندما أخذ يلامس شعرها ملاطفاً وقد بدت في عينيه نظرة جعلت قلبها يخفق. فقالت: «إن امامنا عملاً علينا أن ننهيه.»

فقال موافقاً: «نعم، عمل.»

فقالت: «الموعد التالي...» وعلا، في هذه الأثناء، صوت نفير شاحنة جعلهما يجفلان. وغض لازلو شفته قائلاً بصوت حزين: «أتمنى لو لم يكن لديّ هذا الشعور.»

فسألته في محاولة لاختباره: «اتشعر في أنك بهذا الاحساس، إنما تخون ذكرى زوجتك؟»

فصر بأسنانه وهو يقول: «كلا. علينا أن نذهب الآن، يا سوزان.»

وشعرت بالتعاسة وبأنها سجينة مشاعرها تلك نحوه. لقد أوقعها في شرك جاذبيته حتى أصبحت جزءاً من حياته. وإذا لم تتدارك هذا وتهرب منه في الوقت المناسب، فإنها لن تنجو بمشاعرها منه. ولكن ليس في إمكانها أن تفعل هذا لأنه، عند ذلك، سينفذ تهديده ضد اسطفان.

وتمتمت شاعرة بالشقاء: «إنني أكرهك.»

فرد عليها ببطء: «وأنا كذلك اكرهك.»

الفصل العاشر

وأمضت بقية ذلك النهار الطويل، تمعن النظر في مختلف انواع الأزرار والخيوط، والتساهلات في التصدير، ومقدار الكميات المصرح بها قانونياً لذلك. وكانت ترغم ذهنها على التركيز لما بين يديها، هذا في الوقت الذي كانت فيه عيناه ويداه لا تنفكان عليها رائحة غادية وكأنما هنالك جاذب مغناطيسي غير مرئي يجذبها.

وقال اخيراً: «اننا عائدان الآن.»

وبقيت نظرات سوزان مسمرة باتجاه الأفق حيث كانت الخيول تتراكض ناحية الشمس الآيلة إلى الغروب. وسألته: «هل نحن عائدان الآن إلى القصر؟»

فأجاب: «كلا، فانك ستمكثين في منزل دينا عدة ايام ننجز فيها كل هذه المعاملات.»

وألقت عليه نظرة سريعة، ورأت جانب وجهه عنيفاً غير متساهل.

وسألته: «كم يأخذ من الوقت وصولنا إلى هناك؟ لقد سرنا اميالاً وأميالاً...»

فقال: «كان طريقاً طويلاً، وأنا ايضاً قد تعبت من هذه الحالة يا سوزان.»

فسكتت وبقيت تنظر الى الظلام يرخي سدوله، وأبطأ بالسيارة وهو يدخل القرى شبه المعتمة.

وعدة مرات كان ينحرف في الطريق لافساح المجال

لراكبي الدراجات او المزارعين، وقد ادركت مبلغ خطورة الطرق لأن المارة لم يكونوا اليكترثوا بأضواء اشارة السير.

ووضع لازلو شريطاً في المسجل، ثم اخذ يشتم قائلاً: «انه معطل.» ثم اخذ يعالجه لحظة، غاضباً، وكاد يصدم بقرة هائمة، وأخيراً، تركه وهو يقول لها: «غني لأجلي.»

فتمتمت بدهشة: «ماذا؟»

فقال: «غني، تكلمي، افعلي اي شيء والا خرجت عن الطريق. انني متعب والطريق خطرة، واذا لم اتمالك اعصابي فلا بد ان اصدم احداً.»

وهكذا أخذت تغني، فان اي شيء كان أفضل من الحديث. وقد شعرت بالحرج في البداية، وكان صوتها ضعيفاً، ولكن بعد فترة اشترك معها في الغناء بصوته الرائع الحنون.

ومع هذا، بقي في منتهى القلق، وهو منحني الى الأمام يحدق في الظلام ويسير ببطء، وقال متذمراً: «ان العودة ستستغرق منا ساعات.»

وصرخت سوزان فجأة، فقد رأت عربة على بعد متر او نحو ذلك امامها، صرخت قائلة: «انتبه يا لازلو.»

واندفعت لتحميه، كما مد يده يحميها، وأمكنه ان يتفادى العربة بعدة سنتمترات، ثم توقفا على مسافة قصيرة بينما يتمالكان فيها اعصابهما.

ومرت بهما العربة وحوافر الحصان تخب على الاسفلت بينما كانت قرقعة العجلات الخشبية تتصاعد بصوت عال.

قال بلهجة متعبة: «لا يمكنني متابعة ذلك.»

فأجابت وهي ترتجف: «هذا ما أراه، أليس ثمة مكان قريب نقضي فيه الليلة؟»

فابتدأ يضحك بأسى وهو يتنهد قائلاً: «آه، يا سوزان ليس هذا ما اعنيه. انك تجعلين من الأمر غاية في الصعوبة بالنسبة الي. سنطلب الاستضافة في اول قرية نصل اليها.»

وبعد ذلك، اقتصرت رحلاتهما على الاختصار، ولكنه بقي يساير ها امام الناس. بينما عندما يصبحان وحدهما، يبتعد عنها إلى حد الغلظة.

وكان هو قد جعلها تقسم على عدم الاتصال هاتفياً بأي من أفراد اسرتها، وقد وافقت على ذلك لأجل الخطر المحتمل الذي سيلحق بأولاده، ولكنها كتبت إلى شقيقتها تانيا وماريان تخبرهما عن التقدم الذي احرزته وعن مهارة لازلو التجارية.

ولأنها كانت تريد أن يشاركنها مشاعرها، وأن تلطف من العاصفة التي أحدثتها خطبتها المزعومة للازلو، فقد أخبرت ماريان عن سلوكه مع أولاده، وعن المرح الذي يسود بينهم، وعن روعته كأب. وبدا لها وكأن كل جملة كتبتها كانت تبدأ بكلمة (لازلو).

كانت أيامها ولياليها حافلة بالعذاب، وعندما كانت تمارس عملها، كانت تقوم بكل طموحاتها، ولكن هذه كانت تبدو فارغة تماماً، اذ كان بامكانها ان تستمتع بذلك لولا حبها لهذا الرجل.

وذات مساء، عند نهاية عشاء صاخب مرح، اذا بها تنهار، لتنفجر باكية مما اسكتهم جميعاً بشكل مفاجيء واستمرت في البكاء غير قادرة على تمالك مشاعرها.

وصرخ لازلو بعنف بكلمة واحدة يشمل بها الجميع: «اخرجوا.»

وشعرت بهم يتبادلون النظرات، ثم سمعت الباب يغلق. وعلت شهقاتها. وكانت تتوقع ان يبدأ بتهدئتها، او ابداء شيء من العطف على الأقل. ولكنه تركها تبكي فقط، بينما جلس جامداً دون حراك. وهكذا كفت عن البكاء وقد تملكها الغضب.

عند ذلك قال بصوت اجش: «والآن، فلنخرج من هنا.»

فردت عليه بحدة: «لن أخرج.»

فقال ببرود: «اما ان أحملك وأخرجك من هنا ثم أسير بك دافعاً اياك بيدي خلف ظهرك، أو تخرجي بشيء من الكرامة إذا شئت. فماذا تختارين؟» فالقت عليه نظرة حاقدة ثم قالت بتهكم: «اشكرك، كم أنت مستبد.» ولكنها وقفت وهي تتعثر خلفه نحو ظلام الليل.

ونظر اليها من فوق كتفه وهو يقول: «انتبهي إلى القنفذ.»

فانفجرت تقول بمرارة: «القنفذ!»

ومشت سوزان خلف لازلو في سكون هذا الليل الصيفي الدافىء، ما ذكرها بتلك الليلة التي تقابلا فيها لأول مرة في ضوء القمر. وجلس على مقعد في الحديقة، ثم أشار اليها بالجلوس بجانبه.

ولكنها فضلت الوقوف.

وقال بصوت جاف: «لا أظن أن أياً منا بامكانه الاستمرار على هذه الحال، اليس كذلك؟»

وبدأ قلبها يخفق، فسألته: «أتريد ان تسحب تمويلك لمشروعي؟ أم أنك تشير إلى خطبتنا المزعومة؟»

قال باقتضاب: «كلا، اريد ان اشرح لك شيئاً من تصرفاتي

واخبرك... لكي اشرح لك عن التهديد الذي يتعرض له اولادي.»

«آه، يا لازلو، هل هنالك مزيد من هذا؟»

فقال ببطء: «عندما اخبرتك عن ذلك، لم اكن اعني ان هنالك من سيخطفهم.»

فضاقت عيناها وهي تقول: «ولكنك قلت...»

فقاطعها قائلاً: «كلا، أنت التي قلت ذلك، وتركت هذا التفسير يمر لأنني لم اكن على استعداد لاخبارك بالسبب الحقيقي. والآن، علي ان اخبرك بكل شيء، وان كان هذا لن يعجبك...»

فقالت غاضبة: «لم يعجبني قط أي شيء قمت به.»

«ان فيكادو هو الذي يهددهم.»

فقالت ساخرة: «آه، حقاً؟ فهو دوماً يضع على وجهه قناعاً مخيفاً ثم يجبر الأطفال على التخلي له عن حلواهم. كيف تجرؤ على هذا الاتهام له؟» وثارت ثائرتها وهي تتابع قائلة: «ان فيكادو هو أحد أكبر المحبين...»

قال بهدوء: «والآن، اسمعي، ولا تقاطعيني، فهو امر في غاية الأهمية. فان لي قرابة العام أعالج هذا الموضوع، ولن أتركك تدمرين كل ما قمت به. هل تفهمين؟» وأومأت برأسها، ثم ابتدأ يقول: «إن فيكادو في طريقه الى نشر كتاب يحوي فصلاً فيه تحطيم كامل لشخصي.»

فقالت بحدة: «إذن، فالفصل غير خيالي.»

قال بوحشية: «هذا ليس مزاحاً. لقد كتب شريكي الماضي كتاباً ينتقم به مني، وكنت قد شكوته إلى المسؤولين منذ سنتين، وذلك باتهامي بالغش والرشوة

www.elromancia.com

والافساد، وهو الآن يقضي مدة عشرة اعوام في السجن في هونغ كونغ.»

فقالت وقد بان الرعب في وجهها: «وأنت خائف الآن من أن يكتشف اولادك ان اباهم مجرم. لازلو، هل هذا ممكن؟»

فاجفل وكأنما تلقى طعنة سكين، وقال بلهجة عنيفة: «ان اخلاقي هي فوق الظنون. هل يخطر ببالك انه من الممكن ان اعرض سعادة اولادي الى الخطر، بخروجي على القانون؟»

فتأوهت وهي تدفع برأسها إلى الخلف يائسة: «لا أدري ما الذي يخطر ببالي، لا استطيع التفكير في شيء.»

فقال بجفاء: «سأمنحك دقيقة واحدة للتفكير.»

وعلى الفور، هزت رأسها قائلة: «كلا، انك لا تفعل ذلك. انني اعرف هذا...» وتلاشى صوتها... ثم سألته بلطف والألم يملأ نفسها: «أخبرني كيف حدث ذلك، شاركني بالأمر.»

قال بصوت خشن: «لقد فكر فيكادو، على الفور في ان الكتاب هو متفجرة، ويجب ان يلقى بين ايدي القراء، وهذا يعني ان نشره واجب، لقد اعترف شريكي لمؤسسته بانحرافه ذاك وورطني معه انتقاماً مني لأنني طردته في نفس اللحظة التي اكتشفت فيها عدم امانته. لقد ارسل الي محامو دار النشر نسخة من هذه الاتهامات ضدي لكي ادلي برأيي فيها. فأجبتهم بأنني سأرفع دعوى قضائية.»

فقالت: «وبهذا فلن يطبعوا الكتاب، أليس كذلك؟ انهم لن يجازفوا بذلك.»

فأجاب بحدة: «ولكنني لا أستطيع ان اثبت شيئاً، لا شيء على الاطلاق.» ووقف وكأنه لم يعد يستطيع تمالك نفسه،

وابتدأ يتمشى رائحاً غادياً وهو يتابع قائلاً: «لقد ذكر التواريخ، والاجتماعات والاتصالات والمعاملات وكل ما يمكن ان يثبت صحة ما يقوله بالوقائع. وكانت تلك تدينه هو وحده فقط، ولا تدينني أنا. ثم تكلم عن مناسبة معينة ليس لدي اثبات عن وجودي في مكان آخر اثناء حدوثها، ولا برهان آخر عن تحركاتي أثناءها. اذ حدث ذلك اثناء وجودي بمفردي في الغابة ممتطياً حصاني ومتجهاً إلى موعد مع بعض الأشخاص في الكتلة الشرقية.» وعبس وهو يزم شفتيه، ثم يتابع: «وهو، كذلك بامكانه ان يقدم برهاناً من المعاملات الداخلية في مبادلات السلع المخزونة، وليس ثمة طريقة يمكنني بها اثبات خطأه. فكلمته ضد كلمتي. وقد سبق للصحف ان زرعت بذور الشك حول نزاهتي واستقامتي. وسيكون لها، عند ذلك مرتعاً خصباً.»

فسألته: «وهل اخبرت فيكادو بالحقيقة؟»

«انه لم يصدقني، اتدركين كم كان صعباً علي ان اذهب اليه متوسلاً، ليرفض طلبي منه بأن يتوخى الحذر في ما سينشره عني؟ يرفضه باحتقار.» وأضاف بمرارة: «ان عند الهنغاريين مثلاً يقول: «يبدأ فساد السمكة من رأسها» وهذا يعني ان شريكي اذا كان فاسداً، فهذا يعني انني انا مشترك معه، هذا إلى أن اسمي كان قذراً عند فيكادو الذي كان يعلم بما كنت سببته من ازعاج لاسطفان.»

«لقد قلت انك اخفيت مظاهر حياتك الخاصة عن الأعين، ولكن، يا لازلو، ربما اذا عرف هو مقدار عواطفك نحو اسرتك...»

فقاطعها مزمجراً بحدة جعلتها تجفل فزعة: «كلا، انني لست من الحماقة بحيث ابدو اضعف مما انا حالياً.»

فقالت ضارعة وقد شحب وجهها رعباً: «ولكن... انهم سيرسلونك الى السجن!»

وتابع قائلاً: «او ان علي ان اهرب. وقد عانيت الكفاية من ذلك طيلة حياتي.»

وقالت تسأله: «هل فكرت في ان تنذر الناشرين قضائياً؟»

فأجاب بفروغ صبر: «لقد جربت ذلك، ففشلت، ولهذا السبب صممت على استعمالك أنت كسلاح في يدي.»

وأغمضت عينيها يأساً، لحظة، قالت بعدها وهي ترتجف: «لقد ابتدأت افهم. لقد تهدد استقرار حياتك العائلية وانسجامها، فكان عليك ان تقوم بأي شيء لكي تحميهم من الأذى، ومن الشائعات وتكهنات الصحف.»

فتمتم يقول: «وهكذا اهتديت إلى طريقة تجعلك تقومين بما أطلبه منك.»

«وذلك بتهديدي بكشف هويتك الحقيقية لاسطفان.»

فأومأ مجيباً وهو يقول: «ثم اكتشفت مبلغ الحب الذي يجمعك باختك ماريان، ورأيت ان تهديد سعادتك طول الحياة، وذلك بقرنها مع شخص خائن قذر مثلي، كما هو ظنهم بي، سيملأها خوفاً. وبالتالي خطيبها هو ايضاً.»

فقالت بحيرة: «ان هذا لا يبدو تهديداً كبيراً. لقد كان مجرد مغامرة منك.»

فتمتم يجيبها: «انها ليست مغامرة كما تظنين.» وكانت هي تشعر بأن ثمة شيئاً ما زال يخفيه عنها. وقالت وهي ترتجف: «هذه اذن، هي القضية التي اخبرتني عنها.»

واستندت بظهرها الى مسند المقعد وقد شحب وجهها، لقد ابتدأ بالتخطيط والتنفيذ، وبكل هدوء، لكي ينقذ نفسه

وينقذ اولاده ايضاً في الواقع، وذلك من الظروف التي ستتبع النشر، وقالت بصوت ضعيف: «لم يكن عليك ان تساعدني.»

فقال باختصار: «لقد تأثرت بك. وأعجبت بعقلك العملي. ولكن هدفي الأول كان ايقاف النشر. وقد كنت دوماً متردداً في انتزاع ملكية القصر والأملاك من اسطفان والكونتيسة، وذلك للأسباب التي سبق واخبرتك عنها، ولكنني، فجأة، وجدت امامي خياراً مناسباً تماماً وهو ان اتخلى عن الأملاك واللقب، مقابل الغاء كتاب التشهير ذاك. فالأرض لا قلب لها ولا مشاعر لكي تتحطم، ولكن اولادي عندهم ذلك.»

«كان بامكانك ان تهدد فيكادو بهذه المعلومات، بدلاً من ان تورطني، كان باستطاعتك ان تخبره عن رغبتك في تدمير الأملاك كلها اذا...»

فقال برفق: «كلا، لم اكن لأدمرها.»

فقالت: «ولكنني مازلت لم افهم لماذا ورطتني في الأمر.»

فأجاب: «لقد فكرت في أن فيكادو ربما قال لي ان افعل ما اشاء بالنسبة للأملاك، ذلك انه ربما كان يحب تانيا واسطفان، ولكنه ليس مرتبطاً بهما بنفس العاطفة العميقة التي تربطك أنت بهما. فهو ليس لديه قوة ادراك المرأة للعواطف العميقة الملتهبة التي تتملك اسطفان والكونتيسة تجاه تلك الأملاك، فهو رجل مبادئه هي اقوى من ان تخضع للابتزاز. فأردت أن أصل إليه من نقطة الضعف فيه. ونقطة الضعف الوحيدة تلك التي وجدتها، هي حبيبة عمره، ماريان. والآن، ما دمت لا أريد أن اكون خارجاً على القانون، فلم اكن مستعداً لأن اخطفها او أؤذيها، او ان

احاول غوايتها. ولهذا، فقد تطلعت اليك، بصفتك نقطة الضعف الكبرى لديها، بعد خطيبها.»

فتنفست قائلة: «لقد فهمت الآن سبب نجاحك في اعمالك. فان عقلك مرن، اذا لم تتمكن تجاوز عقبة ما، فانك تأتيها من ناحية مختلفة. لماذا لم تنتظر الى حين صدور الكتاب، ومن ثم ترفع قضية امام المحاكم؟»

فأجاب بحدة: «لأن أسرتي ستعاني الكثير من القلق والاضطراب ولأن الوحل سيلطخنا جميعاً، ذلك ان عملي يعتمد تماماً على الثقة. فاذا انا خسرت تلك الثقة، فسأفقد كل سيطرة على الوضع.» وأدار اليها عينين متألقتين وهو يقول: «عليك ان تساعديني.»

فتمتمت: «وكيف؟»

فأجاب: «بالاستمرار على ما نحن فيه الآن، فنبقى على الادعاء بأننا مخطوبان ونخطط للزواج. وقد كان هذا صعباً بالنسبة اليك اثناء الأيام القليلة الماضية، وعلي أنا ايضاً. ولكن، لو انك علمت ما هو قصدي، ربما لا تجدين الأمر صعباً إلى هذا الحد. وهذه هي اسبابي على كل حال.» ولوى فمه بجفاء وهو يتابع: «وأنا بحاجة إلى قوة اكبر...»

فقاطعته بعصبية: «كنت أعلم أن هناك شيئاً آخر.»

فقال: «هذا حسن، أصبحت تدركين الأمور الآن، انني اريد منك ان تجعلي فيكادو واسطفان يظنان انك اصبحت فعلاً صديقتي.»

فتجمدت لحظة وقد استبد بها الرعب، ثم سألته بخشونة: «هل هذا سبب تصرفاتك في الأيام الأخيرة؟ لقد قلت... قلت ان السبب هو انك معجب بي. ولكن... آه!» وتأوهت وهي تهز

رأسها تحاول بذلك استنكار ما قام بفعله تجاهها. وتذكرت ما سبق وقاله منذ بعض الوقت: «من ان علاقتهما يجب ان تذاع على الملأ ويتحدث بها الناس...» وقالت وهي تغلي من الغضب: «يا لك من متوحش قاسي، افعى، كذاب.»

فقال: «انني اقوم بأي شيء لأحصل على ما اريد، كما سبق وقلت لك. ولأجعل رجال اسرتك في اشد الخوف والاضطراب مما يحدث لك. فان الرجال معروفون برغبتهم في حماية العذارى الصغيرات في اسرتهم. فكنت أنت الوسيلة المكتملة لغرضي هذا، فقد شكوت انت نفسك، من اعتبارهم لك طفلة الأسرة، ولا شك أن فيكادو واسطفان ينظران اليك بتلك الطريقة هم أيضاً.»

«ولكنك لم تجبرني على فعل شيء لا أريده.»

فأجاب ساخراً: «انك، بمبادئك ومثلك العليا تلك، لم تشجعيني على ذلك. وهكذا غيرت خطتي.»

فسألته وهي تقفز من مكانها تواجهه: «بماذا غيرت خطتك؟»

فنظر اليها بوحشية متحدياً وهو يقول ببطء: «بمهاجمتك في اعماق عواطفك الأنثوية. وهكذا قدمتك إلى اسرتي لكي تتأثري بهم عاطفياً وبالتالي تنحازي الى جانبي.»

وتجمد دمها وهي تسمع منه تصريحه هذا. كل مشاعر الأبوة تلك، ووجبات الطعام السعيدة التي تناولتها معهم، والعواطف التي كان يغرق بها اولاده امامها، هل كل هذا لم يكن سوى مناورة منه للتأثير على مشاعرها؟

وصرخت فيه بعصبية: «لقد استعملت اولادك؟ لقد كنت تقصد من كل ما قمت بعمله، ان يحدث بي ردة فعل، بينما أنا

كنت أظن أن اي اشارة قد تصدر مني إلى الحياة العائلية، ستلين من موقفك وتجعلك تهتم لما يحدث لي ولتانيا! لا بد أنني كنت مجنونة اذ صدقت هذا!»

وأدارت له ظهرها، بعدما لم تعد تطيق رؤية وجهه مرة أخرى. هل كان كل ما حدث بينهما مجرد محاولات منه لتليين موقفها؟ واجتاحها فيض من الشعور بالخزي والمهانة.

لقد وقعت في غرام رجل مخادع...

وقالت بضعف: «لقد فات أوان اصلاح ما حدث، ربما إذا أنا تحدثت إلى فيكادو، أو إذا امكننا أن نفكر في تقارب منطقي منه...»

فزمجر قائلاً: «هل تظنين انني لم اجرب كل الطرق معه؟ لقد قمت بكل شيء، وفكرت في كل ناحية، وكنت اقضي الليالي ساهراً افكر وافكر، حتى اوشك دماغي على الانفجار.» وامسكها بذراعيها وأخذ يهزها بقوة قائلاً بعنف: «تباً لك ولمبادئك الأخلاقية الانكليزية، وافقيني على فكرتي هذه، أو ارفضي فتدمرين أسرتي. أليس لك قلب؟»

فهمست: «آه، أرجوك.» ثم قالت بمثل قسوته: «ولكنك كنت تريد أن تدمر اسرتي أنا.»

فأجاب: «كان ذلك سيكون مؤقتاً، بينما اسرتي ستتدمر نهائياً.» اتدرين ما الذي سيفعله هذا بدينا؟ ربما تبدو ابنتي لك قوية مقتدرة، ولكن هذا فقط لأنني، أنا وزوجها نمنحها الحماية والاستقرار. فاذا انا سقطت، فان اعمالي كلها ستتحطم وكذلك عمل جو زوجها حيث انه يدي اليمنى في

اعمالي. وسيكون عليها ان تمسك وحدها امور الأسرة، لارا، ميكي...»

فقالت متوسلة: «لقد جعلتني احبهم، جعلتني ابتهج بوجودي بينهم، ايها القاسي، ارجوك ألاّ تحزني بهذا الشكل.»

فقال عابساً: «بل عليك أن تشعري بالحزن، اذ لا اظن ان لديك فكرة عن خيوط المصير التي امسكها بيدي... ذلك ان ملايين من الناس، في كل أنحاء العالم، سيلحق بهم الافلاس او يفقدون اعمالهم. والبعض منهم سينتحر، ان الأحداث التي ستنتج عن سقوطي ستكون بالغة الأهمية. هذه هي مسؤوليتي في الحياة. وذلك هو السبب في أنه يجب علي ألاّ ارتكب اي غش او احتيال، لأنني لن استطيع بعدها ان اعيش مع نتائج وصدى ما سيحدث، انني احمل على كتفي مصائر اعداد لا تحصى من الناس، هذا عدا عن مستقبل اولادي.»

لقد تمزقت بسببه حياتها العائلية المنتظمة البالغة الانسجام. كما جرها إلى عالمه المعقد حيث قطبة واحدة محلولة بامكانها ان تفكك كل النسيج.

وجعلها التقزز الذي بدا في عينيه، تنكمش خوفاً وهو يقول: «وبالرغم من كل ما اخبرتك به، مازلت تترددين؟ انك لا تريدين الادعاء بانك مغرمة بي، لأن هذا غير صحيح. إذا أنت لم تساندني الآن، وتمزق عالمي أشتاتاً، فانني اقسم ان أراك وأرى كل فرد من أسرتك في لهيب الدمار قبل أن أحترق انا به.»

«لا استطيع التفكير، لماذا حدثتني بكل هذا؟ كيف

بامكاني تركيز افكاري مع كل هذا الاضطراب الذهني عندي والذي يجعلني ادور وادور دون ان اصل الى شيء؟»

فقال بخشونة: «انك تشعرين نفس شعوري الآن.»

قالت باكية: «صدقني انني لا أعرف ماذا افعل.»

وبعد ان أخذ يراقبها وهي تنخرط في بكاء ذليل، بعض الوقت، جذبها بيده ومشى. ولم يمكنها الارهاق والضعف من الاعتراض وهو يسير بها عائداً إلى المطبخ حيث التقط حقيبة يدها التي كانت قد تركتها هناك. ولم تكد تعي كيف اصبحت في سيارته، بعد ذلك، ليسيرا في أعماق الليل، بينما لازلو يتمتم بعنف في هاتف سيارته. وفقط، عندما تركا السيارة، ورأت انهما متجهان نحو طائرة صغيرة خاصة، عند ذلك فقط انكمشت متراجعة رافضة التقدم خطوة واحدة.

وقال عابساً: «انني سأعيدك الى منزلك. حيث يمكنك التفكير كما يحلو لك.»

فسألته بتبلد: «منزلي؟»

فأجاب: «إلى ديفون.»

وداخلها الارتياح على الفور وهي تفكر في ديفون، فهي ستجد، هناك، الحياة الطبيعية مرة اخرى.

واستقلا الطائرة بصمت، وبعد ذلك بمدة، هبطا في ايكسيتير. فاستأجرا سيارة، لكي تجد نفسها بعد ذلك، امام منزل اسرتها الحبيب. وبينما كان يضع لها المفتاح في الباب، لاحظت ان يده كانت ترتجف. ودون ان ينطق بكلمة فتح الباب وأضاء النور، انصت لحظة، ثم تراجع إلى الخلف وهو يقول: «وداعاً.»

فصرخت مضطربة: «لازلو.» ولكنه تجاهلها، وعاد إلى

السيارة وركضت هي خلفه تهتف به: «ما الذي تعنيه بقولك وداعاً؟»

فأجاب: «ان لدي شعوراً بأنني سأواجه هذه المشكلة بمفردي.» وكان في صوته من الارهاق والهزيمة ما لم تلمسه فيه من قبل.

وقالت: «لحظة واحدة.» وفكرت في أن امامها خيارين، مثل ما حدث مع الكونتيسة التي وازنت بين الأمور لتختار، بعد ذلك، الأصلح، ولكن...

وقال لازلو بضيق: «لا يمكنني الانتظار هنا بينما أنت تضربين اخماساً بأسداس. قومي بهذا وحدك فيما بعد. وأظنني اعرف جوابك مسبقاً. وداعاً يا سوزان.»

وراقبته وهو يسير ببطء إلى السيارة، وسرعان ما داخلها الرعب. انها لا يمكن ان تكون سعيدة ابداً من دونه. ان عليها ان توقفه عن الرحيل بأي شكل كان...

وتوسلت اليه ضارعة: «لا تذهب، ليس... ليس ثمة احد هنا. فأبي مايزال عند الكونتيسة في القصر. لا يمكنك ان تتركني هنا وحدي...»

فأجاب ببرود: «شاهدي التلفزيون.»

فعضت شفتها وقد يئست من منعه، هل لن تراه بعد الآن ابداً؟ ووقف قلبها عن الخفقان. انها تحبه: يجب ألاّ تتركه يرحل. وهمست: «ابقى هنا.»

فتمتم قائلاً: «لا شيء هنا يحملني على البقاء.»

فقالت دون تفكير في النتيجة: «انني أنا هنا.»

ورأت خطوته تترنح، ولكنه تابع السير. وركضت حول السيارة بذعر، ثم امسكت يده.

www.elromancia.com

ولكنه قال بخشونة وهو يبعد يدها: «كلا يا سوزان.»

فصرخت: «ولكنني احبك... احبك.»

فقال بنفس الخشونة: «كلا، هذا غير صحيح.»

فصرخت باصرار: «بل هو صحيح.»

فعاد يقول: «كلا.»

فحدقت فيه لحظة، وهي تتمتم: «بل أنا أحبك.»

فقال بازدراء: «لا يمكنك ذلك، فلا تكوني سخيفة، ان امرأة مثلك من قرية صغيرة في الريف الانكليزي لا تحب شخصاً مخادعاً كاذباً مثلي و...»

فهتفت بدهشة: «انها ليست قرية صغيرة، انها فدان ارض بالغة الأهمية.» ودفعت شعرها إلى الخلف وهي تنظر اليه من تحت اهدابها. ولكنه تابع يقول: «وأنا كبير السن بالنسبة اليك واب لابنتين... وكذلك أنا جد...»

فتمتمت بسرور: «لم يعد لديك اي عذر.»

فقال بصوت خشن: «اعلم ذلك، سوزان...»

فقالت بصوت ناعم: «هذا هو دليل حبي وثقتي بك.»

فقال: «لا استطيع.»

«انني اعلم ما الذي اقوم به، سأفعل كل ما تريده مني واتوسل الى فيكادو وماريان بأن يستمعا إلى كل ما تريد قوله. سأساندك في كل ما تريده. اخبرهم بأننا سنتزوج. اخبرهم بأنك ستنسحب من... ستنسحب من حياتي اذا هو الغى نشر الكتاب.» وازدردت ريقها.

انه سيتركها في هذه الحال، وهي تحفر قبرها بيدها. ولكن سمعته واسرته سينجوان وسيستقر العدل. ماذا هناك غير ذلك بامكانها القيام به؟ ان حبها ليس له نهاية.

وبعد ذلك بلحظات، وعندما اخذت ترتجف، تناول جاكتتها يغطي بها ذراعيها. ورغم كل المشكلات التي كانت امامهما، فقد شعرت بالأمان لوجودها معه هذه اللحظة، وازاحت جانباً، الألم الذي كانت تعلم انها ستعانيه فيما بعد. ذلك لأنها كانت تعرف انه سيبقى معها لسببين، الأول لكي تساعده على عدم نشر الكتاب، والثاني لأنه معجب بها. ومتى زال هذان السببان، فانه سيرحل.

وترنحت وهي تشعر بالدوار.

وقال لها بصوت خشن: «انك متعبة، وتشعرين بالبرد. ادخلي إلى البيت وأنا سأذهب إلى الفندق لأبيت الليلة.»

فقاطعته قائلة: «ثم في الصباح نعود إلى هنغاريا.»

فضاقت عيناه وهو يسألها: «وهل ستقومين بما أطلبه منك؟»

فأجابت: «نعم، سأفعل ذلك.»

وعند الصباح، تأخرا في الرحيل لأن منطقة المروج الخضراء كانت في ابهى حالاتها. واخذته سوزان الى مكانها المفضل حيث بامكانها ان يشاهدا المروج الخضراء الممتدة اميالاً عديدة.

وتمتم لازلو برهبة: «يا لهذا الجمال. لا عجب في حبك لهذه البقعة الى هذا الحد. انني اشعر... اشعر بأن ثمة فسحة هنا.» ووقعت عيناه على خيول تتراكض فوق التلال ببهجة عارمة. وتابع يقول: «فسحة للتنفس حيث السكون لا يخترقه سوى طيور القنابر والسنونو وخرير النهر.»

قالت برقة: «انني مسرورة لاعجابك به.»

وقال بلطف: «يمكنني ان اكون سعيداً هنا.»

فنظرت اليه وقد فاضت مشاعرها بالرقة، واثقة من ان ذكرى هذه اللحظات لن تبرح خيالها وهمست تقول: «انني احبك.»

رفع وجهه متوتراً، ثم قال: «يجب ان نذهب الآن.»

أومأت برأسها، ثم اعدت نفسها للسفر.

وعندما وصلا بعد الغداء بقليل، اتصل لازلو هاتفياً ليرى ما اذا كان فيكادو في منزله، ليكتشف انه في القصر عند الكونتيسة.

وعندما توجها إلى هناك، شعرت سوزان باعصابها تتوتر.

وصرخت وهي ترتجف ملقية بنفسها بين ذراعي الكونتيسة المرحبتين بها، صرخت تهتف: «آه، يا عزيزتي الكونتيسة. أين... أين ماريان.؟»

فأجابت الكونتيسة: «إنني مسرورة برؤيتك في النهاية. لقد ظننا أنك تعمدت البقاء بعيداً عنا، يا طفلتي، ان ميريان في بلغراد.» والتفتت إلى لازلو قائلة: «صباح الخير يا سيد لازار.»

فقال وقد توتر جسمه: «كونتيسة آنا... لقد جئنا لرؤية فيكادو.»

أجابت: «ستريانني أنا أولاً.»

وبكل أبهة وجلال اتجهت بسوزان نحو مكتبها. ومنع الأدب هذه من أن تمانع، ولكنها ألقت نظرة قلقة على لازلو الذي كان ينظر إليهما غاضباً، فما كان منه، إلا أن تبعهما وهو يصر على أسنانه.

وتمتم يقول لأمه: «لا أريد أن أراك، فإن لدي عملاً مع فيكادو.»

فأجابت الكونتيسة بهدوء: «قد يصبح عملك معه اكثر يسراً بعد أن تستمع إلى ما سأقوله. ترى أننا جميعاً كنا قلقين بشأن انضمام سوزان إليك...»

فهتفت سوزان بفيض بالمشاعر: «إنني أحبه.»

فأجابت الكونتيسة برقة: «هذا واضح من رسائلك، ولهذا، قمت بفحص أحواله.» وتصلب جسده دون أن ينبس بكلمة، فانتظر صامتاً مرتاباً، بينما شرعت هي تقول: «لقد وجدنا جميعاً أنه من الصعوبة فهم ما اكتشفته.» وتابعت الكونتيسة كلامها بوقار بعد أن ألقت نظرة على بعض الأوراق على مكتبها: «أرى أنك مشترك في تشجيع حقوق المرأة، وقد قمت بالتزامات ثقيلة من وقتك الثمين نحو حركة حقوق الانسان، وأنك تقوم باستثمارات أوروبية وأميركية في هنغاريا وفي بلاد أوروبا الشرقية.»

فسألها وهو يقطب حاجبيه: «وكيف اكتشفت كل هذا؟»

فأجابت بكبرياء: «انني الكونتيسة آنا هوزار، وإن لي علاقة بكل شخص مسؤول.» وبدت عليها السخرية وهي تتابع: «ويبدو أنك شخص محب للخير في الخفاء، يا سيد لازار، فتنشيء المؤسسات، وتحول المشاريع، وعموماً، فإنك تتصرف بشهامة. إنك رجل جدير بالاعجاب، أما كيف حصلت على سمعة سيئة يتهمك بها عدة أشخاص، ومن بينهم إبني اسطفان، فهذا مالا أعرفه.»

وداخل الرجاء سوزان. فصرخت بحرارة: «إنه رجل طيب فهو ليس ذلك الشرير الذين يصفون. ولو رأيته مع أولاده.»

فقاطعتها قائلة: «لقد قرأت كل هذا بشيء من الدهشة. فرسائلك إلى ماريان هي التي نبهتنا. إذ يبدو أن لازلو هو

في عينيك شخص مختلف. شخص رقيق وعادل. نزيه ورقيق. وقد أقسمت ماريان أنك عاقلة ومتزنة وغير سهلة القياد، وأخبرتنا كيف كانت تحترم أحكامك وأنك سليمة الرأي ويمكنك تحليل أي وضع، خيراً من أي شخص آخر.»

فقالت سوزان بضعف: «آه...»

واستطردت الكونتيسة: «في الواقع، لقد اقتنعنا جميعاً بصحة كل هذا، وأنك لا يمكن أن تقرني نفسك بشخص وضيع، حتى ولو ألجأك الحب إلى ذلك، والذي لا يمنحنا، غالباً، الحكمة في اختيار شريك حياتنا. فمثلك العليا عالية، وتملكين عاطفة قوية واحساساً عنيفاً بالواجب تجاه اسرتك التي تحبينها. وهذا هو السبب في أنني حاولت أن أتفحص الأمر كلياً، وأن أتعمق في الأمور وأستخرج الحقيقة ويجب أن اعترف يا سيد لازار، بأنك لو لم تتصرف نحو إبني بذلك الشكل الشنيع، لكنت مكرماً عندي اكثر مما أنت الآن.»

فتمتم لازلو قائلاً: «حسناً.»

أمسكت سوزان بيده فانحدرت نظراته إليها مسروراً.

فابتسمت الكونتيسة قائلة: «ليس الآن، كما أظن. لقد صمم فيكادو على أن يلغي نشر الكتاب إلى أن تجد أنت وقتاً تتحدثان فيه معاً.»

فقالت سوزان بإصرار: «إن لازلو ليس شخصاً منحرفاً ولكنه كان ضحية مؤامرة. وبإمكاننا أن نخبر فيكادو بكل شيء، وهو سيتفهم الأمر. وأنا متأكدة من ذلك.»

فقالت الكونتيسة تطمئنها: «إنه سيتفهم ذلك طبعاً. فقد قال نفس الشيء عندما أريته البراهين. إذ، عدا عن البرهان

الساحق والذي هو رأي سوزان، هناك كثير من البراهين في صالحك، يا لازلو... وأظن أن فيكادو سيكون أول من يوافق على أن توريط شخص لآخر في ذنبه، هو شيء غير عادل. وهو قد عانى من نفس المتاعب من والد زوجته غير النزيه. وقد كان متهماً مرة، هو نفسه، كرجل أعمال فاسد الضمير. وكان هذا، بالطبع، غير صحيح بتاتاً. وأظن أنه بعد أن تسلم البراهين التي عندي، فهو سيمزق الكتاب المخطوط.»

وركضت سوزان نحو الكونتيسة تحتضنها هاتفة بحرارة: «يا عزيزتي الكونتيسة. لقد جعلتني في غاية السعادة.»

وقال لازلو بصوت أجش: «إنني مدين لك يا كونتيسة.» وبدا شيء ما في لهجته، جعل سوزان تستدير إليه. كان ينظر إلى أمه بطريقة غريبة، مخيفة فشعرت بالدم يتجمد في عروقها. وتأوهت قائلة: «كلا يالازلو. لا يمكنك ذلك.»

فأجاب بلطف: «إن اسرتي اصبحت آمنة. وليس ثمة شيء أخسره. ان هنالك سبباً، يا كونتيسة جعلني أرى ان عودة اسطفان لاصلاح الأملاك من الصعوبة إلى حد بعيد.»

وصرخت سوزان بصوت باك: «كلا. أرجوك. لا تقل شيئاً. لا تخبرها.»

فقال برقة: «سوزان، ألا ترين أن الوضع قد تغير إلى درجة مثيرة؟»

فقالت: «نعم، وأنت...»

فأجاب وهو يرتجف: «وأنا بإمكاني أن أخبرك كم أحبك.»

فتجمدت في مكانها. لا بد أن هذه حيلة منه، إنه يريد أن يضعفها لكي يطعنها في قلبها، ثم يعلن بيانه الانتقامي من الكونتيسة. ولكن... كان في وجهه قصة أخرى، قصة كلها حنان، ومحبة. وهبط قلبها وهي تقول محذرة: «لازلو.»

فقال بصوت أجش: «يا عزيزتي، لا أستطيع رؤيتك تعانين بعد الآن. فأنت لا يمكنك أن تتصوري كم عذبني ما سببته لك من آلام. وقد عذبني أن حرمت من بهجة الاعتراف بحبي لك. انني احببتك بكل ما في أعماقي من قوة. وهذا هو السبب في أن أعدتك إلى منزلك أمس. لأنني لم أعد استطيع رؤيتك ممزقة العواطف... وبعد ذلك، وكأي مراهق غبي مجنون، لم أستطع احتمال تركي لك هناك! كنت أريد مبرراً لكي نبقى معاً، أي شيء مطلقاً.» فرفعت انظارها تحدق فيه لا تكاد ترى ملامحه من وراء دموع السعادة التي كانت تتألق في عينيها، وقال وهو يضحك: «هل ستتزوجينني. إنك لن تفسخين اتفاقنا، أليس كذلك؟»

فأجابت حالمة: «أتزوجك؟ آه، يا عزيزي لازلو، كل شيء الآن قد أصبح على ما يرام. ونحن سنتحدث إلى أسرتي في الأمر وسأوضح لهم كل شيء.»

فتمتم متأثرا: «أيتها الجذابة الصغيرة. لقد قمت بكل ما استطيعه لكي لا أقع في حبك. ولكنك وجدت طريقك إلى قلبي رغم كل ما صنعته.»

وشعرت برأسها يدور. لقد كان يحبها. لا شيء يهمها بعد الآن. وهمست: «آه، يا لازلو. عندما ظننت انني لن أراك أبداً بعد الآن، شعرت وكأن العالم قد انتهى. صحيح أنه كلما شعر المرء بقرب فقدانه للشيء، شعر بمقدار أهميته عنده.»

ورأت عينيه تتجهان نحو أمه بحنين، وشعرت بالألم الذي في قلبه ينتقل إلى قلبها هي. ولكنها لم تجرؤ على النطق بالكلمات التي كانت تحوم حول شفتيها، وهي أن تقول: كونتيسة... هذا هو ابنك.

وابتسمت الكونتيسة بحرارة وهي تقول: «عندما تتزوجان، أرجو أن تسكنا قريباً منا جميعاً، فأختاك سيسعدهما ذلك.»

وبدت الرزانة على وجه سوزان وهي تقول: «آه...» ذلك أنه لم يكن لديها وقت للتفكير في هذا الأمر. ربما كان ذلك في هنغاريا، أو روسيا، أو نيويورك...

قال لازلو بهدوء: «إن مكان عملك سيكون في ديفون كما كنت أنت قد خططت لذلك. وقد كنت أفكر في ذلك وأنا في طريقي إلى هنا... ولا أرى سبباً في عدم تحقيق أحلامها هذه، سأخبرك عن أحلامي أنا. وهي أنه، عدا عن الطواف حول العالم معك، وزيارة شقيقتيك واسرتك هنا، فسيكون مقرنا الدائم في ديفون. في قرية وايدكومب حيث يمكننا الركوب أميالاً فوق المروج الخضراء دون أن نرى انساناً، حيث السلام والجمال يكونان موطناً حسناً لأولادنا ولنا معهم. إنني أريد ذلك أن يصبح دائم. ولكنني أريد ذلك الآن، وأريده هناك، حيث ستكونين سعيدة.»

فقالت ببساطة: «لا استطيع أن اخبرك بمبلغ حبي لك.»

وقالت الكونتيسة بعطف: «إنني في غاية السعادة لأجلكما أنتما الاثنين.» ثم قبلتهما معاً. وطالت نظراتها على وجه لازلو وهي ترى الحنين فيهما. ولا بد أن قلبها حدثها بشيء ما، لأنها قالت بصوت مرتجف: «أشعر وكأنني

أعرفك. أحدق في عينيك و...» وأطلقت ضحكة قصيرة مرتبكة وهي تتابع: «لا أرى شيئاً فيهما سوى الطيبة. عليك أن تخبرني عن سبب عدائك لإبني، فأنا أريد أن نشكل جميعاً أسرة محبة متقاربة، ولكي يمكننا جميعاً أن نزوركم في منزلكم.»

واهتز لازلو بشكل ملحوظ، وهو يقول بلطف: «هنالك بيت آخر كان بإمكاننا أن نعيش فيه، لولا أنه يعود الآن إلى شخص آخر، بشكل غير قانوني، بل أخلاقي.» ورفع يد سوزان وقبلها برقة وهو يستطرد قائلة: «ليس عندك مانع في ألاّ تكوني كونتيسة، أليس كذلك يا عزيزتي؟»

فهتفت بحرارة: «كلا. آه، يا لازلو، هل ستمنح القصر لاسطفان؟»

فأجاب برقة: «وكذلك سأمنح أمي هدية.» وضحك الاثنان للحيرة التي بدت على ملامح الكونتيسة، وتابع قائلاً: «إنني سأمنحها إبناً. وكذلك سأمنحها كنة جديدة. وتألقت عيناه السوداوان وهو يتابع قائلاً مخاطباً الكونتيسة: «لقد كذبت على سوزان ذلك ان طفلاً كان ولد في القصر هنا. إنه ابنك ابن نيكولاي رومانوف.»

وشحب وجه الكونتيسة وترنحت قليلاً قبل أن تتمالك توازنها بتمسكها بحافة المكتب. وما لبثت أن مالت على المكتب وخبأت وجهها بيديها وهي تقول:

«أتعلم بأمره؟ آه يا سوزان. كم حاولت أن أنسى. ولدي، ولدي الرضيع... لقد أخذه مني نيكولاي، آه، يا سوزان.» وتنهدت بينما ذراعا سوزان أحاطت بها بعطف، وهي تستطرد قائلة: «قال إنني لست أهلاً للعناية به لأنني

هنغارية. وكنت أحبه، لقد كان كل من أحبه في هذا العالم. وقد كنت أحمله وأتحدث إليه طيلة الوقت... ولكن نيكولاي أخذه. ولم أصفح عنه أبداً. وقد مات طفلي حتى قبل ان يعرف كم كنت أحبه.»

فقال لازلو ببطء وقد أفعم صوته بالمشاعر: «كلا.» وأمسك بالمرأتين الباكيتين وهو يستطر قائلاً: «إنه لم يمت. إنه أنا يا أمي. أنا هو ابنك.»

وقرقع صوته الخشن مثل كوب قد تحطم. وشعرت سوزان بجسد الكونتيسة يتصلب... رأت وجهها الذي تغسله الدموع يرتفع بلهفة ورجاء وخوف لتحدق في الدمعة الوحيدة التي سالت على خد لازلو.

وهمست: «ولدي...؟ ولدي لازلو...» وتركتهما سوزان معاً إذ لم يحتمل قلبها مشهد لقائهما.

وبعد مضي فترة طويلة تكلمت أثناءها، إلى فيكادو، جلست إلى النافذة في ذلك القصر الشاعري. وقد سادها الهدوء والسلام. إن لازلو يحبها، وأسرتاهما لن يستمرا على خلاف بعد الآن، وسمعت الباب يفتح ثم يقفل برفق.

وقال بلطف: «لقد كانت تحبني. لقد كذب عليّ أبي لكي يجعلني أكرهها، فيمنعني بذلك، من التفتيش عنها والاختيار بينهما. بين روسيا وهنغاريا. لقد كان على ضلال. ولكنني متفهم لذلك، فالحياة هي اختيار فقط.»

ووقفت تواجهه ناظرة إلى وجهه المحب. ولاحت على شفتيها ابتسامة، ثم سألته ضاحكة: «هل أغمي على أمك عندما علمت أنها، في يوم واحد، قد وجدت إبناً وحفيدتين وحفيد إبنها؟»

فأجاب بابتسامة عريضة: «إنها بجانب الهاتف الآن وأظنها ستبقى ساعات تخبر كل اصدقائها.»

فاستغرقت في الضحك وهي تقول: «أخشى أن تكون بنات إيفانز قد قمن بعمل مرعب بتعقيده بالنسبة لمصير أسرة هوزار وشجرة العائلة. إن علينا أن نخبر أولادنا.»

فأجابها: «يمكنهم أن ينتظروا. فنحن، أولاً، سنحصل على أسبوع هادىء لا ينتهي، لأنفسنا في منزلك.»

فكررت قائلة: «لا ينتهي.»

وهمس قائلاً: «لا أظن أن باستطاعتي الانتظار حتى نصل إلى المنزل. ثم قادها بيدها إلى الحديقة، متجهاً نحو البحيرة. وقطف أزهاراً نثرها على الحشائش ثم جلس إلى جانبها على بساط الزهور العطر ذاك.

وقالت له: «إنني لم أقع في غرام جد من قبل.»

فأجاب وهو يضحك: «ما أجمل الغرام مع الجد.»

تمـــت